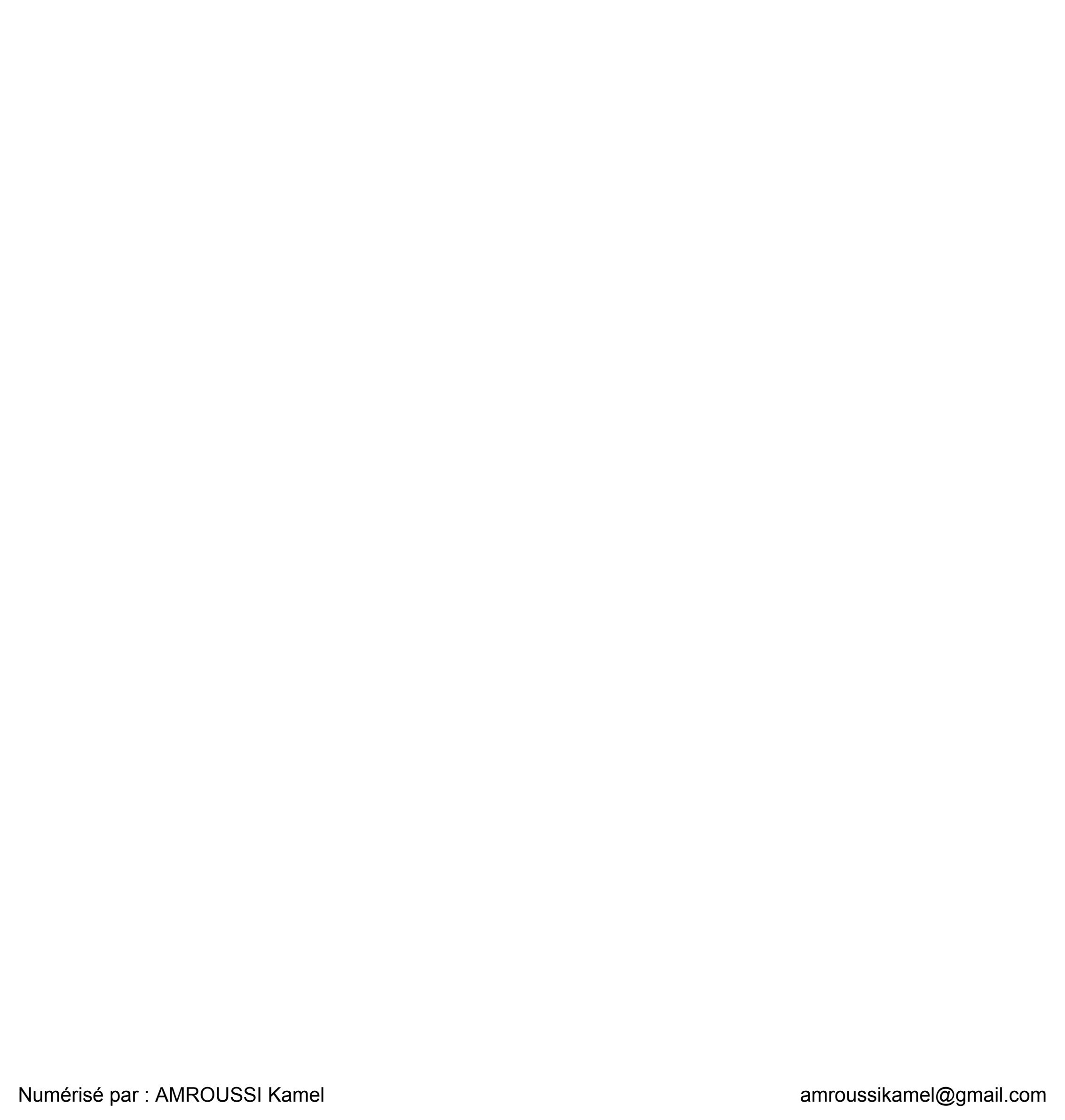
المختار في القراءة

للسنة الثالثة الثانوية



المعهد التربوي الوطني - الجزائر



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التربية الوطنية



المختار في القراءة

للسنة الثالثة الثانوية

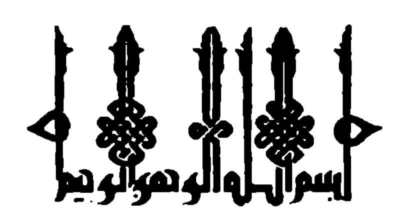
اشراف وإدارة :
المفتش العام
عبد الرحمن شيبان

اعداد

حسين ابو شعيب — ممدوح فاخوري
محمد حسن الصائم — فهيم ابو حجازي



المعهد التربوي الوطني - الجزائر



مقـــدمة :

يسرنا أن نضع بين أيدي أبنائنا ، تلاميذ السنة الثالثة الثانوية ، كتاب القراءة ذات الموضوعات المتعددة ، عاقدين العزم ، بعون الله ، على أن نتبعه بكتابين للسنتين الأولى والثانية ، وثلاثة كتب فى القراءة ذات الموضوع الواحد للسنوات الثانوية الثلاث ·

ولا يخفى ما للقراءة من أهمية فى اثراء معارف التلميذ ، وتعميق أفكاره ، وتنمية ملكته ، فهي النافذة التي يطل منها على ما يدور فى مجتمعه من نهضة علمية واقتصادية ، وما يجري فى العالم من تيارات فكرية واجتماعية ·

ولتحقيق هذه الأغراض حرصنا على أن تكون نصوص الكتاب متنوعة فى أغراضها وأساليبها ، مندرجة فى محاور أساسية تعالج موضوعات مختلفة فى الثقافة والحضارة والاقتصاد ، وغيرها ، مما يحسن أن يعرفه التلميذ من شؤون الحياة الفكرية والعملية ·

وقد اعتمدنا فى معالجة نصوص الكتاب المراحل الآتية :

1 ـ **مع النص** : وهي مرحلة تهدف الى فهم مضمون النص ، بواسطة أسئلة متدرجة ، تفضى الاجابة عنها الى استيعاب النص وتحديد عناصره ·

2 ـ **تقويم النص** : وهي مرحلة تهدف الى تعميق فهم التلاميذ وتدريبهم على التذوق وابداء الرأي ، واصدار الأحكام بحرية واستقلال ·

3 ـ **استثمار النص** : وهي مرحلة تمكن التلميذ من استغلال الجهد المبذول فى المرحلتين السابقتين ، وذلك بقيامه بأنماط مختلفة من التمارين التي تنمي ملكته فى اللغة والتعبير ، وهي تقوم على العناصر الآتية :

أ) **سجل فى كراسك الخاص** : والغاية منه انتقاء بعض العبارات الثرية فى النص ، وتسجيل بعض الحكم المأثورة المتصلة بموضوعه ، يجد فيها التلميذ سندا لقلمه ولسانه ·

ب) **لاحـظ** : وفيه يوجه انتباه التلميذ الى بعض كلمات النص واستعمالها فى أوجه مختلفة ·

ج) **طبق** : وهو

(1) مطالبة التلميذ بالكشف عن معاني بعض الكلمات الواردة فى النص ، وبيان وجوه استعمالها المختلفة ، اثراء لمادته اللغوية .

(2) **انسج على منوال العبارة الآتية** : والمراد منه تدريب التلميذ على تأليف عبارات جيدة مضمونا وشكلا ، يحاكي بها نماذج معينة فى النص .

(3) **حرر** : والغرض منه تنمية ملكة التلميذ فى التعبير ، وذلك بتدريبه على تحرير موضوعات انشائية يستغل فيها حصيلة دراسته للنص ، على أن تكون هذه الموضوعات متصلة بالغرض العام الذي يعالجه النص ، أو ببعض أفكاره الأساسية .

هذا ، ونظرا لضيق الوقت ، مهدنا بايجاز لكل محور ، وأتبعناه بأسئلة ، واقتصرنا على معالجة نص منه أو اثنين كنموذج يحتذيه الاساتذة فى معالجة بقية النصوص .

ولكي تؤتي دروس القراءة ثمارها يحسن العمل بالتوجيهات التربوية الآتية :

1. عناية الأستاذ بتحضير الدرس والتهيؤ له نفسيا وثقافيا وتربويا ، وذلك بالتفاعل مع موضوع النص ، والسيطرة على عناصره ، واحكام طريقة معالجته مع تلاميذه .

2. تكليف التلاميذ اعداد النص ، قبل دراسته ، بتدريبهم على أدائه ، ومحاولة الوقوف على لغوياته وأفكاره ، مما يدفعهم الى المشاركة فى مناقشة مادته بحيوية وتبصر ، فى نطاق الوقت المحدد للحصة وخاصة حين يكون النص طويلا .

3. التمهيد للمحور بما يلقي أضواء على الغرض العام الذي تعالجه النصوص الواردة فيه .

4. تمهيد قصير للنص يعين التلميذ على ادراك غرضه الخاص ومعرفة مناسبته .

5. قراءة نموذجية معبرة للنص ، أو لأجزاء منه تساعد التلميذ على جودة الأداء ، وحسن الفهم وحب القراءة .

6. قراءة التلاميذ بالتناوب ، قراءة معبرة •

7. تحديد الفكرة العامة للنص بأسئلة دقيقة محكمة •

8. السير في معالجة النصوص حسب الخطة التي انتهجها الكتاب في النص الأول من كل محور ، بيد أنه من الممكن اختصار أو طي احدى مراحل هذه الخطة ، للتركيز على مرحلة أخرى تكون حاجة التلاميذ اليها أمس ، على أن لا يخل ذلك بفهم مضمون النص ، وتسلسل أفكاره ، وادراك أغراضه •

9. الربط ـ ما أمكن ـ بين درس القراءة ، وبين الفروع الأخرى للغة ، باعتبار أنها وحدة متكاملة ، يكمل بعضها بعضا •

10. تخصيص حصة عقب دراسة كل محور ـ لمناقشة الأسئلة العامة ، لادراك العلاقات التي تربط نصوص المحور •

11. العناية بتدريب التلاميذ على حسن استعمال المعاجم اللغوية ، على اختلاف مناهجها، وتمكينهم من استغلال كل كتاب أو مرجع يعينهم على وعي ما يقرأون•

12. قد تكون الحصص المقررة للقراءة لا تسع كل نصوص الكتاب ، فللاستاذ أن يختار النصوص التي يراها أكثر ملاءمة لحاجات التلاميذ ومداركهم •

هذا وان الأستاذ المستنير هو الذي يعرف كيف يغرس في نفوس تلاميذه حب القراءة والتثقيف الذاتي •

والله ولي التوفيق

عبد الرحمن شيبان

المفتش العام للغة والأدب العربي

1

محمد رسول الله [*]
(صلى الله عليه وسلم)

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا » .

« سورة الأحزاب ـ الآيات 45 ـ 47 »

النص :

ولدت سنتنا الهجرية الجديدة وا أسفاه فى هذه الأيام التي اختبل فيها إنسان الغرب فزلزل جوانب الأرض على نفسه . وأبكم فى فمه حجة العقل ووحي الضمير . فلا يتكلم الا بلسان النار ولا يصول الا بيأس الحديد . وراحت المنايا الرواعد تدكدك المدن والناس فى فجوات القنابل ، فلا ترى اليوم فى بلاد الحرب غير مقبور أو منتظر ، ولا فى بلاد الحياد غير مذعور أو حذر . ومَفزَع الشعوب فى غشية هذه الخطوب الزعماء والقادة . فليت شعري الى من يفزع العرب والمسلمون من هول هذه الساعة ؟ لم يتح الله لهم بعد محمد وخلفائه زعيما تجتمع عليه القلوب وترجع اليه الأمور فى أقطارهم البعيدة ووجوههم المختلفة ، وإنما ابتلاهم بالانقسام حين ضلوا الطريق ، فكان فى كل قطعة من الوطن الأكبر سرير وأمير ، أو رئيس ، وتوزعت زعامة محمد فى كل جيل وفى كل قبيل بين عشرات من الرجال العجاف ، فكانت كالشعلة العظيمة الوهاجة تقطعت أقباسا كشموع الأطفال لا تقوى على نسم الريح ولا تظهر فى حلك الليل .

(*) أحمد حسن الزيات ـ بتحرف .

تعالَوْا يا زعماء اليوم عانين خاشعين ألق عليكم درسا من زعامة محمد . إن فيكم زعماء أحـزاب ، وليس فيكم زعيم أمة . أما هـو فكان زعيم الانسانية جمعاء .

بلغتم مكان الزعامة الاقليمية عن طريق الحزبية أو الثروة أو القوة ، ثم لم تستطيعوا أن تنسوا ضعف القميء الصغير الذي ارتفع على كواهل غيره، أما هو فقد بلغ الزعامة العالمية عن طريق الألم والفقر والغربة والجهاد، ثم جعل فى عشر سنين من الـرعاة الجفاة المشتتين على رمال القفر ، أمة متماسكة الأجزاء متحدة الأهواء ، متساندة القوى ، متجانسة الطباع بلّغَت رسالة الله وحكمت عامر الأرض ، ومدَّنت أكثر العالم .

إنكم تكُونون قبل الزعامة ناسا كالناس ، ثم تصبحون بعدها آلهة كالآلهة ، تنكرون الخاصة ، وتزدرون العامة ، ثم تمتازون فتَدخلون بفضل المبادئ المزوَّرة والمناصب المسخرة فى دنيا النبلاء والأغنياء . وماذا بعد هذا ؟ أمّا هو فقد ملك الحجاز واليمن ، والجزيرة كلـها وما داناها من العراق والشام ، وظل ينام على فراش من أدم حشـوه ليف ، ويبيت هو وأهله الليالي طاوين لا يجدون العَشـاء ، ويمكثون الشهر لا يستوقدون نارا . ان هو الا التمر والماء ، ويلبس الكساء الخشن والبُرْد الغليظ ويقسم على الناس أقبية الدّيباج المخوّص بالذهب ، فاذا أقبل على أصحابه فقاموا إجلالا له قال لهم : «لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الأَعَاجِمُ يُعَظِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً . إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ العَبْدُ» . وكان ذات مرة فى سفر فأمر أصحابه باصلاح شاة . فقال له رجل : عليَّ ذبحُها وقال ثان : علي سلخها ، وقال ثالث : علي طبخها ، فقال الرسول صلوات الله عليه : وعلي جمعُ الحطب . فقالوا : يا رسول الله نكفيـك العمل . فقال : علمت أنكم تكفونني إياه ولكني أكره أن أتميز عليكم .

ولما استعزّ الله بقاسم الفَيْء زعيمِ الجزيرة وسيدِ الملوك كانت درعه مرهونة عند يهودي فى نفقة عياله .

إنكم حينما تتزعمون لا تفكرون الا فى مثوبة الصديق وعقوبة العدو ، ثم لا تخرج أعمالكم وآمالكم عن دائرة الحزبية الصغيرة الحقيرة ، فالمنفعة تقاس بمقياس الحزب والسياسة تتلون بلون المنفعة ، أما هو فكان يعادي فى الله ويصادق فى الله . اشتط فى أذاه المشركون فى مكة والمنافقون فى المدينة ، فلما أمكنه الله منهم بسط عليهم جناح عفوه ، وقال لقريش يوم الفتح : يا معشر قريش . ما ترون أنّي فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء .

ثم كانت سياسته كنور الله لا تعرف الحدود ولا الخصوص ولا الزمن؛ إنما هي سر الخالق العظيم استعلَن فى سكون الصحراء على لسان الرسول العظيم ، ثم دَوَّى فى غياهب الآفاق ومجاهل الأبد ليكون الشعاع الهادي لكل ضال والنداء الموقظ لكل غافل .

إنكم تُسيّرون الجنود الى الخنادق وتبيتون على حشايا الديباج، وترسلون العمال الى المهالك وتظلون فى أبراج العاج ، أما هو فكان يقاتل مع الجندي حتى يدمى ، ويعمل مع العامل حتى ينصَب . وكان صحبه اذا احتدم البأس واحمرت الحدَق، اتقَوْا به فما يكون أحد أقرب الى العدو منه.

ذلك محمد يا زعماء اليوم وهؤلاء أنتم . فهل تحسون بينكم وبينه صلة ، أو تجدون بين سياستكم وسياسته مشابهة ؟ .

لا تقولوا إنه الوحي ، فما كانت حياة الرسول كلها ولا سياسته كلها من هدي الوحي ولكن قولوا إنها الرجولة الكاملة والخلق العظيم والعبقرية الفذة، والشخصية القوية، ووصف شخصية الرسول بالقوة لا يدل على شيء لأن هذه القوة لم تظهر فى أحد قبله ولا بعده حتى يقوم بها وصف . وما ظنكم بشخصية تَخضِع لليتيم العديم الزَّاري على الآلهة والسادة الرؤوس

الطاغية والنفوس العاتية والقلوب الغلاظ ، فيسمتون سمته فى الخلال ، وينهجون نهجه فى العيش ويأخذون أخذه فى المعاملة ، ويُجمعون على حبه وطاعته وتفديته إجماعا لا يخرقه الا الكفر بالله . فأقواله سنن تُتّبع ، وأعماله عهود تُحفظ، وآراؤه أوامر تُطاع، وأحكامه أقضية تنفذ . فعليكم يا زعماءنا بسيرة محمد وسياسة محمد فلعل فيكم من تدركه نفحة من نفحاته القدسية فيجدد ما رث من دعوته ، ويجمع ما شت من وحدته ، ويصلح ما فسد من أمته ! «قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا» [*]

[احمد حسن الزيات]

«وحي الـرسالة»

(*) سورة الانعام ـ الاية : 104 .

« أ »

الاسرة والتربية

إن الأسرة هي البيئة الصالحة لتربية الاجيال الناشئة ، واعدادهم للتكيف مع الحياة الاجتماعية ، بوعي ناضج ، وفكر متفتح ، حتى يتمكنوا من المشاركة فى اعلاء صرح نهضتنا الحاضرة ، وبناء حضارتنا المنشودة .

ولا مفر لنا ـ وأمتنا العربية تمر بمرحلة الوعي الذاتي فى خضم التطور الحضاري المعاصر ـ من اقتباس المعارف العلمية والتكنولوجية فى كل ميدان من ميادين الحياة ، مما يدفعنا الى دراسة اتجاهات الحضارة الحديثة واهدفها ودوافعها .

ومما لا شك فيه أن العناية بالتربية الرشيدة ، فى الأسرة والمجتمع ، هي التي ستمكننا من استثمار الطاقات البشرية والطبيعية ، التي تملكها أمتنا ، وتوجيهها لبناء الحضارة على أساس من العلم والايمان.

2

المـرأة بين حضـارتين (*)

تمهيـــد :

من تألف الرجل والمراة ، تتكون الأسرة ، نواة المجتمع ، وطبيعي أن تكون المراة عماد الأسرة ، وركيزتها الدائمة ، فمن خلال حنان الأمومة ، ورعايتها ، تتوالد قوافل من الأجيال ، وتتوالى مسيرة البشرية عبر الزمان ، تصنع الرقي الاجتماعي ، وتبني نهضة الأمة ، وتقيم الحضارة .

ولعلك مدرك أن التكامل ، بين الرجل والمراة ، والتعاون بينهما ، هو السبيل الى تحقيق هذه الغاية الانسانية النبيلة ، التي زيفها التطور الحضاري الحديث ، وجعل منها قضية مطلبية ، وفدت بذورها علينا وغرست فى مجتمعاتنا النامية ، ودعيت باسم مشكلة المراة ، فما أسباب هذه المشكلة ؟ وما الوسائل التي تعزز أواصر الأسرة وتكفل سلامتها ؟

اقرأ النص الآتي ، تجد تحليلا لهذه القضية الاجتماعية البارزة .

النـــص :

ان مشكلة المراة والأسرة ، وتوزع الأعمـال بين الرجل والمراة ، ومسلك كل منهما فى الأسرة ، وخارج الأسرة ، هي فى الواقع من اكبر المشكلات ، التي نجابهها فى العصر الحاضر ، وهي من نواحي الحياة التي جرفنا فيها تيار جديد ، أفقدنا الكثير من خصائصنا ، العربية والاسلاميـة فى آن واحد .

ان مباحث علم النفس ، وعلم الاجتماع ، وعلم الاحياء ، فى العصر الحديث ، اثارت بعض جوانب مسألة المراة والأسرة ، واظهرت ضعف كثير من الأراء التي روجت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فى أوربا ، باسم التجدد ، والحركة النسائية ، وراجت بعد ذلك ولا تزال فى مجتمعنا ، وأبرزت سطحية كثيرة من هذه الأفكار ، وضلالها ، وخطأها الفاضح .

(*) من كتاب « الفكر الاسلامي الحديث فى مواجهة الافكار الغربية » ـ دار الفكر ـ بيروت ط 3 سنة 1973 ، للأستاذ محمد المبارك ، وهو مفكر عربي معاصر وعضو بالمجمع اللغوي بدمشق .

نجد هذا الاتجاه الجديد في معالجة هذه المشكلة وتحليلها في ضوء المباحث النفسية ، والاجتماعية ، والحيوية ، عند المفكر الكبير الدوس هسكلي ، والطبيب الكيماوي ألكسيس كاريل ، والكاتب الاجتماعي أندره موروا ، وغيرهم ، وسأرسم فيما سأكتبه في كلماتي التالية بعض خطوط هذا الاتجاه ، وأنقل بعض هذه الافكار ، لعلها تحرر بعض المفتونين باسم التجدد من سطحيتهم ، وسيرهم مع القطيع ، ومجاراتهم للتيار ، ولو كان منحرفا ، ضالا طريق الصواب .

إن تطور الحضارة وارتقاءها من بعض الجوانب ، يسير فى اتجاه إظهار الفروق ، بين الأفراد ، وازدياد التخصص والتنوع ، وبالتالي اختلاف توزيع الأعمال ، بحيث ان المجتمع أي مجتمع كان ، كلما كان أرقى ، كان الأفراد فيه أبعد عن التماثل والتشابه ، وأقرب الى تنوع الشخصية ، واختلاف الاختصاص ، بحيث إن تضامن المجتمع وتكامله ينشأ من اختلاف الصفات والمزايا ، فلكل فرد مزية ، ليست في الفرد الآخر ، وكل واحد يتمم الآخر ويكمله،ولو كانا متماثلين لما احتاج أحدهما للآخر ، ولا كان مكملا له بل مكررا .

وعلى هذا الأساس العام نفسه يقوم التعاون بين الرجل والمرأة في المجتمع ، بل ان مبدأ التكامل ، المتولد عن التنوع والتخصص أظهر هنا ، منه فى أي مجال آخر . فالبشرية تتكون من مجموع (أزواج) لا من (أفراد)، والمجتمع الذي يتساوى فيه جميع الأفراد ، فى المزايا والخصائص ، وفي الخبرة والمعلومات ، وبوجه خاص يتساوى فيه الرجل والمرأة ، في نوع العمل والخبرة ، هو مجتمع ابتدائي ، وكلما كان التنوع في الخبرة ، والمزايا ، والخصائص ، والمعلومات أكثر وأعمق ، كان ذلك المجتمع أرقى.
«والحقيقة أن المرأة مختلفة اختلافا عميقا عن الرجل فكل خلية في جسمها تحمل طابع جنسها ، وكذلك الحال بالنسبة الى أجهزتها العضوية ، ولاسيما

الجهاز العصبي ، وأن القوانين العضويـة (الفيزيولوجية) كقوانين العلم الفلكي ، لا سبيل الى خـرقها ، ومن المستحيل أن نستبدل بها الـرغبات الانسانيـة ، ونحن مضطرون لقبـولها كما هي فالنساء يجب أن ينمين استعداداتهن فى اتجاه طبيعتهن الخاصة ، دون أن يحاولن تقليد الذكور ، فدورهن فى تقدم المدنية أعلى من دور الرجال ، فلا ينبغي لهن أن يتخلين عنه»

ــ « يغفل الناس عادة شأن وظيفة الولادة بالنسبة الى المرأة ، مع أن هذه الوظيفة ضرورية لكمال نموها ، ولذلك كان من الحمق والسخف صرف المـرأة عن الأمومة ، فلا ينبغي أن يتلقى الفتيان والفتيـات ثقافة واحدة ، ولا أن يكون لهم أسلوب واحد فى الحياة ، ولا مثل أعلى واحد ، وعلى المربين أن يعتبروا الفروق الجسمية والعقلية ، بين الذكر والأنثى ، وما بين دوريهما الطبيعي . فبين الجنسين فروق لا يمكن أن تزول ، ومن الواجب اعتبارها في بناء العالم المتمدن ».(*)

إن الدعوة الى المسـاواة المطلقة ، بين الرجل والمرأة ، تـؤدي الى التزاحم والتنافس ، والصراع بين الجنسين ، والدعوة الى التكامل ، بسبب الاختلاف ، وانفـراد كل جنس بمزايا وخصائص ، تـؤدي الى التعاون والائتلاف .

ــ ان الأسرة هي مظهر تعاون الجنسين ، وفى داخلها يتكون الحب من جانب الأم للطفل والزوج ، ومن جانب الأب للزوجة وللطفل . والأمومة صفة أساسية فطرية فى المرأة ، سواء أكانت أما بالفعل ام لم تكن ، بل سواء أكانت متزوجة أم لم تكن ، وهي ضرب من الحنان والحب والرعاية ، تشعر

(*) الكسيس كاربل ــ فى كتابه : «الانسان ذلك المجهول».

بها المرأة شعورا فطريا ، واذا لم يـكن لها ولد انصرف هذا الشعور الى قريب تعطف عليه ، بل أحيانا الى غريب تتخذه ولدا لها .

والأسرة هي البيئة الصالحة الطبيعية ، المـادية والمعنوية ، لتكوين العواطف الطبيعية فى الانسان . والمرأة لها فيها دورها الخاص ، فهي العنصر الثابت ، والركيزة الدائمة وهي المنبع الطبيعي لعواطف الود والحنان ، فى حين أن الرجل هو عامل الارتباط ، مع ما هو خارج الاسرة ، مع المجتمع ، وهو الذي يمارس الصراع فى الخـارج ، الصراع مع الطبيعة ، أو مع المجتمع ، سواء أكان صراعا ماديا لكسب العيش ، أو معنويا فى سبيل عقيدة أو دعوة ، أم كان مجموعا منهما ، فالرجل تبنى طبيعته على الصراع القاسي ، والمرأة قوام طبيعتها إشعار الحب والحنان ، ولذلك كانت الأسرة أو الزوجة بوجه خاص البيئة التي يجد فيها أفراد الأسرة من زوج وأولاد السكينة والطمأنينة ، ويجد الرجل من تبادل الود ، ما لا يجده فى الخارج .

ذلك هو جوهر الأسرة ، وهو ما أشارت اليه الآية الكريمة (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)[*].

ومن أروع وأجمل ما قيل في تلخيص وظيفة المرأة الاساسية الحديث الوارد في الصحيحين : (خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ ، صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ).

إن السكينة أو الطمأنينة ، والمودة والرحمة ، المتبادلة بين الزوجين ، وحنو الأم على الصغير ، ورعايتها لمال الزوج وبيته ، هي العناصر الأساسية التي أوردتها الآية والحديث ، على أنها قوام الحياة الزوجية ، المشتركة بين المرأة والرجل .

---

[*] سورة الروم : 21 .

إن سلامة هذه البيئة الطبيعية ، التي يتكون فيها الانسان تكونا طبيعيا سليما ، وهي الأسرة ، لا تتكون إلا بتقوية أواصر الأسرة ، وجعلها المتنفس الطبيعي الوحيد للحياة العاطفية والجنسية المشتركة ، سواء بالنسبة للمتزوجين الذين كونوا هذه الخلية الأساسية ، أم بالنسبة لغير المتزوجين ، وان الخلل الى المجتمع يأتي من خرق هذ الجدار ، ومن نشوء علاقات جنسية خارج الأسرة . وشيوع ذلك سواء بالنسبة الى حياة ما قبل الزواج ، أم بالنسبة الى فترة الحياة الزوجية هو إضعاف للاسرة وإفساد لتكوينها ، وخرق لجدرانها ، وان المجتمع كُلٌّ واحد ، وان أي حادثة فى هذا المجتمع تؤثر فى كيان الأسر التي يتكون منها ، ولو لم يكن لهذه الأسر علاقة مباشرة بالحادثة أو الظاهرة .

إن قيام المجتمع على أساس العفة والاحصان ، وسلامة الأسرة والحياة الزوجية ، يستلزم اتخاذ تدابير عملية من جهة ، والقيام بتهذيب خلقي من جهة أخرى ، ولابد من اجتماع الأمرين معا .

يتبين مما تقدم من أفكار أن موضوع الرجل والمرأة ليس في اختيار احدى فكرتين : التفضيل ، أو المساواة ، وإنما هو موضوع اختلاف في الخصائص ، يقتضي اختلافا في التخصص والعمل ، ويقتضي توزيع الاعمال بحسب الاستعدادات والخصائص ، وذلك ما أخذ به الاسلام ، فهناك من جهة مساواة كاملة فى الانسانية ، وما يتفرع عنها من كرامة أخلاقية ، وتكليف ومسئولية ، فالنساء شقائق الرجال . «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا»(*) ، «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا». (**)

(*) سورة النحل : 72 . (**) سورة الاعراف : 189 .

وهناك من جهة أخـرى تفاوت واختلاف . اختلاف فى التـركيب العضوي ، واختلاف فى التكوين النفسي ، ينشأ عنهما اختلاف فى الصفات والخصائص والمزايا ، وهذا التفاوت في الخصائص يقتضي توزيع الأعمال فى الحياة ، بين الرجل والمرأة ، توزيعا يتناسب مع هذه الخصائص المتنوعة المختلفة .

وكذلك الناحية الحقوقية ، فالحق هو ممارسة لوظيفة اجتماعية ، وينشأ بنشوئها ، ولذلك كانت الحقوق المتعلقة بالصفة الانسانية ، للرجل والمرأة متساوية ، وأما الحقوق المتعلقة بالأعمال الموزعة بينهما ، توزيعا متناسبا مع الخصائص ، فهي مختلفة ومتناسبة مع توزيع الاعمال ، وهذه قاعدة مطبقة فى المجتمع اليوم ، فحقوق الناس تختلف باختلاف مؤهلاتهم المكتسبة ، نتيجة لاستعداداتهم الفطرية ، فحملة الشهادات العليا من أطباء ومهندسين وحقوقيين ، وحملة الشهادات الثانوية العامة والمهنية ، وحملة الشهادات الابتدائية كل هؤلاء يشتركون فى الحقوق الانسانية ولكنهم يتفاوتون فى الحقوق الناشئة عن شهاداتهم ومؤهلاتهم وكفاياتهم العلمية والعملية ، فليس للطبيب أن يدافع أمام المحاكم ، ولا للمحامي أن يمارس الطب ، وقد يعطَى للاطباء أو المهنـدسين أو المحامين حقوق انتخابية فى تكوين بعض المجالس لا تعطَى لغيرهم ، كذلك موضوع الرجال والنساء مساواة إنسانية خُلُقِـية معنوية ، وتفاوت وتنـوع فى الأعمال وأنواع النشاط ، تنشأ عنه إنسانية كاملة راقية متخصصة . هي نوع واحد يتكون من جنسين كلاهما يعمل لخير النوع كله بتحقيق إمكانيات جنسه ، ونموه فى اطار جنسه ، واستعداده ووظيفته .

محمد المبـارك

مع النص

1 ـ ما المشكلة التي يعالجها هذا النص ؟ وما الأسباب التي أدت الى اثارتها ؟
2 ـ ما اثر الحضارة المعاصرة على تقاليد المراة والأسرة فى المجتمعات النامية ؟
3 ـ أكدت مباحث علوم : النفس ، والاجتماع ، والأحياء ، أن هناك فروقا بين الجنسين ، فما اهم هذه الفروق ؟ وماذا يترتب عليها من واجبات ؟
4 ـ ما العوامل التي جعلت الأسرة منبعا للتعاون الاجتماعي ؟
5 ـ ما أبرز مظاهر التعاون بين الرجل والمراة ؟
6 ـ اشار الكاتب الى الدعائم التي ترتكز عليها الحياة الزوجية ، فما هي ؟
7 ـ بأي الوسائل نحافظ على سلامة الأسرة والمجتمع ؟

تقويم النص

أ ـ الأفكار :

1 ـ يعالج هذا النص مشكلة ثار حولها كثير من الجدل فما مظاهرها فى مجتمعنا الحديث ؟ وما رأيك فيها ؟

2 ـ اقترح ما تراه من الوسائل التي تمكن المراة من القيام بواجباتها داخل الأسرة ، والمشاركة فى النهضة الاجتماعية الحديثة .

3 ـ يرى الكاتب ان هناك اعمالا تناسب طبيعة تكوين المراة ، واستعداداتها الفطرية . ناقش هذه الفكرة مبينا وجهة نظرك .

4 ـ دعا بعض المفكرين الى المساواة الكاملة بين الجنسين ، ورأى آخرون أن الرقي الاجتماعي يكمن فى الدعوة الى التعاون والتكامل بينهما فأي الرايين تفضل ، ولماذا ؟

ب ـ الأسلوب :

1 ـ بم يتميز أسلوب الكاتب في عرض افكاره ؟

2 ـ عزز الكاتب افكاره بوسائل متعددة للاقناع . اذكرها مبينا مدى توفيق الكاتب فى اختيارها

3 ـ استخرج من النص أوضأ العبارات التي تروقك ، وبين سبب اختيارك لها .

استثمار النـــص

أ ـ سجل في كراسك الخاص :

ـ الأمومة صفة أساسية فطرية فى المراة ، سواء اكانت اما بالفعل أم لم تكن .

ـ ان موضوع الرجل والمراة ليس فى اختيار إحدى فكرتين : التفضيل أو المساواة ، وإنما هو موضوع اختلاف فى الخصائص ، يقتضي اختلافا فى التخصص والعمل .

ـ **النســاء شقائق الرجال**

ب ـ لاحــظ :

ـ **لاحظ** كلمة «ينشأ» فى عبارة : . . . **إن تضامن المجتمع وتكامله ، ينشأ من اختــلاف الصفات والمــزايا . . .»** ، الواردة في النص ، وقــارن بينها وبين الكلمات الواردة من مادة «نشأ» فيما يأتي :

ـ نشأ الصبي نشأة حسنة ،

ـ أنشأ الله الخلق ،

ـ أنشأ الكاتب مقالة .

مبينا معنى كل منها ، فى السياق الذي وردت فيه

ج ـ طبــق :

1) بين ما يلي :

ـ تدل كلمة «النشأة» على الايجاد والتربية .

هات مرادفا لها ، واستخدام كلا من الكلمتين فى عبارة أدبية بليغة .

ـ بين مدلول كلمة «الانشاء» من الناحية البلاغية ، ومن الناحية الأدبية .

(استرشد فيما سبق ، بالقاموس اللغوي)

2 ـ **انسج** عدة عبارات ، على منوال العبارة الاتية :

ان المجتمع كلما كان أرقى ، كان الأفراد فيه أبعد عن التماثل والتشابه ، واقرب الى تنوع الشخصية واختلاف الاختصاص .

3 ـ حـــرر :

مشكلة المراة والاسرة من القضايا التي أثارت اهتمام المفكرين والأدباء ، قديما وحديثا .

ناقش هذه القضية ، مستعينا بدراساتك السابقة .

3 بين الحرية والمسئولية [*]

النــــص :

كنت يوما أتحدث مع صديق من صحفيينا الناشئين مليء بالحماس والجرأة والاندفاع والذكاء وشيء من حِدّة الأعصاب ، صفات يتحلى بها الكثير من شبابنا . فقلت . أنا أعتقد أن شعبنا فى حاجة الى أن نربيه لا لنعلمه كيف يشتم ويسب . ان هذه الناحية فيه بالغة أوجها من «الكمال». يكفي أن تستمع الى أطفالنا كيف يتخاطبون فى الشوارع ان بلاغتهم تدعو الى الاعجاب فى هذا الفن ، بعبارة أخرى هناك فرق بين مفهوم التربية والتكوين ومفهوم الاثارة والاستفزاز . وهذا أيضا يصلح أن نجد له مكانه فى ميدان معركة المفاهيم . اننا على ما يظهر مازلنا نفرق تماما بين الحرية والمسئولية . أو بالأحرى لا نتصور مدى ارتباط الحرية بالمسئولية . نكثر من الحديث عن حرية المرأة . ولكننا لا نتحدث الا قليــلا عن المسئولية التي تنجر لها من هذه الحرية ، ونثير فى المرأة غريزة حب المطالب ولكننا لا نحدثها عن جانب العطاء والدفع مقابل هذه المطالب . أعترف أن مشكلة الحرية والمسئولية من أعوص القضايا الفلسفية فى مادة الاخلاق وحتى فى ميدان ما وراء الطبيعة ، والنقطة الايجابية المنطقية التي يمكن أن نخرج بها من هذه المعركة هي أن الإنسان لا يمكن ان يكون ذا مسئولية ما لم يكن يشعر بأنه حر فيما يأتيه وما يدعه من أعمال . والعكس أيضا صحيح أو هو أكثر وضوحا : اذا كنت حرا فى عمل من الأعمال فانك لا تستطيع أن تتنصل من مسئولية أعمالك وتصرفاتك .والتــربية الانجليزية الحديثة بالنسبة للأطفال أنفسهم تقوم على هذا الأساس : يتركون مجالا كبيرا من

(*) الدكتور عبد الله شريط كاتب جزائري معاصر ، وهو أستاذ علم الاجتماع بجامعة الجزائر . من آثاره : «معركة المفاهيم» و «من واقع الثقافة الجزائرية».

الحرية فى تصرفات الطفل وأفعاله وعندما يقع فى أخطاء تتسبب لـه فى أضرارما ، يفهمونه بـأنه هو المسئول عما حصل لـه من ضرر ويتركون الحوداث تعلمه وتكون فيه الشعور بالمسئولية عما فعل ويفضلون ذلك على الدروس الكلامية والتوجيه النظري .

وحرية المرأة عندنا ماذا تفهم منها ؟ حرية الخروج والتزين واضاعة الوقت عند الجارة وأمام واجهات الدكاكين ، تفهم الحرية على أنه من حقها أن تشتري ما يعجبها . ولكنها لا تربط هذه الحـرية بأنه من واجبها أن تعمل وتوفر الدخل الذي تشتري به ما تشاء .

هذا النقص ليس موجودا عند نسائنا فحسب . هو أفدح منه عند شبابنا ، يستنكف الشاب عندنا عن لبس ثياب متوسطة النوع متواضعة الثمن ويريد نعالا من الطراز الأول ولكنه يتوجه الى أبيه أو أخيه ليدفع الثمن لأنه ــ هو حضرة الشاب ــ عاطل لم يجد عملا . وعندما تقترح عليه عملا تجده فى الحقيقة يرغب فى وظيفة بدون عمل . أجرتها عالية ومجهوداتها لا تتجاوز رقة أنامله اللطيفة ورأسه الفارغ .

هذا مرض عام ، عند نسائنا وشبابنـا ، بل وحتى عند الكبار من المسئولين فى مختلف مجالات حياتنا الوطنية : الراحة الواسعة والنفقات الباهظة . أما العمل والانتاج فنتركه للآخرين من الأمم الأخرى : الفلاح الروسي يعمل ويكد ويدخل الأموال والأرزاق لدولته . ونأتي نحن فنمد أيدينا طالبين قرضا بدون فائض وبدون شروط سياسية الى آخر الأغنية ! والمعلم الفرنسي يسهر الليل ويتكون ثقافيا وأخلاقيا فيكون معلما مثاليا وموظفا كاملا وخبيرا منتجا ، وتتقدم نحن لـدولته أن ترسله الينا لأن معلمنا ــ مسكين ــ ليست له هذه العبقرية ، ونطلب منها أن ترسله بعنوان التعاون . التعاون المشترك فى الميدان الثقافي ، كما لو كانت تعيننا فرنسا ونحن أيضا نعينها فى هذا الميدان !! وهكذا ينتج الآخرون ونستهلك نحن .

بعنوان ماذا ؟ بعنوان نفسية المطالب والاستهلاك وعدم الالتفات الى الانتاج . نفسية الحرية السهلة بدون الالتفات الى ما يترتب عنها من المسئولية .

ان المرض عام ، وموضوع المرأة ليس الا جزءا من أعراضه ، لذلك أعتقد أننا عندما نقصر الحديث عن المرأة ، ثم عندما نأتي لموضوع المرأة نفسه فنتحدث عن جانب منه فقط : جانب العطاء واستهلاك الحرية ونغفل جانب الدفع نكون فى الواقع قد شوهنا الموضوع وقطعنا إحدى رجليه . قال أخي الكاتب : «إن مجتمعنا لا يدخل رحاب التقدم الا ماشيا على رجلين من حديد هما الرجل والمرأة».

وهذا صحيح . ولكني أحب ألا ننظر الى الموضوع على أنه مشكلة الرجل والمرأة بل هو مشكلة «المواطن». سواء كان رجلا أو امرأة شابا أو فتاة . هو مشكلة الحرية مع المسئولية . المرأة يجب أن تكون حرة فى تصرفاتها ولكن ينبغي أن تشعر بمسئولية هذه الحرية ، حرة فى أن تسير فى الشارع . ولكنها حرة فى أن تسير الى العمل لا الى مجرد التفسح . حرة فى أن تلهو ولا تقضي حياتها بائسة حزينة . ولكن الأرجل التي تتقن الرقص يجب أن تحمل رأسا متعلما وصدرا مفعما بالعواطف النبيلة . يجب أن تشتري امرأتنا الملابس الجميلة ــ لا الفاخرة ــ ولكن ينبغي أن تعرف كيف تأتي بالأموال التي تتزين بها عن طريق العمل والانتاج ــ يجب أن تشعر بأنها سعيدة فى بلادها الحرة السعيدة . ولكنها الحرية المسئولة عن مصير بيتها وأبنائها ووطنها .

كلا ! اننا لا نستطيع أن نفصل مفهوم الحرية عن مفهوم المسئولية اللهم الا اذا كنا نريد أن نعبث ــ والحرية تعني الانتاج قبل أن تعني الاستهلاك .

عبد الله شريط

4 حذار أن تكون طفلا في سن الخمسين ! (*)

النـــص :

أعظم ما يدل على أن الانسان ناضج وأنه قد بلغ سن الرشد النفسي أن يكون قد تخلص من عادات الطفولة السيئة ، وأنه قد مرن على التغير بحيث يرضي بأن يتكيف للوسط الجديد ، فيبدل بعاداته الذهنية والنفسية والجسمية عادات أخرى تتفق ومصلحته ومصلحة المجتمع الذي يعيش فيه .

ونحن نتسامح مع الأطفال فى استجابات نفسية كثيرة لأننا نعتقد أنهم عندما يبلغون الشباب سيقلعون عنها بباعث من أنفسهم ، وهذا هو ما يحدث بالفعل ، ولكن هناك من التسامح المسرف ما يجعل هذه الاستجابات ثابتة ، وذلك مثلا حين ندلل الطفل فلا نزجره بتاتا عن أي خطأ يقع منه . وحين ينشأفلايجد من يـــزجره من أب أو معلم أو زميل أو رئيـــس فتثبت فيه العادات الطفولية ويندفع المسكين بعواطف قهرية لا يعرف كيف يضبطها حتى حين يبلغ العشرين أو الخمسين من العمر .

تصور طفلا تركه أبواه يعاند وهو فى الثانية او الثالثة من العمر ويصر على عناده بشأن هذا اللون من الطعام او تلك القطعة من الحلوى أو على أن يخرج من البيت أو يبقى فيه ، فان هذا التصرف لا يلفتنا كثيرا لأننا نعتقد أن عادات الطفولة هذه ، سوف تتغير ولكننا نفاجأ بعد سبع أو ثماني سنوات حين نجد أن هذا الطفل يعصي أبويه فى الذهاب الى المدرسة ويصر على الاضراب عن الدراسة إلا اذا اشتريا له حذاء جديدا أو بدلة جديدة ،

(*) من كتاب «محاولات» للكاتب سلامة موسى بعنوان : اطفال فى سن الخمسين .

ثم هو قد يبلغ الرجولة فاذا خاصم أحدا استحالت خصومته الى عناد بحيث يقضي كل أيامه وهو يجتر هذه الخصومة ويتحدث عنها ويتورط في قضايا بسببها .

أو تصور مثلا هذا الطراز الآخر ، فقد عرفت رجلا يبلغ الخمسين ومع ذلك عمد في يوم شم النسيم [1] الماضي الى دعوة سبعة أو ثمانية من أصدقائه كي يقضوا معـه هذا العيـد في طرب ، فلما كان صباح هذا اليوم بكر اليه هؤلاء الأصدقاء . ولكن ما كان أعظم دهشتهم حين وجدوا باب مسكنه مقفلا بقفل ضخم والبيت فارغ . فقد سافر داعيهم هو وعائلته الى بلدة أخرى .

وهذه النكتة العملية يضحك منها طفل ، وهي تتسق وألعابه وطفولته ولكن الرجل الناضج يشمئز من هذا السلوك لأن كلمة الوعد هي كلمة الشرف .

وهذا الطفل كان أيام طفولتـه يؤدي هذه الألعاب فيجد التسامح المسرف فلا نصيحة ولا توبيخ ولا عقوبة . وها هو ذا قد شب فبقي فيه هذا المزاج السخيف يؤذي به أصدقاءه حتى وهو في الخمسين من عمره وشبيه بهذا السلوك ما يفعله طفل أو طفلة في سن الثلاثين أو الأربعين حين يرسل اليك برقـية يوم أول أبريل [2] عن نعي فـلان من أصدقائك أو أقاربك .

وكلنا يعرف تلك الشخصية الأنانية ، رجل في الخمسين او الستين من العمر ، لايزال ينظر الى الدنيا والى زملائه وأعضاء عائلته والى وطنه بتلك الأنانية الاقتنائيـة [3] إذ يريد أن يقتني ويخطف وينهب ، وشعـاره في الحياة : أنا وحدي .

---

(1) **يوم شم النسيم** : هو أول يوم في الربيع .
(2) **أول أبريل** : اشارة الى كذبة أول أبريل المعروفة عالميا .
(3) **اقتنى المال** : جمعه . والروح الاقتنائية هي الجماعة لكل شيء تهواه من مال وغيره .

وعندما نتأمل هذا الانسان نجد أنه آذى نفسه أذى عظيما وأن عواطفه جفت فلست تجد له صديقا ، بل لست تجد له من أسرته من يحب أن يجالسه فضلا عن أن يصادقه إذ هو قد برهن فى تصرفاته المختلفة على أنه خلو من العطف والحنان والشرف . لأن جميع هذه الفضائل اجتماعية وهو فى صميمه انفرادي أناني . بل انه يحتقر الثقافة ويأبى أن ينفق قروشا على شراء كتاب لأن الثقافة فى صميمها اجتماعية . واذا لم يكن الانسان مهتما بل مهموما بالمجتمع فانه لا يثقف ذهنه ولا يبالي كيف كان يفكر الفراعنة أو الاغريق أو ماذا يكتب الألمان والأنجليز فى عصرنا ...

ومعظم ما نراه من شقاء فى العلاقات يرجع الى أن الابن البكر قد دُلِّلَ كثيرا وترك لأنانيته بلا تنقيح أو اصلاح فنشأ اقتنائيا صائلا يخطف ويسرق أمه وإخوته كما لو كان طفلا فى الثالثة من العمر ، وأحيانا أتأمل هؤلاء الأطفال الكبار فى تصرفاتهم الصغيرة على المائدة أو وقت المخالفة فى الحديث فأجد أخلاق الأطفال واضحة ، فهم يأكلون بنهم يشبه الخطف ، وهم يصخبون فى الجدال حتى يضربوا الأرض بأقدامهم ، وهم يضحكون عندما يسمعون بنكبة وقعت باحد الناس . كأن النكبة نكتة . وهم يعيّرون المعيوهين بعاهاتهم ، فالأحْـوَل عندهم «أعور» والأصم أو من به صمم أطرش الخ .

وقَلَّ أن ينجح الأناني فى الحياة لأنه فى الأغلب يتطوح فى أنانيته الاقتنائية الى السرقة التي تسلمه الى السجن . والارتقاء الذاتي يحتاج الى صفات اجتماعية كثيرة ، لأننا فى النهاية لا نرتقي لأنفسنا وانما نرتقي للمجتمع ، إذ نحن ننشد من هذا الارتقاء شرفا ووجاهة ومقاما ، وهذه الغايات تثير فى أنفسنا عواطف اجتماعية حسنة .

وكلنا الى حد ما أطفال ولو بلغنا السبعين من العمر ، فاننا حين نغضب ونثور تطفح أفواهنا على الرغم منا بكلمات نابية مؤذية ، وهذه الكلمات من آثار الطفولة ، بل إن عواطف الطفولة تثار أيضا لأننا فى مثل هذه الظروف قد نهب الى ضرب الخصم أو ركله .

بل هناك العلماء الذين يخترعون القنبلة الذرية أو الايدروجينية لمحو أمة كاملة وهم فرحون كالأطفال بقنبلتهم أو لعبتهم ، إذ هي صاروخ عظيم يقعقع ولا يبالون قتل الأطفال والأمهات والمسنين والشباب والفتيات لأنهم ، أي هؤلاء العلماء ، لم ينضجوا .

أيها الشباب ... لا تتركوا الأنانية تغمر نفوسكم ، وحذار أن تتيحوا لها الطريق فتكونوا أطفالا فى سن الخمسين ...

اسئلة حـول المحور

1 ــ ما الفكرة الأساسية التي تربط بين موضوعات هذا المحور ؟

2 ــ ما رأيك فى معالجة هذه الفكرة ؟ وضح على ضوء ما درست

3 ــ قارن بين ماورد حول قضية المرأة فى نص « بين الحرية والمسئولية » ، وبين الأفكار التي تعالج هذه القضيـة ، فى موضوع : «المـرأة بين حضارتين» ، مبينـا وجهة نظرك .

4 ــ ما مدى ارتباط الحرية بالمسئولية ؟ وما اثر ذلك على العمل والانتاج ؟

5 ــ للتربية الخاطئة اعراض سيئة (كالعناد والأنانية ، والسلبية) ، ولها آثار خطيرة على العلاقات الاجتماعية .

ناقش هذه القضية موضحا دور الأسرة فى معالجتها .

((ب))

السياسة والاجتماع

أصبحت شؤون السياسة والاجتماع من أبرز شواغل هذا العصر ومن اهم ميادين البحث والدرس فيه . وفي النصوص التالية صور ووقائع تلامس جوانب متعددة من حياتنا السياسية وأوضاعنا الاجتماعية ، في اكثر من عصر ، وهي في جملتها تتجه الى الكشف عما تضطرب به حياة مجتمعاتنا العربية من هموم ومشكلات، وما يمس علاقات افرادها وجماعاتها في شتى المجالات ، كشؤون الاسعار والتجارة ، وأوضاع الحكم والادارة ، وأدوار الفردية الأثرة ، والعصبية المدمرة ، الى غير ذلك مما تعرض له فصول هذا الباب . .

6 الحل البارع والحل المفيد

تمهيـــــد :

الحياة تحلو وتكمل في مجتمع يسمو فيه الفكر ويستقيم السلوك ، وتنمو وتسمج في مجتمع تخيم عليه النقائص والسلبيات ، والنص الذي بين يديك يعرض عليك بعض الأمراض التي يجب أن نتخلص منها لنعيش حياة خصبة كريمة .

النــــص :

لم أتصور بعد بوضوح ، كيف أن واقعنا شيء والتعاليم التي تسميها (نظرية) في ديننا شيء آخر . فهل تتفضل بازعاج نفسك وتضرب لي أمثلة على ذلك ؟ .

ــ أولا أطلب منك أن تعدل تعبيرك هذا : (التعاليم التي أسميها نظرية.) فأنا لم أسمها نظرية الا بعد أن صيرناها نحن نظرية بحتة . اما هي في ذاتها فأعترف انها حاولت أن تكون عملية الى أقصى حدود المحاولة التي نطيقها نحن البشر . حتى إن القرآن صور لنا الجنة في صورة حسية نكاد نلمسها لمسا . وجعل عملنا الذي نقوم به في هذه الحياة من أجل الدخول الى الجنة عملية تجارية : نفعل الخير في هذه الحياة لنحصل على الجزاء في الآخرة . وأعترف أيضا أن ذلك متناسب تماما مع طبيعة البشر .
إننا لا نفعل شيئا ولا نتقنه ــ بالخصوص ــ إلا اذا كانت لنا فيه منفعة ملموسة . ولعل هذا التصوير الناجح الذي نجده في القرآن لخيرات الجنة هو الذي جعل المؤمنين الأولين يتسابقون الى الاستشهاد ويغبط الأحياء منهم الأموات حتى أصبح قادتهم يهددون القياصرة والملوك بقولهم : (اننا أتيناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة) وهذه نتيجة حية من نتائج تلك التعاليم (العملية) التي جاء بها الاسلام . وأظنك لست في حاجة لأن أسرد لك التاريخ، وكيف تحجرت فيما بعد ــ تلك التعاليم العملية وأصبحت (قواعد) صيرت المسلمين ــ كما يقول الشيخ باديس ــ (قواعد) من النساء .

هذه ــ إذن ملاحظة على الهامش . أما المثل فهو الآتي : لا تذهب بعيدا . أنا وأنت الآن نبحث فى هذه الأحاديث أوضاعنا الفاسدة ونحاول أن نرجعها الى أسبابها ، ونفتح أمامها مخارج الى آفاق متفتحة . أليس هذا هو غرضنا ؟ .

ــ نعم .

ــ ولكن ألم تشعر بأننا نفعل ذلك بعقلية نظرية بحتة ؟ أعني اننا (نتحدث) ولا (نحلل). نتحدث عن مبادىء عامة أو ذكريات فى التاريخ أو نستشهد بتصرف فلان أو قولة فلان . ولكننا قليلا ما نحلل أوضاعنا القائمة أو نربط ظواهرها الاجتماعية بأسبابها النفسية كما يفعل الأوربيون : نتهم تجارنا مثلا بأنهم يغتنمون فرصة رمضان أو جائحة سنوية ليحتكروا المواد ويرفعوا أسعارها ، وكذلك يفعل الصناع وغيرهم . ثم نقف عند هذا الحد .

أما الأوربيون فيتناولون هذه الظاهرة بتحليل من نوع آخر ويطلقون عليها ــ فى علم الاقتصاد ــ مصطلحا خاصا يسمونه (بالقيمة الذاتية).

ــ ما معنى هذا المصطلح الغريب ؟

ــ معناه أن الأوربيين يحددون أسعار بضائعهم تحديدا (موضوعيا). ونحن نحددها تحديدا (ذاتيا).

ــ لم أفهم بعد .

ــ أعرف أنك لا تفهم مصطلحات القرن العشرين : التاجر أو الصانع أو المنتج على العموم فى أوربا يحدد أسعــار بضائعه بعد أن يقوم بعملية حسابية مضبوطة تتناول ثمن الشيء وهو مادة خام ، قبل أن يصنعه ، ثم أجرة العمل الذي أنفقه فى تحويله الى بضاعــة مصنوعة ثم يضع هامشا للربح تتمشى مساحته مع التكاليف العامة أي أنه يحدد ثمن التكاليف العامة ثم يضيف اليه ما يناسبه من ربح ، ثم يضـع ثمنه عليه كحق من حقوقه

المشروعة لا ينازعه فيه أحد ، وسواء اشتريته منه أم غيرك فالثمن لا يتغير ، ولا ينزل أو ينخفض بحسب الوجه الذي يشترى .

وهذا ما يسمى بالتحديد الموضوعي : يتنـاول موضـوع الثمن لاحالة من يشتري البضاعة .

أما عندنا نحن فالأمر يختلف عن ذلك . التاجر أو الصانع قل أن يعرف بالضبط ثمن التكاليف التي ينفقها على الشيء وماذا كانت هذه التكاليف قبل أن يصنعه وبعد أن يهيئه للبيع أو قبل أن يشتريه وبعد أن يعرضه بدوره على المشتري . وتأتي مرحلة البيع فتبدأ المعركة بين البائع والمشتري : معركة المساومة التي لا حد لها والتي لا يعرف فيها المشتري أبدا اذا كان البائع قد غشه فى الثمن أم لا . كما لا يعرف البائع أبدا هل حقق هامشا من الربح يتمشى تماما مع التكاليف أم ان الثمن الذي باع به بضاعته ليس فيه هامش ربح على الاطلاق وانما هو باعه (برأسماله) أو دونه بقليل أو كثير .

يقول عنا علماء الاقتصاد الأوربيون إن تاجرنا أو صانعنا يحدد سعر بضاعته لا حسب تكاليفها المضبوطة ، بل حسب وجه المشتري الذي يقصده : ان كان وجه مغفل لا يعرف الأسعار فالثمن يرتفع بصورة آلية الى حد مخيف . وان كان وجها تبدو عليـه علائم الفطنة والتجربة كان الثمن ـ بعد المساومة طبعا ـ منخفضا الى حد مدهش وهذا هو التحديد الذاتي : لا يتناول الشيء نفسه بل يتلون حسب حالة المشتري . وهكذا أصبحت كل عملية تجارية ـ عظيمة كانت أم صغيرة ـ تجرى فى أسواقنا ، هي فى الواقع عملية مراهنة أو قمار أو سرقة أو اختلاس أو كلمة أخرى من كلمات التحايل والكذب ، ولكنها ليست عملية تجارية طبيعية يعرف فيها البائع ثمن تكاليفه وهامش ربحه، ويعرف المشتري أنه سواء اشتراها من هذا التاجر أو ذاك ، وسواء كان التاجر مصليا أو خمارا فذلك لا دخل له فى التجارة أو الصناعة ، والمشتري اذن مطمئن على أنه لم يخدع فيها . واذا

قمت بعملية احصائية لوقتنا الذي نضيعة ـ باعة ومشترين ـ فى المساومة والتحايل والاصطياد تدرك مبلغ الخسارة التي تتعرض لها فى استنزاف أوقاتنا وأعمالنا فى هذه العملية التافهة ولكننا لا نشعر بذلك لأن الوقت عندنا من رمل وليس من ذهب .

الا أن فداحة الخطب تسري الى ميدان آخر ، وهو أن تكرار هذه العمليات فى حياتنا عدة مرات فى اليوم ومشاركة الطبقات والفئات الاجتماعية فيها من أطفال ونساء ورجال وشباب ـ يجعلها تنتقل من المحيط الخارجي الى المحيط النفسي ، الداخلي ، وترسخ فينا بحكم التكرار وتتخذ طابعا من العمق والتأصل حتى تصبح عادية لا تلفت الانظار ، وتتسرب الى مختلف مجالات حياتنا النفسية فتصبح أخلاقا يتعامل بها الأب مع أبنائه وزوجته ، والطالب مع معلمه والشعب مع الحكومة والحكومة مع الشعب . ويصبح مجتمعا يعيش بالشذوذ ولكنه يراه طبيعيا ، وهذا ما يسمى بالمجتمع المتفسخ : لا من الناحية الاخلاقية فحسب بل من ناحية التكوين ذاته . تتفسخ الألوان فى نظرنا ويصيبنا ما يسمى فى علم النفس بعمى الألوان ـ فلا تفرق بين الأبيض والاسود ، ولا بين الربح المشروع والسرقة المقنعة، ويختلط الذكاء بالحيلة، والعجرفة بالشجاعة، والخبث بالدبلوماسية، والجشع بالطموح ، والغرور بالحيوية ، والفوضى بالنشاط ، والتدجيل والتدين والبلاهة بالاخلاص ، وتنطمس معالم الاشياء والقيم ويستوي الماء والخشب ، والحب والمنفعة ، والفن والتجارة ، والعلم والمكر ، والطبيعي والمفتعل ، وتتداخل الحدود بين الاخوة والمراوغة ، والحق والتسلط ، ويصبح الواجب هو براعة الفرار منه .

ـ وأخيرا هل ستقف عند حد فى سرد هذه السلسلة ؟ وما هو الحل ؟

ـ نعم ، سأقف ، الأحسن أن أقف . أما الحل فهو سهل : لماذا نزعج أنفسنا بالحديث عن هذه المآسي ونحن فى شهر رمضان الكريم ومقبلون على عيده الكريم أيضا ؟ أليس من الافضل أن نعود الى طبيعتنا : طبيعتنا

السمحة المتسامحة ونعدل عن محاسبة أنفسنا بهذه الطريقة المؤلمة التي يعاملنا بها أولئك الأورييون الكفار ؟ ان الحل الذي أعرف أنك ترغب فيه تجده فى هذه القصة : سأل معلم تلميذه فى عمليــة حسابية على الشكل الآتي : خرج شيخ أعمى فى ليلة مظلمة تراكمت فيها الثلوج . فكان يضع عصاه فى الثلج وهو يمشي فتغوص ربع متر . وطول العصا متر واحد . فكم يبقى من العصا خارج الثلج ؟ فبقى الطفل ساكتا . فقال له المعلم تكلم . فيم تفكر ؟ (فقال التلميذ : انني أفكر لماذا خرج هذا الشيخ الملعون فى هذه الليلة الملعونة حتى أوقعنا فى هذه المشكلة).

ــ يا له من شيطان بارع هذا التلميذ .

ــ بالضبط انك تعجب ببراعته وحيلته فى التهرب من الحل أما حل المشكلة الحسابية فقد نسيته . انك ترغب فى الحل (البارع) لا فى الحل (المفيد). وهذا ما يجعلك ــ دون أن تشعر ــ تلجأ فى حل مشاكلنا الى التعاليم النظرية غافلا عن الحل المفيد .

عبد الله شريط
كتاب : معركة المفاهيم

مع النـــص

1) وازن الـكاتب بين سلوكنا وسلوك الأوربيين فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وضح هذه الموازنة .
2) ما المعنى الذي قصد اليه الكاتب من مصطلح القيمة «الذاتية» والقيمة «الموضوعية» ؟
3) ما الذي يأخذه علينا علماء الاقتصاد الأوربيون فى عملياتنا التجارية ؟ وفيم يتمثل ذلك ؟ وما نتائجه فى حياتنا ؟
4) ما العواقب التي تنجم عن تكرار هذه العمليات فى حياتنا ؟
5) ذكر الكاتب الطريقة التي نحاسب بها انفسنا ، والأسلوب الذي نحل به مشاكلنا . وضحهما .

تقويم النص

أ ـ الأفكار :

1) أورد الكاتب مقارنة بيننا وبين الأوربيين فى اختلاف النظرة الى الحياة الاقتصادية والتجارية ، ما منشأ هذا الاختلاف ونتائجه فى نظرك ؟ واي المنهجين اقرب الى قيمنا واخلاقنا الاسلامية ؟
2) يتحدث علماء الاقتصاد الأوربيون عن ظاهرة تطبع حياتنا التجارية والاقتصادية بطابع الفوضى والارتجال ، ما رايك فى هذه الظاهرة ، والآثار التي تنتج عنها ، والوسائل التي تقترحها لتخليص مجتمعنا منها ؟
3) يرى الكاتب أن نفوسنا واخلاقـنا تعاني مرضا على مستوى الفرد والمجتمع والدولة ، وأن هذا المرض أصبح متفشيا فينا مألوفا لدينا ، ما علاقة هذه الظاهرة ـ فى رايك ـ بالمرحلة التاريخية التي يمر بها مجتمعنا ؟ وما الوسائل التي تقترحها لتخلص المجتمع منها ؟
4) يقول الكاتب : اننا أصبحنا نلجأ فى حل مشاكلنا الى الحلول النظرية البارعة ، ونهرب من الحلول العملية المفيدة ، ما رايك فى تعميم هذا الحكم واطلاقه على هذه الصورة ؟

ب ـ الأسلوب :

1) عمد الكاتب فى نشر آرائه على القراء ـ الى الأسلوب الحواري ، فما السر فى ذلك ؟
2) من مميزات الكاتب الجلاء والوضوح ، فإلام ترد ذلك ، الى بساطة افكاره ؟ أم الى طريقة عرضها بيسر ووضوح ؟

استثمار النص

أ ـ سجل فى كراسك الخاص :

ـ «إننا آتيناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة».
ـ «رحم الله امرءًاسمحا اذا باع ، سمحا اذا اشترى ، وسمحا اذا قضى ، وسمحا اذا تقاضى».
ـ «من غشنا فليس منا».

ب ـ لاحظ :

لاحظ كلمة **(رفع)** الواردة بصيغة المضارع فى النص «ليحتكروا المواد ويرفعوا أسعارها» وما لها من وجوه استعمال متعددة : رفع القضية الى المحاكم : قدمها . رفع الحديث : سلسله الى قائله الأول . ومنه «الحديث» المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم . رفع الكلمة : ألحقها علامة الرفع . ومنه ارتفع النهار : امتد وطال . ورافعه الى الحاكم : شكاه اليه . وفى المثل : أقر الخصم وارتفع النزاع : انتهى .

طبق :

1) بين معنى كلمة **(نازع)** الواردة فى النص بصيغة المضارع، والفرق بينها وبين **(نزع)** وما لهما من وجوه استعمال اخرى فى جمل من عندك (مستعينا بالمعاجم).

2) انسج على منوال احدى العبارتين الآتيتين :
ـ لم اسمها نظرية الا بعد ان صيرناها نحن نظرية .
ـ اننا لا نفعل شيئا أبدا الا اذا راينا فيه فائدة ملموسة .

3) حرر :

اكتب مقالا تحاور فيه زميلا لك حول الحكمة المأثورة «من كتم داءه قتله».

7

الموظفون والناس*

تمهيـــــــد :

البيروقراطية ـ أو الحكم المكتبي ـ علة تعاني منها شعوب كثيرة ، بأقدار متفاوتة بينها قلة أو كثرة .. ولا شك انك قرات أو سمعت أطرافا عنها تتادى اليك مما تطالعه في الصحف تارة ، أو يبلغك من أخبار الناس وأحاديثهم ، تارة أخرى ، وكلها مجمعة على الشكوى منها والتنبه على خطورتها ، وقد تكون أنت أيضا ممن عانوا منها على قلة ما قد يعرض لك من شؤون عملية في هذا الطور اليافع من حياتك .

والكاتب هو احد الذين شقوا بطعم هذه الثمرة المقيتة ، وابتلوا بمر مذاقها فأبى عليه قلمه الا أن يجرى بهذه السطور اللاهبة .

النـــص :

ابتُلِيتُ هذه الأيام بـأن اختلفت الى بعض الوزارات في شأن من شؤون «الرسالة»(1) وأشد الأمور على نفسي أن أغشى دواوين الوزارة أو أقسام الادارة ، لأني أعتقد كما يعتقد أمثالي من السوقة الأحرار أن الحكومة من الأمة بمثابة الرأس من الجسد ، فيه التفكير والتدبير والقيادة ، وليس فيه الاختيال والشموخ والسيادة ، ولكن الحكومة في أمم الشرق لا تزال تعتقد أن الرأس معناه أن يوضع فوق الجسم ليسمو على أعضائه ويعيش على غذائه . فاذا دخلت دورها لا تجد فيها الروح الوطنية التي تبعث الحياة العامة ، ولا الفكرة الاجتماعية التي تدير المنفعة المشتركة ، وإنما تجد بها مظاهر شتى للسلطان الجبار والبيروقراطية الصلفة (2) تعطل معنى الاصلاح وتبطل حقيقة العدالة .

(*) احمد حسن الزيات :

(1) الرسالة : مجلة أسبوعية ادبية كان يصدرها الكاتب .

(2) الصلف : الاعجاب والتكبر .

ترى أول ما ترى جيشا من الشرطة وكتام السر والحجاب والسعاة يسد أبواب المكاتب ، ويملأ مدارج الطرق ، ويشغل فراغ الحجر . وهذا الجيش الذي يكلف الخـزانة لا أدري كم من المـال ، لا عمل له الا بث الرهبة واظهار الأبهة والحيلولة بين الناس وبين القائمين على «مصالحهم» من أولى الأمر . فاذا ساعفتك الفرصة أو ساعدتك اللجاجة فنجوت من شراسة الشرطي أو الحاجب ، وخلصت من غطرسة السكرتير أو الكاتب ، دخلت على الموظف الكبير بهوا كأبهاء القصور ، فرش بالطنافس ، وأثث بالأرائك ، وزين بالتحف ، وأدفىء بالكهرباء وقام فى صدره الحالي (3) طرفة من طرف الأثاث يقولون إنها مكتب .

ومن وراء هذا المكتب الفاخر كرسي وثير متحرك جلس عليه الموظف العظيم وبدلته تكاد تنشق من ورم الكبر ونفخة السلطة ، فلا تستطيع أنت من رهبة السلطان أن تكلمه ، ولا يستطيع هو من عزة المنصب أن يكلمك .

هذه المظاهر القائمة على السرف والترف يجب أن تزول أو تخفف ، لأنها تحيط الموظف بجو من العظمة المستعارة تزور له ذاته ، وتفسد عليه حياته ، وتجعل ميزانه الاجتماعي منصوبا على ضميرين مختلفين : يزن فى بيته ولنفسه بضمير ، ويزن فى الديوان وللناس بضمير ويا ويل ذي الحاجة اذا دخل على الموظف مكتبه وليس منسوبا اليه ولا معروفا لديه ولا موصى به ، انه لا يجد الا النظرة القاسية ، والكلمة الجاسية ، والاشارة المهينة ، والهيئة الوقحة التي تصرخ فى وجهه بهذه الجملة :

يا بعد ما بيني وبينك ، أنا حاكم وأنت محكوم ، وأنا «ميري» (4) وأنت «براني» (5) فان احتمل المسكين الهون وقف على مضض ، واذا ملكته الحمية انصرف على شجار .

---

3) **الحالي** : المزدان (وضدها العاطل). 4) **ميري** : لفظة عامية : «سيد».
5) **براني** : لفظة عامية : «مسود».

لقيت منذ يومين فى فناء الوزارة الفلانية صديقي فلانا المهندس المقاول يزمجر من الغيظ وينتفض من الغضب . فقلت له وأنا أربت على كتفه :

ــ كفاك الله الشر . ماذا بك ؟

فقال بصوت يتفجر بالسخط ويتهدج من التأثر :

ــ والله يا أخي ما أدري أنحن عبيد الموظفين ، أم نحن وهم عبيد القانون ؟ هذا فلان (بك) (6) ..

ــ فلان بك ؟ انه الرجل الذي أقصده الساعة فى مسألة عامة .

ــ قال : تعال ! لا خير فى لقائه اليوم . لقد تركته يفور على الكرسي فوران القدر على الموقد .

ــ ولم كان ذلك ؟

ــ طلبت الاذن عليه لأشكو اليه خلل إدارته وإهمال مرءوسيه فان لي عملا يدخل فى اختصاصه مضى عليه سنتان ، وكان يكفي لانجازه يومان ، فأهملني عند سكرتيره ساعة ثم خرج من مكتبه غير آذن ولا معتذر . فانصرفت خجلان من سوء ما يظن بي كاتم سره . ثم عدت اليه يوما آخر وطلبت إذنه مع الطالبين ، وفيهم كما علمت النائب والصاحب والقريب ، فدخلوا وخرجوا ، ثم دخل قبلي من جاء بعدي ، حتى لم يبق فى شرف الانتظار الا أنا ورجلان من أصحاب العمل . حينئذ قال سكرتيره : إن (البك) مشغول بقية الوقت . فثار فى وجهي الدم ، وطغى فى رأسي الغضب فاقتحمت عليه الباب وقلت له من غير اعتذار ولا تحية : يا سيدي البك ربما كنت أنا الزائر الوحيد الذي زارك اليوم لعمل من الأعمال التي تجلس لها وتؤجر عليها فلم يكن من اللائق بأمانة المنصب أن تحجبني مرة بعد مرة لتستجيب الى طلاب الشفاعات والوساطات من ذوي الصداقة والقرابة .

---

6) **بك** : من الالقاب التركية . كان يمنح لذوي الحظوة والجاه . أزالته ثورة يوليو 1952 .

فحملق (البك) في وقد استنشاط وبربر وصاح : من أنت ومن أذن لك بالدخول ؟ فقلت له : أنا فلان سري من سراة البلد ، وثروة من ثروات الأمة ، نشأت فى مهد العدم ، ثم تعلمت العمل الحر ، وضربت فى سبيل العيش الكريم من أفق الى أفق ، حتى أصبح عملي الناجح مرتزقا لمئات من الأسر العاملة ، وأصبحت ـ وأنا لا أزال فى شباب الكهولة ـ ذا خمسين ألف جنيه ورتبة . أما أنت فالكبير الصغير ! كبرك المنصب والمرتب اللذان أدركتهما بمضي المدة ، وصغرك العجز والكسل اللذان كشفاك في إدارة العمل . ان سلطان الوظيفة يا سيدي عرض منفك ومتاع زائل . فاذا شئت أن تعرف أين أنت مني فدع منصبك الحصين وادخل معي فى غمرة الدنيا وزحمة الناس ، ويومئذ ترى أينا يوطأ بالأقدام ، وأينا يرفع على الرؤوس .

وهنا رأيت الرجل يكاد يتمزق من الغيظ فأهوى بيـــده على أزرار الأجراس فصلصلت (7) جميعا ، وقال لحجابه وسعاته : أخرجوا هذا .. من هنا . فأخرجوني على حال من الهوان لا يصبر عليها إلا رجل حازم أمام موظف أحمق .

فقلت له ونحن نمشي الهوينى فى طريقنا الى البيت : هون عليك يا صديقي فان أكثر الموظفين حالهم مع الناس كحال هذا الموظف معك .

أيها القلم !

لشد ما أتمنى على الله أن يجعلك فى يدي سنانا يخز ، ومعولا يهدم ؛ لقد عجزنا يا قلم وعجز اللسان .

[احمد حسن الزيات]
من « وحي الـرسالة »

---

7) **صلصات** : رجعت أصواتها .

مـع النـص

1 ـ ما الفكرة العامة التي يعالجها النص ؟
2 ـ كيف صور الكاتب منزلة الحكومة من الأمة ؟ وكيف كان يجدها فى الـواقع ؟
3 ـ ما الذي يروع المواطن لدى اجتيازه ابواب المكاتب ؟
4 ـ ما المعنى الذي نفهمه من كلمة (بيروقراطية) ؟
5 ـ كيف وصف الكاتب محتويات المكاتب من الأثاث ، ومن (الموظفين الكبار) المتصدرين لها ؟
6 ـ لم لا يملك كل من صاحب الحاجة والموظف ان يكلم الآخر ؟ وعلام يدل ذلك ؟
7 ـ ما راي الكاتب فى مظاهر (العظـمة) هذه ؟ وما الذي يشفـع لذوي الحاجات عند هذا (العظيم) ؟
8 ـ علام ينطوي التعليق الاخير للكاتب ؟ وهل تشاطره الراي فى عجز أولي الأمر عن علاج هذا الداء ؟ .

تقـويم النـص

ا ـ الأفـكار :

1 ـ ما هو ـ فى رايك ـ مصدر داء البيروقراطيـة ؟ وما أسباب تحكمه وشيوعه في الادارات والمكاتب ؟
2 ـ هل واجهتك مظاهر البيروقراطية عند زيارتك لبعض المصالح الادارية ؟ أذكر بعضا منها .
3 ـ احاول الكاتب تشخيص الـداء ووصف الدواء ، أم اكتفى بعرض المشكل ؟ وضح ذلك .
4 ـ قرات ـ ولا شك ـ ما كتبته الصحافـة الوطنية وغيرها من وسائل الاعلام ، عن تشديد الحملة على البيروقراطية . ما الهدف من هذه الحملة ؟ وما هي فى نظرك ـ الوسائل الناجعة للقضاء على هذا الداء المتفشي ؟ وهل تقع تبعة القيام بها على المسئولين وحدهم ؟

ب ـ الأسلـوب :

1 ـ «لا تجد فيها الروح الوطنية التى تبعث الحياة العامة ، ولا الفكرة الاجتماعية التي تدير المنفعة المشتركة».

– في الجملتين توازن هو من أبرز خصائص اسلوب الكاتب ، يلتزمه في معظم كتاباته . اختر عبارات مشابهة ، وبين رأيك فى هذا الأسلوب .

2 – تتشابه معاني الجمل عند الكاتب ، حتى يبدو فيها شكل من اشكال الترادف فى اجماله ، ولكن حسن تصرف الكاتب فيها يجعلها تختلف في الاجزاء والتفاصيل ، كقوله :

«يسد أبواب المكاتب ، ويملأ أدراج الطرق ، ويشغل فراغ الحجر».

– اختر جملا أخرى مماثلة من النص ، ووضح وجوه الشبه بينهما فى المعنى .

3 – هل تجد لأسلوب الكاتب نظائر في أساليب كتاب العصر العباسي ، وبعض كتاب العصر الحديث ، وخاصة في المغرب العربي ؟ وما رأيك فى هذا الأسلوب ؟

استثمار النص

أ – سجل فى كراسك الخاص :

– الحكومة من الأمة بمثابة الراس من الجسد ، فيه التفكير والتدبير والقيادة ، وليس فيه الاختيال والشموخ والسيادة .

– إن سلطان الوظيفة عرض منفك ومتاع زائل .

ب – لاحظ :

– لاحظ كلمة «**اختلف**» فى السطر الاول من النص – وما لها من وجوه استعمال متعددة ، وبين المعنى الذي تنصرف اليه في كل جملة : «يختلف الى المدرسة – يختلف عن اقرانه – يختلف معه في الرأي».

ج – طبق :

1 – بين ما لكلمة «**يسد**» الواردة فى النص – من معان ووجوه استعمال أخرى ، في جمل من عندك .

2 – انسج على منوال العبارة الآتية :

«الحكومة من الأمة بمثابة الراس من الجسد».

3 – حرر :

أ – انشئ موضوعا توضح فيه مساوئ البيروقراطية واخطارها ، وطرق المعالجة منها .

ب – اكتب قصة تكون انت احد شخصياتها ، في موضوع البيروقراطية ، وادر فيها قدرا من الحوار يساعد على ابراز المشكل وتجسيم خطره .

8

الفردية علتنا الأصيلة

لا تزال الفردية أَبْيَن الصفات المميزة للعرب وَأَجْلَى ما تكون فى عالمنا الثالث فان المرء ليغالي فى فرديته حتى ليوشك أن يكون أمة وحده .

غلبت هذه الشيمة (1) على العرب الأولين لقلة المرافق المشتركة ، وأثر الطبيعة الشحيحة ، ووحدة الحياة الرتيبة ، واستقلال النفس القوية ، فالرجل منهم كان يحصر الدنيا فى خيمته ويجمع العالم فى قبيلته . ثم يختصر القبيلة فى نفسه فيجعلها قاعدة لتمثاله واطارا لصورته فهو لا يحيا حياة بهائم الأنعام تحمي ضعفها بالاجتمـاع ، وانما يعيش عيش سباع الطير والوحش لا تُشْبِل (2) على أفراخها وأجْرائها الا ريثما ترتاش وتَضْرَى .

فلما اختبروا للدعوة الكبرى استجابوا لقوة القوى ، واطمأنوا لألفة الروح ، واستجروا (3) لحكم الجماعة ، حتى بلغوا رسالة الله . ثم تحرك فيهم الهوى الموروث وتيقظ الطبع الأبِر ، فهبت الفردية تحلل العقدة ، وتشتت الوحدة ، حتى قسمت الوطن بلادا ، ومزقت الشعب أفـرادا ، خضعوا لسلطان المغير ودانوا لقوة الغاصب .

لاتزال هذه الفردية القبيحـة وتوابعها من شهوة الـرياسة وحب الاستئثار ودناءة الحرص تتطع أوشاج (4) المجتمـع فى أقطار العرب ، فتفسد كل موضوع وتبطل كل مشروع وتشعب (5) كل ألفة .

---

1) **الشيمة** : الخلق والطبيعة والعادة

2) **شبل** : يقال : اشبلت المراة على اولادها : قامت عليهم بعد وفاة زوجها ولم تتزوج .

3) **استجروا** : استجابوا لحكم الجماعة

4) **الاوشـاج** : الـروابط المتصلـة المتشابكة .

5) **تشعب** : تفرق .

فالسياسة هنا وهناك لا تكاد أحزابها تقوم على فكرة جامعة ومبدأ متحد ، إنما هي فرد يَنْبُه فى الخير أو يَنْبُغ فى الشر ، فتأتلف عليه الأفراد المختلفون فيكون منهم مكان النظام من العِقْد يمسكه مادام حيا قويا ، فاذا انقطع ذهب الحب أباديد . والاقتصـــاد هنا وهناك جهود فردية تخشى المنافسة وتتعجل الربح وترضى بالنصيب الاخس ، لأن الفردية قتلت فينا الثقة فلا نساهم فى رأس مال ، وأضعفت شعورنا بالخير العام فلا نشارك فى مشروع ونشرت بيننا داء الحســد فلا نستقيم على رأي جميع . وما النهضة الاقتصادية الحديثة الا نبوغ فرد أَنَسَ الناس بناحيته واطمأنوا الى كفايته ، فأخلدوا اليه بالثقة وألقوا فى يده المقاليد . والأدب هنا وهناك لاتزال دوافعه فردية ومراميه خاصة ، فالقصيدة عواطف الشاعر لا تكاد تخرج عن دخائل نفسه ومدارج حسه ، والمقالة خواطر الكاتب لا تكاد ترمي الى غرض محدد ولا تجرى فى مذهب معين ، والأغنية لواعج المغني فلا تعبر عن المعاني العامة ولا تهتف بالأماني المشتركة . أما الملاحم القومية والقصص الاجتماعية والأناشيد الشعبية فتلك أغراض لاتزال منابعها ناضبة ودوافعها دخيلة .

يأخذ الفرد حال من الوجد أو الشوق أو الطرب فيجد من القصائد والأناشيد ما يترجم عن هذه الحال فيدندن ويتغنى . وتكون الجماعة منا فى مجمع من المجامع أو ملهى من الملاهي أو موكب من المواكب فيأخذها انفعال مشترك من ابتهاج واحتجاج أو افتخار أو تحمس ، فتريد أن تعبر عن ذلك بقول واحد وصوت واحد ونغم واحــد ، فلا تجد الا خلجات تنوقد ، ونظرات تتردد ، ثم سكونا باردا كعرق المبهوت الخجل . حتى السلام الوطني نعرفه نغما ولا نعرفه كلما ، كأنما وضعوه لأمة بكماء .

كذلك الفن هنا وهناك لا يجد من حرج الفردية مكانا للتنوع ولا مجالا للتقدم . فالتصوير كالشعر قلما يتعدى صـورة الفرد وعاطفته . والرقص حتى من الرجال لا يكون الا من فرد ، ولا يظهر من هذا الفرد

الا متعاقبا على أجزاء خاصة من جسمه كالعجز والبطن والثديين والعنق فهو حركات متقطعة مستقلة كأبيات القصيدة فى العصور الخالية لا تربطها علاقة ولا تجمعها وحدة . والغناء والموسيقى يقعان دائما على أصوات مفردة وتقاسيم مرددة ، وفرديات (مونولوجات) متشابهة ، ومعان متكررة . فليس لنا ــ حتى ولا للقرويين ــ غناء جماعي ولا رقص جماعي يعبران عن شعور الجماعة ساعة الطرب أو الغضب أو النصر بكلمات موقعة وحركات موزونة . ولكل أمة من أمم الأرض أفنان شتى من ذلك حتى الزنوج .

إن الفردية تعلو فتكون الاستبداد ، وتسفل فتكون الأنانية ، وان الجمعية ترتفع فتكون الانسانية وتنخفض فتكون العصبية . وان بين الانسانية والعصبية شعبا يعز وأمة ترقى وذكرا يبقى وأثرا يخلد . ولكن بين الاستبداد والأنانية تحكم الهوى وشقاء العيش وذل الأبد . فاذا رأيت الأحزاب تتناقص وتنحل ، ومشروعات الشباب تضعف وتعتل ، وادارة الحكومة تسوء وتختل ، فارجع علل ذلك ــ غير مخطىء ــ الى هذه الفردية حين تتعلّى فتستبد ، أو حين تتدلى فتستأثر ، فلولا هذا الطبع الاصل الذي طغى على الشعور وبغى على الفطرة لتنبه فينا الضمير الاجتماعي فأخلصنا للأمة كما نخلص للأسرة ، وعملنا فى الديوان كما نعمل فى البيت ، وأحببنا لعامة الناس ما نحب لخاصة النفس ، ولكن الفردية داء دخيل لا يحسمه الا الدين الذي حسمه عن نفوس العرب حين اتبعوه . فهل الى رجوع اليه من سبيل ؟ .

[احمد حسن الزيات]

«وحي الرسالة»

9

التعـاون (*)

تمهيـــــد :

« كليلة ودمنة » من القصص الحيواني الذي يهدف الى تهذيب النفس واصلاح الأخلاق ، ويعكس حكمة الشرق وثقافته ، وقد نقل الى كثير من اللغات الاجنبية .

والنص التـالي ، من بـاب « الغراب والمطـوقة والجرذ » ، وهو مثـل الإخـوان المتصلين بالمودة المتعاونين فى الضيق .

النـص :

«قال الملك لبيدبا (1) : قد سمعت مثل المتحابين يقطع بينهما الخؤون المحتال ، فاضرب لي مثل اخوان الصفا وكيف يكون بدء تواصلهم واستماع بعضهم من بعض .

قال العالم العاقل : انه لا يعدل بصالح الاخوان شيء من الأشياء لأن الاخوان هم الاعوان على الخير كله والمؤاسون عند الشدائد . ومن أمثال ذلك مثل الغراب والحمامة المطوقة والجرذ .

قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

قال الفيلسوف : زعموا أنه كان بأرض من الأرضين مكان كثير الصيد يتصيد فيه الصيادون وكان فى ذلك المكان شجرة عظيمة كبيرة الغصون ملتفة الورق وكان فيها وَكْر غراب . فبينما الغراب ذات يوم على الشجرة إذ أبصر رجلا من الصيادين قبيح المنظر سيىء الحال على عاتقه شَرَكَ (2) يحمله وفى يده عصاه مقبلا نحو الشجرة . فذعر منه الغراب وقال : لقد

(*) عبد الله بن المقفع من أكبر كتاب العربية . فارسي الاصل . مات فى أوائل القرن الثاني الهجري . 759 م كان مفكرا يخضع الفن للفكر . واحتفاؤه بالمعنى دفعه الىاستخدام الاسلوب المنطقي فى كتابته . من آثاره : الادب الصغير والادب الكبير ، وكليلة ودمنة الذي ترجمه من الفارسية الى العربية ومنه أخذنا لك هذا النص .

(1) **بيدبا** : الفيلسوف الهندي رأس البراهمة لدبشليم ملك الهند .

(2) **الشَّرَك** : ج شُرُك وأَشْرَاك : حبائل الصيد (الفخ).

ساق هذا الرجل الى هذا المكان أمر فسأنظر ماذا يصنع . فأقبل الصياد فنصب شركه ونثر حبه وكمن فى مكان قريب فلم يلبث الا قليلا حتى مرت به حمامة يقال لها المطوقة وكانت سيدة حمام كثير وهن معها . فأبصرت المطوقة وسربـها الحب ولم يبصرن الشرك فوقعن فيه جميعا ، ثم أقبل الصياد اليهن مسرعا فرحا بهن وانفردت كل حمامة منهن عن ناحيتها تعالج نفسها لتفر . فقالت لهن المطوقة : لا تتخاذلن فى المعالجة ولا تكونن نفس واحدة منكن أهم اليها من نفس صاحبتها ولكن لنتعاون جميعا لعلنا نقتلع الشرك فينجي بعضنا بعضا . ففعلن ذلك واقتلعن الشرك فطرن به فى السماء وتبعهن الصياد وظن أنهن لن يتجاوزن قريبا حتى يثقلهن الشرك فيقعن .

فقال الغراب : لأتبعهن حتى أنظر الى ما يصير أمرهن وأمر الصياد . والتفتت المطوقة فرأت الصيـاد يتبعهن لم ينقطع رجاؤه منهن فقـالت لصواحبها : اني أرى الصياد جادا فى طلبكن فان استقمتن فى الفضاء لن تخفين عـليه ولكن توجهن الى العمران فانـه لن يلبث أن يخفى عـليه منتهاكن فينصرف وييأس منكن . وأنا أعرف فيما بلينا به مكانا قريبا من العمران والريف فيه جحر جرذ وهو صديق لي فلو انتهينا اليه قطع عنا هذا الشرك وما عنفنا منه .

فتوجهن حيث قالت المطوقة فخفين على الصياد وانصرف آيسا منهن . ولم ينصرف الغراب بل أراد أن ينظر هل لهن حيلة يحتلنها للخروج من الشرك فيتعلمها وتكون له عدة لأمر إن كان .

فلما انتهت المطوقة بهن الى الجرذ أمـرت الحمام بالوقوع فوقعن ووجدن حول جحر الجرذ مائة ثقب أعدها للمخاوف وكان مجربا للأمور داهية . فنادته المطوقة باسمه وكان اسمه إيزك فأجابها الجرذ من جحره فقال : من أنت ؟ قالت أنا خليلتك المطوقة فأقبل اليها مسرعا . فلما رآها فى الشرك قال لها : ما أوقعك فى هذه الورطة وأنت من الأكياس (3) ؟

(3) الكيّس : العاقل الحاذق .

قالت المطوقة : ألم تعلم ما يفعـل الجهل فى عقل المرء فان الغباوة أوقعتني فى هذه الورطة وهي التي رغبتني فى الحب وأعمت بصري عن الشرك حتى لججت فيه أنـا وأصحابي . وليس أمري وقلة امتناعي من مصائب الدهر بعجيب فقد لا ينجو منها من هو أقوى مني وأعظم شأنا . فقد تكسف الشمس والقمر اذا قضي عليهما ذلك . وقد تصاد الحيتان فى الغمر (4) ويستنزل الطير من الهـواء . والسبب الذي يدرك به العاجز حاجته، هو الذي يحول دون الحازم وطلبته .

ثم إن الجرذ أخذ يقرض العُقَد التي كانت فيها المطوقة . فقالت له المطوقة : ابدأ بعُقَد صواحبي ثم أقبِل على عقدي . فأعادت عليه القول مرارا كل ذلك والجرذ لا يلتفت الى قولها ثم قال لها : قد كررت علي هذه المقالة كأنك ليست لك بنفسك رحمة ولا ترين لها حقا .

فقالت المطوقة : لا تلمني على ما أمرتك به فانه لم يحملني على ذلك الا أني تكلفت الرئاسة على جماعة هؤلاء الحمام فلذلك لهن علي حق وقد أَدَّيْنَ اليّ حقي فى الطاعة والنصيحة وبطاعتهن ومعونتهن نجانا اللـه من صاحب الشرك . وتخوفت ان أنت بدأت بقطع عقدي أن تمل وتكسل عند فراغك من ذلك عن بعض ما بقي من عقدهن . وعرفت أنك إن بدأت بهن وكنت أنا الأخيرة أنك لا ترضى وان أدركك الفتور والملل أن تدع معالجة قطع وثاقي عني .

قال الجرذ : وهذا مما يزيد أهل المودة لك والرغبة فيك رغبة وودا ثم أخذ الجرذ فى قرض الشبكة حتى فرغ منها وانطلقت المطوقة وحمامها الى مكانهن راجعات آمنات .

[عن: عبد الله بن المقفع]
من كتاب : كليلة ودمنة

---

(4) **الغمر** : الماء الكثير .

10

كيف أحتال لنفسي ؟(*)

النــص :

بينما المنصور فى الطواف ليلا ، إذْ سمع قائلا يقول : «اللهم ، إني أشكو اليك ظهور البغي والفساد فى الأرض ، وما يحُول بين الحق وأهله من الطمع ! » فخرج المنصور ، فجلس ناحية المسجد ، وأرسل الى الرجل يدعوه ، فصلى الرجل ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول . فسلم عليه بالخلافة .

فقال المنصور : «ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي فى الأرض ؟ وما الذي يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما أرمضني (1) ».

فقال : «إن أمّنتني يا أمير المؤمنين ، أعلمتك بالأمور من أصولها . والا احتجرت (2) منك ، واقتصرت على نفسي ، فلي فيها شاغل».

قال : «فأنت آمن على نفسك . فقل».

فقال : «يا أمير المؤمنين ، ان الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر فى الأرض من الفساد والبغي لأنت !».

فقال : «فكيف ذلك ، ويحك ! يدخلني الطمع ، والصفراء والبيضاء (3) فى قبضتي ، والحلو والحامض عندي ؟».

---

* من العقد الفريد **لابن عبد ربه** : وهو ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه من أكبر من انجبتهم الاندلس من العلماء والادباء ، كان متضلعا فى الادب والتاريخ والفقه والموسيقى والطب ، ولد بمدينة قرطبة سنة 860 م وتوفي سنة 940 م. من آثاره **«العقد الفريد»** ويعد من الامهات .

1) **ما ارمضني** : ما جعلني احترق غيظا .
2) **احتجرت** : دخلت حجرة تمنعك عني .
3) **الصفراء والبيضاء** : الذهب والفضة .

قال : «وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك ؟ ان الله استرعاك أمر عباده وأموالهم ، فأغفلت أمورهم ، واهتممت بجمع أموالهم . وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص (4) والآجر ، وأبوابا من الحديد ، وحراسا معهم السلاح ! ثم سجنت نفسك عنهم فيها ، وبعثت عمالك فى جباية الأموال وجمعها . وأمرت أن لا يدخل عليك أحد من الرجال الا فلانا وفلانا ، ونفرا سميتهم . ولم تأمر بايصال المظلوم ، ولا الملهوف ، ولا الجائــع العاري اليك . ولا أحد الا وله فى هذا المال حق . فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك ، قالوا : «هذا قد خان الله ، فما لنا لا نخونه !» فائتمروا أن لا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء الا ما أرادوا . ولا يخرج لك عامل فيخالــف أمرهم الا خونوه عندك ، ونفوه ، حتى تسقط منزلته عندك . فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، عظمهم الناس وهابوهم وصانعوهم ، فكــان أول من صانعهم عمالك بالهــدايا والأموال ليقووا بها على ظلم رعيتك . ثم فعل ذلك ذوو المقدرة والثروة من رعيتك ، لينالوا ظلم من دونهم . فامتلأت بلاد الله بالطمع ظلما وبغيا وفسادا . وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك ، وأنت غافل . فان جاء متظلم حيل بينك وبينه . فان أراد رفع قصته اليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك . وأوقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم . فان جاء ذلك المتظلم فبلَغ بطانَتك خبرُه ، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته اليك . فلايزال المظلوم يختلف اليه ، ويلوذ بــه ، ويشكو ، ويستغيث ، وهو يدفعه . فاذا أُجهد وأُحرج ، ثم ظهرتَ ، صرخ بين يديك ، فيضرب ضربا مُبَرِّحًا ليكون نكالا لغيره . وأنت تنظر فما تنكر فما بقاء الاسلام على هذا ؟

«وقد كنتُ يا أمير المؤمنين ، أسافر الى الصين . فقدمتها مرة ، وقد أصيب ملكهم بسمعه . فبكى بكاء شديدا . فحثه جلساؤه على الصبر . فقال : «أما إنى لست أبكي للبلية النازلة . ولكني أبكي لمظلوم يصرخ

---

4) **الجص** : ما يصير كالحجارة فيبنى به .

بالباب فلا أسمع صوته ». ثم قال : «أما إذ قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب . نادوا فى الناس ان لا يلبس ثوبا أحمر الا متظلم !» ثم كان يركب الفيل طرفي النهار ، وينظر هل يرى مظلوما .

«فهذا ، يا أمير المؤمنين ، مشرك بالله بلغـت رأفته بالمشركين هذا المبلغ ، وأنت مؤمن بالله ، من أهل بيت نبيه ، لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك ! فان كنت إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عبرا فى الطفل يسقط من بطن أمه ما له على الأرض مال ، وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه ، فمايزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه . ولست الذي تعطي ، بل الله يعطي من يشاء ما يشاء فان قلت إنما تجمع المال لتشديد السلطان ، فقد أراك الله عبرا فى بني أمية ، ما أغنى عنهم جمعهم من الذهب ، وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع (5) ، حين أراد الله بهم ما أراد . وان قلت إنما تجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه الا منزلة ما تدرك الا بخلاف ما أنت عليه ، يا أمير المؤمنين ! هل تعاقب من عصاك بأشد من للقتل ؟».

فقال المنصور : « لا ».

فقال : «فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ، ولكن بالخلود فى العذاب الأليم ! قد رأى ما عقد عليه قلبك ، وعملته جوارحك ، ونظر اليه بصرك ، واجترحته يداك ، ومشت اليه رجلاك . هل يغني عنك ما شححت عليه من ملك الدنيا ، اذا انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب ؟».

قال : فبكى المنصور . ثم قال : «ليتني لم أخلق ! ويحك كيف أحتال لنفسي ؟ ».

---

5) **الكراع** : اسـم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

فقال : «يا أمير المؤمنين ، ان للناس أعلاما يفزعون اليهم فى دينهم ، ويرضون بهم فى دنياهم ، فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم فى أمرك يسددوك».

قال : «قد بعثت اليهم فهربوا مني».

قال : «خافوك أن تحملهم على طريقتك ولكن افتح بابك ، وسهل حجابك ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ الفيء (6) والصدقات على حلّها ، وقسمها بالحق والعدل على أهلها ، وأنـا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة».

وجاء المؤذنون فآذنوه بالصلاة . فصلى وعاد الى مجلسه . وطلب الرجل فلم يوجد .

[ابن عبد ربه]
من كتاب : «العقد الفريد»

اسئـلة حول المحور

1 ــ يتضح من النصوص السابقة ان ظاهرة «البيروقراطية» لا تختص بهذا العصر ، وانها ظهرت على نحو ما فى عصور سابقة ، ولكنها اتسعت وتفاقمت فى عصرنا الحاضر .
ــ وضح أهم اسبابها فى كل عصر .

2 ــ تناول كل من (الزيات) و ابن (المقـفع) موضوع الفردية ، وتبعات الرئاسة ، وصفة الاستئثار ، فى نصيهما المتعاقبين .
ــ وضح الجوانب التي تعرض لها كل منهما .

3 ــ يلجأ بعض الكتاب الى اسلوب المقارنة بيننا وبين الغرب ، فى اكثر ما يعرضون له من قضايا ومشكلات .
ــ ما رايك فى هذا الأسلوب ؟ وهل يحقق الغرض منه فى كل الظروف والأحوال ؟

4 ــ ما رايك فى أسلوب النـقد الصريح الذي انتهـجه اكثر كتـاب هذه النصوص ؟ والى أي مدى كانوا موضوعيين وايجابيين فى هذا النقد ؟

5 ــ عالجت نصوص هذا الباب مشكلات وامراضا اجتماعية وخلقية مختلفة، تنوعت فيها أساليب العرض بين أسلوب الحكاية ، وأسلوب التقرير والتصوير ، وأسلوب آخر كان للحوار فيه نصيب . .
ــ وازن بين هذه الأساليب ، مبينا أيها اقرب الى نفسك ، واقوى اثرا .

---

6) **الفيء** : الغنيمة من حرب والخراج .

((حـ))

الحضــــــــارة

الحضــارة علم وفن وادب ، وسير حثيث في طريق التطور والتقدم ، وهي مع ذلك كلـه ، سلوك ومبـدا اخلاقي ، وقيم روحية راسخة تنشد الحق والخير والجمال ، وقد اصاب من قــال :

((الحضارة ان لم تكن في قلب الانسان فانها لن تكن في اي مكــان)) .

11

خواطر في بناء الحضارة(*)

تمهيـــــد :

كيف يتم بناء الحضارة والتخطيط لها ؟ وكيف خطط لها غيرنا من الامم التي قطعت اشواطا في هذا المجال ؟ وهل خططنا نحن لحضارتنا منذ خطونا مع اليابان اول خطوة في هذا الطريق منذ اكثر من قرن ؟ ولماذا وصل اليابان وتاخرنا نحن ؟

دونك هذا التحليل القيم الذي تجد فيه الجواب عن هذه الاسئلة .

النـــص :

... اذا أردنا أن نبني مجتمعا أفضل فهذا يعني أننا نبني مجتمعا متحضرا ، وهو بدوره أيضا يعني أنه لابد أن نعمل لتكوين حضارة .

وإن نظرة واحدة الى نهضتنا البعيـــدة ، حينما نهضنا على صوت زعمائنا الأقدمين كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده . حينما سمعنا هذه الأصوات الجليلة وأيقظتنا من سباتنا أين توجهنا ؟ في طريق الحضارة طبعا ، ولكن من غير أن نحدد الهدف ونوضح معالم الطريق ؛ فلو أننا قارنا سيرنا الحضاري بسير حضارة أخرى فسوف نشعر في عصر السرعة هذا ، في العصر الذي يخضـــع فيه التطور الاجتماعي لعوامل التـــاريخ ، عوامل «التسريع» ، بأننا نسير ببطء . وهذه الحقيقة تتجلى بكل وضوح في مقارنة بسيطة ، وحينما استمعنا لأول مرة لمنادي النهضة العربية الاسلامية وهو جمال الدين الأفغاني سنة 1858 نهضنا وبدأنا السير .

ولكن لنقارن سيرنا ونتائجه الاجتماعية بسير مجتمع آخر استيقظ بعد عشر سنوات ، سنة 1868 ، وهو مجتمع اليابان . أيقظه الاستعمار كما أيقظنا نحن ، فقد دقت على بابه يد الاستعمار الحمراء وشعر بأن كيانه

(*) من محاضرة القاها الاستاذ **مالك بن نبي** في طرابلس لبنان سنة 1959 . وهو مفكر جزائري معاصر ، اهتم بمعالجة قضايا الحضارة ، وحاول أن يجد أسباب ضعف المسلمين ، في هذا العصر ، ويدلهم على الطريق الذي يخلصهم من ذلك ، ومن مؤلفاته : «شروط الحضارة» و «الظاهرة القرآنية» .. الخ .

مهدد ففتح الأبواب له ولأفكاره الاستعمارية . غير أن الياباني أدرك أن واجبه أن ينهض وأن يقوم بدور حـاسم قبل أن يسيطر عليه الاستعمار ويمحو شخصيته . فقام وسار فى الطريق نفسه الذي حاولنا أن نسير فيه ، والغريب أن هذا المجتمع الذي نهض بعدنا بعشر سنوات سار الى الحضارة ووصل اليها وأصبح فى خلال أربعين سنة دولة قوية تناهض دولة من العصر الاستعماري وهي دولة روسيا فى ذلك الحين ، فلو قارنا اتاجنا الحضاري سنة 1905 بالاتاج الحضاري للمجتمع الياباني ؛ فانكم ستعترفون بأنه لا مجال للمقارنة ، وهذا يعني أن القانون الذي طبقه المجتمع الياباني فى سيره ليس هو القانون الذي طبقناه فى سيرنا .

فنحن قد مررنا فى طريقنا مر الكرام ، تستوقفنا الأزهار التي فى جنباتها مرة ، وتتسلى بالطيور أخرى ، ونصغي الى صوت أوربا أحيانا ، ونَشيد البلابل الأوربية أحيانا أخرى . أما الياباني فقد فكر فى خطته تفكيرا علميا ، وخطط لها تخطيطا فنيا ، وبعث فى الأنفس حقيقة عامة جعلت كل ياباني يتصل بالمجتمع الياباني كما تـتصل النحلة بخليتها . فماذا فعلنا فى الطريق وماذا فعلت اليابان ؟

إن اليابان قد بنى مجتمعا متحضرا ، فهو قد دخل الاشياء من أبوابها وطلب الاشياء كحاجة . درس الحضارة الغربية بالنسبة الى حاجته ، لا بالنسبة الى شهواته ، فلم يصبح من زبـائن الحضارة الغربية يدفع لها أمواله وأخلاقه . أما نحن فقد أخذنا منها كل رذيلة ، واحيانا نأخذ منها بعض الأشياء الطيبة التي قدرها الله لنا .

فما معنى سيرنا ؟ وما معنى سير اليابان ؟

اذا عبرنا بالتعبير الصحيح ، أعني بمصطلح له معنى اجتماعي ، فان اليابان قد سارت فى الطريق لعمل نسميه البناء . قامت ببناء مجتمع ، ونحن كدسنا عناصر مجتمع ، ولكن تكديس الأشيـاء لا يأتي بنتيجة ، ولكي

ندرك أثر التكديس فى المجتمع ، نفترض أننا كدسنا عناصر البناء لعمارة معينة ، فأتينا بمئات الأطنان من حجر وأسمنت وخشب وحديد ، فاننا لا نستطيع أن نقيم من هذا التكديس بناء ولو بعد مئات السنين ، بينما لو سلكنا طريق البناء فاننا فى شهر واحد نبني على الأقل شقة واحدة .

وهذا يقتضينا أن نفكر فى المجتمع تفكير بناء وليس تفكير تكديس ؛ لأن التكديس فى المجتمع ظاهرة مضرة . وهي تظهر حتى فى الأفكار . فقبل خمسين سنة كنا نتكاتب ونتراسل فى رسائلنا الأدبية والودية فنبتدئ بعد الحمد لله بعشرة أسطر من الديباجات التقليديـــة ، والألقاب ثم نقول : والحمد لله أنا بخير وعلى خير ، وأرجو أن تكونوا بخير والسلام عليكم .

إن علينا أن نكون حضارة ، أي أن نبني لا أن نكدس ، فالبناء وحده هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس ، ولنا فى أمم معاصرة أسوة حسنة .

إن علينا أن ندرك بأن تكديس منتجات الحضارة لا يأتي بالحضارة ، والاستحالة هنا اقتصادية واجتماعية ...

ثم إن هناك مغالطة منطقية ؛ فالحضارة هي التي تكون منتجاتها ؛ وليست المنتجات هي التي تكون حضارة ؛ إذ من البديهي أن الأسباب هي التي تكون النتائج ، وليس العكس ، فالغلط منطقي ثم هو تاريخي ؛ لأننا لو حاولنا هذه المحاولة فاننا سنبقى ألف سنة ونحن نكدس ثم لا نخرج بشيء ...

إن أول ما يجب علينا أن نفكر فيه حينما نريد أن نبني حضارة ، أن نفكر فى عناصرها تفكير الكيمياوي فى عناصر الماء اذا أراد تكوينه ، فهو يحلل الماء تحليلا علميا ويجد أنه يتكون من عنصرين : عنصر الايدروجين وعنصر الأوكسجين . ثم إنه بعد ذلك يدرس القانون الذي يتركب به هذان العنصران ليعطيانا الماء ، وهذا بناء ليس بتكديس ؛ ذلك لأنه لو كدس ملايين الأطنان من الايدروجين والأوكسجين ثم بقي ينتظر أن يتكون الماء ،

فانه لا يتكون وحده إلا بأن يبعث الله اليه شرارة من عنده . فحينما نحلل منتجات الحضارة ، ولنأخذ أيا منها ولتكن هذه الورقة فاننا نجدها تتكون من عناصر ثلاثة ـ الانسان ـ لأنه هو الذي اخترعها بفكره وصنعها بيده حين اخترع الفكر الانساني الورق . فالعنصر الأول إذن الانسان . أما العنصر الثاني فهو التراب . إذ من التراب كل شيء فى الأرض وفى باطنها ... وأما العنصر الثالث فهو الزمن لأنه اذا صح ما أقول ، فلماذا لم يخترع الفكر الانساني الورق قبل هذا التاريخ ؟ ان الجواب عن ذلك هو نقص تجاربه فى هذا المضمار ، وفى مضمار علم التراب والنبات . فالزمن قبل ذلك التاريخ لم يكف لتخمر فكرة ابتكار الورق .

إذن يجب أن تجتمع عناصر ثلاثة حتى يتكون منها الورق .

الانسان ـ التراب ـ الوقت

فأنا إذن أمام كل منتوج حضاري أكتب معادلة كما يكتب الكيمياوي حينما يحلل الماء إذ يقول :

مـاء = إيدروجين + أوكسجين .

وأنا حينما أحاول التخطيط لحضارة فليس علي أن أفكر فى منتجاتها وإنما فى أشياء ثلاثة فى الانسـان والتراب والـوقت ، فحينما أحل هذه المشكلات الثلاث حلا علميا ، بأن أبني الانسـان بناء متكاملا ، وأعتني بالتراب والزمن ، فانني أكون قد كونت المجتمع الأفضل ، كونت الحضارة التي هي الاطار الذي فيه تتم للفرد سعادته ؛ لأنه يقدم له الضمانات الكافية الاجتماعية .

[مالك بن نبي]

من كتابه : «حديث فى البناء الجديد» بتصرف

مع النص

1) متى بدأ سيرنا فى طريق بناء الحضـــارة ؟ ومن قام بدور الريادة فى هذا المجال ؟

2) كيف كان موقفنا من الحضارة الغربية ؟ وكيف كان موقف اليابان منها ؟ وضح مقارنة الكاتب بين الموقفين .

3) ما الطريق الصحيح لبناء الحضارة فى نظر الكاتب ؟

4) متى تبرز ظاهرة التكديس فى المجتمع ؟ وفى اي مرحلة من مراحل تاريخه ؟

5) الوسائل هي التي تخلق الحضارة ، أم الحضارة هي التي تخلق الوسائل ؟ وضح ذلك بالامثلة .

6) ما المقياس الذي يراه الكاتب كفيلا بتحقيق سيرنا فى الطريق الصحيح لبناء الحضارة ؟ وما العناصر التي تؤلف هذا البناء فى رأيك ؟

تقويم النص

ا ـ الأفكار :

1) ناقش رأي الكاتب فى المقارنة التي اجراها بين موقفنا وموقف اليابان من الحضارة الغربية ؟ وفى النتائج التي وصل اليها ؟

2) يقول الكاتب : بدأ اليـــابان يسير فى طريق بناء الحضـــارة بعدنا بعشر سنوات فلماذا تقدم في ذلك ، وتأخرنا نحن ؟ وهل تشاطره رأيه في التحليل الذي اورده في النص ؟ وضحْ .

3) ما رأيك في الطريق الذي ينهجه الوطن العربي عامة ، والجزائر خاصة في بناء النهضة ؟ اهو طريق البناء ؟ ام طريق التكديس ؟ حلل وناقش

4) انتهى الكاتب فى الأخير الى معادلة وضع فيها العناصر الاساسية لبناء الحضارة . ما رأيك فى هذه المعادلة ؟

ب ـ الأسلوب :

1) ما رايك فى اسلوب الكاتب فى النص ؟ وما السمة البارزة فيه ؟ اهي السمة الأدبية ، أم السمة العلمية ؟ وما الفرق بين الاسلوبين : الادبي والعلمي فى نظرك ؟

2) هل تجد للكاتب في النص لمحات ذكية بارعة تضفي على النص حيوية وطرافة ؟ وضحها .

استثمار النــص

أ ـ سجل في كراسك الخاص :

1) وقفنا نحن من الحضارة الغربية موقف الزبون ، ووقف اليابان منها موقف التلميذ فتقدم اليابان وبقينا نحن في مكاننا .

2) ان اليابان قد بنى مجتمعا متحضرا لأنه دخل الاشياء من أبوابها ، وطلب الاشياء من الحضارة الغربية بالنسبة لحاجته ، وليس بالنسبة لشهواته

3) الحضارة هي التي تكون منتجاتها ، وليست المنتجــات هي التي تكون حضارة .

ب ـ لاحــظ :

أ ـ لاحظ كلمة «دقت» فى الصفحة الأولى من النص ـ وما لها من وجوه استعمال متعددة مثل : دق جسمُه : صغر ـ دق الشيء : كسره ـ دق الباب : قرعه ـ دقت الساعة : عينت الزمان بدقاتها .

ج ـ طبق :

1) بين ما لكلمة «**طلب**» الواردة فى النص ـ من معان ووجوه استعمال اخرى فى جمــل من عنــدك .

2) انسج على منوال العبارة الآتية :
ولسائل هنا أن يسأل : ترى ما معنى التكديس ؟ وما الفرق بينه وبين البناء ؟

3) حــرر :

اكتب موضوعا تبرز فيه مظاهر النهضة العربية الحاضرة ، واذكر ما تراه فيها من الجوانب الايجابية والسلبية حسب المقاييس التي قرأتها فى النص

12 نحن المسلمين(*)

النص :

— سلوا عنا ديار الشام ورياضها ، والعراق وسوادها ، والأندلس وأرباضها ؛

— سلوا مصر وواديها ؛

— سلوا الجزيرة وفيافيها ؛

— سلوا الدنيا ومن فيها ؛

— سلوا بطاح افريقية ، وربوع العجم ، وسفوح القفقاس ؛

— سلوا حفافي الكنج ، وضفاف اللوار ، ووادي الدانوب ؛

— سلوا عنا كل أرض فى (الأرض) ، وكل حي تحت السماء ؛

— إن عندهم جميعا خبرا من بطولاتنا ، وتضحياتنا ، ومآثرنا ، ومفاخرنا ، وعلومنا ، وفنوننا ،

نحن المسلمين

نحن المسلمين

— هل روى رياض المجد إلا دماؤنا ؟

— هل زانت جنات البطولة إلا أجساد شهدائنا ؟

— هل عرفت الدنيا أنبل منا أو أكرم ، أو أرأف أو أرحم ، أو أجل أو أعظم ، أو أرقى أو أعلم ؟

(*) للأستاذ **علي الطنطاوي** : وهو اديب سوري معاصر ، يتميز بجزالة الأسلوب وطرافته ، وبطلاوة العبارة • شغل مناصب القضاء مدة طويلة ، يقيم الآن فى العربية السعودية . من آثاره : رجال من التاريخ ، وقصص من التاريخ .

— نحن حملنا المنار الهادي والأرض تتيــه فى ليل الجهل وقلنا لأهلها : هذا الطريق ؛

— نحن نصبنا موازين العدل يوم رفعت كل أمة عصا الطغيان ؛

— نحن بنينا للعلم دارا يأوى اليها حين شرده الناس عن داره ؛

— نحن أعلنا المساواة يوم كان البشر يعبدون ملوكهم ويؤلّهون ساداتهم ؛

— نحن أحيينا القلوب بالايمان ، والعقول بالعلم ، والناس كلهم بالحرية

نحن المسلمين

— نحن بنينا الكوفة والبصرة والقاهرة وبغداد ؛

— نحن أنشأنا حضارة الشام والعراق ومصر والأندلس ؛

— نحن شدنا بيت الحكمة والمدرسة النظــامية وجامعة قرطبة والجامع الأزهر ؛

— نحن عمرنا المسجد الأموي ، وقبة الصخرة ، وَسُرَّ مَنْ رَأَى، والزهراء ، والحمراء ، ومسجد السلطان أحمد ، وتاج محل .

نحن المسلمين

— منا أبوبكر وعمر ونور الدين وصلاح الدين وأورنك زيب ؛

— منا خالد وطارق وقتيبة وابن القاسم والملك الظاهر ؛

— منا البخاري والطبري وابن تيمية وابن القيم وابن حزم وابن خلدون ؛

— منا الغزالي وابن رشد وابن سينا والرازي ؛

— منا الخليل والجاحظ وأبوحيان ؛

— منا أبوتمام والمتنبي والمعري ؛

---

1) **تاج محل** : ضريح اقامه الملك شــاه جهان فى الهند لــزوجته ارجمند (1631) وهو تحفة فنية عالمية .

— منا معبد واسحاق وزرياب ؛

— منا كل خليفة كان الصورة الحية للمثل البشرية العليا وكل قائد كان سيفا من سيوف الله مسلولا وكل عـالم كان من البشر كالعقل من الجسد .

— منا مائة ألف عظيم وعظيم .

نحن المسلمين

— قوتنا بايماننا ، وعزنا بديننا ، وثقتنا بربنا ؛

— قانوننا قرآننا ، وامامنا نبينا ، وأميرنا خادمنا ؛

— وضعيفنا المحق قوي فينا،وقوينا عون لضعيفنا ؛

— وكلنا إخوة فى الله ، سواء أمام الدين .

نحن المسلمين

نحن المسلمين

— مَلَكْنا فعدلنا ، وبنينا فأعلينا ، وفتحنا فأوغلنا ، وكنا الأقوياء المنصفين ، سَنَنَّا فى الحرب شرائع الرأفة ، وشرعنا فى السلم سنن العدل ، فكنا خير الحاكمين ، وسادة الفاتحين ؛

— أقمنا حضارة كانت خيرا كلها وبركات ، حضارة روح وجسد ، وفضيلة وسعادة ، فعم نفعها الناس ، وتفيأ ظلالها أهل الأرض جميعا . وسقيناها (نحن) من دمائنا وشدناها على جماجم شهدائنا ؛

— وهل خلت أرض من شهيد لنـا قضى فى سبيل الاسلام والسلام ، والايمان والأمان ؟

نحن المسلمين

— هل تحققت المثل البشرية العليا إلا فينا ؟

— هل عرف الكون مجمعا بشريا (إلا مجمعنا) قام على الأخلاق والصدق والايثار ؟

— هل اتفق واقع الحياة ، وأحلام الفلاسفة وآمال المصلحين ، إلا فى صدر الاسلام ؟

— يوم كان الجريح المسلم يجود بروحه فى المعركة يشتهي شربة من ماء فاذا أخذ الكأس رأى جريحا آخر فآثره على نفسه ومات عطشان .

— يوم كانت المرأة المسلمة يسوت زوجها وأخوها وأبوها فاذا أخبرت بهم سألت : ما فعل رسول الله ؟ فـاذا قيل لها : هو حي ، قالت : كل مصيبة بعده هينة .

— يوم كانت العجوز ترد على عمر وهو على المنبر فى الموقف الرسمي وعمر يحكم احدى عشرة حكومة من حكومات اليوم .

— يوم كان الواحد منا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويؤثره عليها ولو كان به خصاصة .

— وكنا أطهارا فى أجسادنا وأرواحنا ومادتنا والمعنى .

— وكنا لا نأتي أمرا ولا ندعه ولا نقوم ولا نقعد ولا نذهب ولا نجيء إلا لله .

— قد أَمَتْنَا الشهوات من نفوسنا فكان هوانا تبعا لما جاء به القرآن .

— لقد كنا خلاصة البشر وصفوة الانسانية .

— وجعلنا حقا واقعا ما كان يراه الفلاسفة والمصلحون أملا بعيدا .

نحن المسلمين

— تُنظَم فى مفاخرنا مائة ألياذة (2) وألف شاهنامه (3) .

---

2) **الالياذة** : ملحمة شعرية خـالدة للشاعر اليوناني هوميروس القرن 9 ق م .

3) **الشاهنامه** : ملحمة شعـرية فى اخبار ملوك فـارس واساطيرهم للفردوسي (المتوفى 1020 م)

ـــ ثم لا تنقضي أمجادنا ولا تفنى ، لأنها لا تعد ولا تحصى .

ـــ من يعد معاركنا المظفرة التي خضناها ؟

ـــ من يحصي مآثرنا فى العلم والفن ؟

ـــ من يستقري نابغينا وأبطالنا ؟

ـــ الا الذي يعد نجوم السماء .

ـــ ويحصى حصى البطحاء .

ـــ اكتبوا (على هامش السيرة) ألف كتاب .

ـــ و (على هامش التاريخ) مثلها .

ـــ وأنشئوا مائة فى سيرة كل عظيم .

ـــ ثم تبقى السيرة ويبقى التاريخ كالأرض العذراء والمنجم البكر .

نحن المسلمين

ـــ لسنا أمة كالأمم تربط بينها اللغة ففي كل أمة خير وشرير .

ـــ ولسنا شعبا كالشعوب يؤلف بينها الدم ففي كل شعب صالح وطالح ، ولكننا جمعية خيرية كبرى .

ـــ أعضاؤها كل فاضل من كل أمة ، تقي نقي .

ـــ تجمع بيننا التقوى إن فصل الدم ، وتوحد بيننا العقيدة إن اختلفت اللغات وتدنينا الكعبة إن تناءت بنا الديار .

ـــ أليس فى توجهنا كل يوم خمس مرات الى هذه الكعبة ، واجتماعنا كل عام مرة فى عرفات رمـــز الى أن الاسلام قومية جامعة ، مركزها الحجاز العربية وإمامها النبي العربي وكتابها القرآن العربي .

نحن المسلمين

ـــ ديننا الفضيلة الظاهرة ، والحق الأبلج .

ـــ لا حجب ولا أستار ولا خفايا ولا أسرار .

— هو واضح وضوح المئذنة . أفليس فيها ذلك المعْنى ؟

— هل فى الدنيا جماعة أو نحلة تكرر مبادئها وتذاع عشر مرات كل يوم ؟

كما تذاع مبادئ ديننا نحن المسلمين ، على ألسنة المؤذنين :

أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

نحن المسلمين

— لا نهن ولا نحزن ومعنا الله .

— ونحن نسمع كل يوم ثلاثين مرة هذا النداء العلوي المقدس هذا النشيد القوي : الله أكبر .

— البطولة سجية فينا ، وحب التضحية يجري فى عروقنا .

— لا تنال من ذلك صروف الدهر ، ولا تمحوه من نفوسنا أحداث الزمان .

— لنا الجزيرة التي يشوى على رمالها كل طاغ يطأ ثراها ويعيش أهلها من جحيمها فى جنات .

— لنا الشام وغوطتها التي سقيت بالدم ، لنا فيها الجيل الأشم .

— لنا العراق لنا (الرميثة) وسهول الفرات ؛

— لنا فلسطين التي فيها (جبل النار) ؛

— لنا مصر دار العلم والفن ومثابة الاسلام ؛

— لنا المغرب كله ، لنا (الريف) دار البطولات والتضحيات ؛

— لنا القسطنطينية ذات المآذن والقباب ، لنا فارس والأفغان والهند وجاوة ؛

— لنا كل أرض يتلى فيها القرآن وتصدح مناراتها بالأذان ؛

— لنا المستقبل . . المستقبل لنا إن عدنا الى ديننا .

نحـن المسلمين .

علي الطنطـاوي

من كتـابه « قصص من التاريخ »

13 الهوة .. بيننا وبينهم

النـــص :

ــــ إنني لا أنفعل ولا أتأثر لهذه الحملة التي تقوم بها ، لأني أعلم أنك فيها مجرد ضحية : ضحية استهواء الحياة العصرية لفكرك الناشيء الملتهب ، ولاخلاصك الساذج لبلادك وشعبك وأخيرا «لتشعبك» بما رميتك به يوما وما اعترفت به انت نفسك من عقد امام هذا البهرج الذي يخطف الأبصار والذي تقدمه لنا الحياة العصريـــة بآلاتها ومصانعها وأضوائها وفنونها الاجرامية المتقنة المحبوكة ونسائها وألعابها الرياضية و ...

ــــ دعني أعنك على سرد هــذه المعطوفات فأقول : ... وعلومها وجامعاتها وفنونها وفلاسفتها واحترامها لحرية الانسان ــ فيها على الأقل ــ ودساتيرها المشرقة وقوانينها التي تحترمها وأخلاقها الايجابية الخلاقة . نعم كل هذا يبهرني وأقف أمامه معجبا لا أتمالك عن الاعتقاد بأنه شيء يستحق أن ينعت بالتقديس لأن الانسان لم يسبق له فى تاريخه الذي لا نعرف له بداية ولا نهاية ــ أن عرف هذه (الجنة) الزاخرة بكل ألوان عبقريته الكامنة ولأن ما وصلت اليه الحضارة الحديثة من تفتح فى العلم والمعرفة لم يستطع أي فيلسوف فى التاريخ أن يتخيله أو يحلم به . إن إنسان اليوم هو الانسان الكامل بقدر ما يستطيع الانسان أن يحققه من كمال .

ــــ وانني لا آسف إلا على شيء واحد هو أن نرحل عن هذا العالم ــ أنا واياك ــ قبل أن نرى أمتنا تنعم بهذه (الجنة) مثل الانسانية الاخرى الراقية .

ــــ ألم أقل لك إن خيالك جامح لا يهدأ له جناح : حتى ذكرك لعناصر هذه الحضارة تقتصر فيه على جوانبها الايجابية الناضجة ولا تلمح بكلمة الى جوانبها السلبية التي يشتكي منها ــ ويعترف بها ــ أبناؤها أنفسهم .

ـــ نعم ، أفعل ذلك عمدا لأنكم أنتم ـــ أقصد انت وأمثالك ـــ لا تذكرون الحضـــارة إلا فى معرض مساوئها وكأنـــكم تسلون أنفسكم وتعوضون بذلك عن شعوركم بالحرمان منها وكأنكم تقولون لأنفسكم : لا داعي لأن نأسف لتأخرنا وحرماننا من التقدم ماذا استفاد منه أصحابه إلا المتاعب والأمراض العصبية والاجهاد الفكري وفقدان الراحة وقضاء الحياة فى دوامة سريعة لا يشعر فيها الانسان بحياته كيف انقضت ؟ وتنسون بهذه المخادعة لأنفسكم أن كل حضارة لابد فيها من مساويء بقدر ما يكون فيها من محاسن ، وتنسون بالخصوص أن حضارة القرن العشرين محاسنها اكثر بكثير من مساوئها بل إنني أخشى أن يكون أمركم أدهى من ذلك وأمر . أخشى أن يكون نفوركم من الحضارة الحديثة سببه هو عجزكم عن هضمها وحمل أعبائها ومسئولياتها ، وفراركم مما تقتضيه هذه الحضـــارة من يقظة فكرية مستمرة ، وأفكاركم أنتم تعودت الهدوء والفراغ وصمت الصحراء وحوافر الماشية ، فهي تتضايق من دوي المحركات وسرعة الخطى والاطلاع ـــ فى يوم واحد ـــ على ما لم يكن يطلع عليه أجدادكم طيلة عام من أسرار ومعلومات واكتشافات يومية ، إنكم فريق من المثقفين يتعبكم الخلق والابتكار والفهم فتؤثرون أن توكلوا أمر تصرفاتكم فى الحياة الى «الأتباع» ووضع الحافر على الحافر بدل السير وحدكم والمحافظة على توازن خطاكم بأنفسكم ، إن ما أخشاه أن تكونوا أنتم الـــذين أوحيتم لبعض مفكري الغرب بما يعتقدونه من أن العقل الشرقي عقل كسول وقلبه قلب بكاء وعينه عين دموع . وان المعري كان أعمى فقضى حياته يندب حظ الانسانية بأشعاره . وان «هوميروس» كان أعمى مثله ولكنه خلف ـــ فى أشعاره ـــ نماذج لروح البطولـــة والابتسام والتفاؤل والاندفاع لعناق الحياة . لقد قالوا عنا هذا التعريف الغريب : الشرقي شعلة فى القلب وعجز فى اليد واذا كنت لا تشعر بوخزة من شوكة التعريف ـــ ولو كان باطلا ـــ فاسمح لي بأن أهنئك على راحة ضميرك الميت .

ـــ نعم، أعترف لك بأن هذا التعريف لا يخزني بشوكة ولا يطير النوم عن جفني لأني أعرف أن هذا الحكم صادر عن تعصب أعمى لا أعيره أية قيمة ..

ـــ وهكذا تكون قد استرحت من كل مسئولية فى محاولة الرد على التهمة ردا بالعمل والنهوض لا بالقول والاسترخاء وهنا أحكم عليك وعلى كل من تمثلهم بتثاؤبك أنكم لا تقرأون حتى ما يقال عنا .

ـــ فهل تتفضل أنت علي بشيء مما كتبه أو قاله عنا ـــ هؤلاء ـــ الذين تخشاهم وتتصيد أقوالهم وتجعلها مقياسا لرقينا نحن أو تأخرنا وأنت ترتجف هلعا مما يقولونه عنا من سوء وتنشرح وتتهلل أساريرك فرحا لما يقولونه من إطراء . هؤلاء يا سيدي ماذا قالوا عنا من سوء ؟

ـــ أرجوك أولا أن لا تخدع نفسك بكلمة «قالوا عنا وقالوا فينا» وأنت تتصور أن هذا القول هو من نوع الاغتياب وأكل لحوم الناس ، او أنه من نوع حديث الجارة لجارتها عن جارتها الثانية . كلا ، إننا لا نزعجهم ولا نضايق حياتهم الى حد أنهم يعجزون عن مجابهتنا بالحقيقة فيعمدون الى الغيبة فينا والنميمة ، وإنما الذي يقولونه عنا هو من نوع الدراسة والبحث : يريدون أن يتوصلوا الى فهم حقيقتنا كما يدرسون ظواهر الطبيعة أو طبقات الأرض أو تقلبات الجو وحياة الجراثيم . كل شيء عندهم خاضع للدراسات والبحث لقد تجاوزوا مرحلة الغيبة والنميمة وهم يدرسونها ليتمكنوا من استغلالنا على «أفضل» وجه من وجوه الاستغلال ، وهذا الاستغلال الناجح لا يتوصلون اليه إلا اذا لم يخطئوا فى دراستهم . وأنت عندما تصدر حكمك عليهم من الوهلة الأولى بأن أحكامهم تعصبية فانك لا تضر حكمهم فينا بل تضر نفسك فقط لأن هذا الوهم الخاطيء الكسول يحرمك حتى من الاطلاع على ما يفكر فيه نحوك من يريد أن يتصيدك وينقضّ عليك وأنت فى غفلة من تحركاته الأفعوية الخطيرة .

فاذا كنت أنت تنظر الى نفسك على أنك تحمل وراءك حضارة «بهرت العالم» وأنك اليوم تستطيع أن تعيد تلك الحضارة المنقرضة الى الوجود مرة أخرى بنفس وسائلها القديمة وتغني بها ثروة الانسانية الى آخره .. فانهم هم يدرسونك ــ وألح على كلمة يدرسون ــ من زاوية الفواصل التي تفصل بيننا وبينهم ويبحثون أولا فى أسباب هذه الفواصل ومقدار هذه الهوة ، ويرون أن كل رغبتنا فى الالتحاق بهم لا تكفي فى قطع المسافة التي تفصلنا عنهم فى ميدان التطور : هم يرون أن نقطة انطلاقنا اليوم نحو المستقبل ضعيفة جدا من ناحية الموارد الاقتصادية لأن ثرواتنا الوطنية منخفضة جدا اذا قيست بثرواتهم هم المستغلة المنظمة . ويرون أن النسبة بين مواردنا الاقتصادية الضعيفة وازدياد عدد السكان أي عدد الأفواه التي تفتح كل يوم طالبة الخبز ــ هي نسبة مخيفة تجعلنا عاجزين باستمرار عن تقريب هذه النسبة نظرا لكون انتاجنا فى المواليد ــ أي المستهلكين ــ إنتاجا يدعو الى الاعجاب ولكن انتاجنا للسواد التي تستهلكها تلك المواليد إنتاج لا قيمة له ، اننا نلد وندفع الى الشارع ولا نربط أي علاقة بين انتاجنا فى البشر وانتاجنا لما يستهلكه البشر أو ان شئت بعبارة أخرى نشاطنا الجنسي أكثر بكثير من نشاطنا الذهني والاقتصادي هذه نقطة أولى من دراستهم لوضعنا .

النقطة الثانية : مسألة القانون ، نعم القانون لا تتعجب ، الأوربيون يرون أن الجزء الأكبر من نجاحهم الحضاري يعود الى احترامهم للقانون ، حكومة وشعبا ، والقانون فى كل الميادين : القانون فى البحوث العلمية ، والقانون فى السياسة ، والقانون فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية بكل فروعها وجوانبها ، ويرون أننا نحن ، مسألة القانون هذه ليست عندنا إلا لفظة ميتة لا نعرف قيمتها أو هي حيلة تستعملها الحكومات لاستغلال شعوبها وتستعملها الشعوب لسرقة حكوماتها : القانون عندهم أداة لبناء

الدولة والاقتصاد وتنظيم حياة الشعب . وهو عندنا أداة تخريب وعبث واحتيال .

النقطة الثالثة : أن هذه الشعوب الجديدة أو النامية أو المتخلفة جاءت نهضتها فى وقت غير مناسب لها : أوربا أستطاعت أن تنهض بسرعة فى الميدان الاقتصادي على الخصوص لأنها استطاعت أن تجعل من مستعمراتها أسواقا لمنتوجاتها الصناعية وتجعل منها فى الوقت نفسه موردا للمواد الأولية بأسعار لا نقول رخيصة بل بأسعار رمزية ! أما اليوم فان هذه الشعوب النامية لا تملك هذه الوسيلة المزدوجة فهي تستخرج موادها الأولية والمنجمية مثلا بأثمان باهظة لأن الخبراء الذين تستخدمهم يطلبون أجرة مرتفعة ولأنها لا تستطيع أن تستغل عمالها كما كان يفعل معهم المستعمر ثم هي عندما تنتج مصنوعات ما لا تستطيع أن تنافس بها مصنوعات الدول الراقية فى الأسواق العالمية ولا يستطيع شعبها وحده أن يستهلك كل منتوجاتها الصناعية لضعف مقدرته الشرائية من ناحية ولأن المصنوعات لا تكون مربحة إلا اذا أنتجت بكميات ضخمة تزيد على الحاجة المحلية .

هذا يا صاحبي نوع من دراستهم لأحوالنا أقدمه لك كمثل فقط حتى تعلم أن المسألة أبعد ما تكون عن الغيبة والنميمة وبقية الدوافع البدائية وهي أجل قيمة من ذلك وأخطر شأنا !

— وأنت ــ طبعا ــ تصدق كل هذه «الدراسات» كما لو أنزلت من حكيم حميد ؟ وتصديقك لها يعني أننا سنبقى دائما فى المؤخرة ويبقون هم دائما فى المقدمة ألا ترى كيف ارتدت ثورتك الى استسلام ؟

أما أنا فاني لا أصدق هذه «الدراسات» وأراها نوعا ذكيا من التخدير قد ينطلي على المعجبين منا بكل ما فى الغرب ، ولكنه لا ينطلي على المؤمنين منا بشعبهم وبامكانياتنا الخلاقة .

عبد الله شريط
«معركة المفاهيم»

14

الحـــواجز
التي منعت أوربا من فهم العرب

النـــص :

حدثني «الجنرال ديغول» يوما عن علاقات فرنسا مع العالم العربي فقال : « إن التجارة والاقتصاد والثقافة ، كلها أمور مهمة ، ويجب أن نتكلم عما يجري فيه العمل من هذه الأمور ، لأنها هي التي تهيئ المستقبل . يجب أن ننظر الى الغد . انظروا مثلا الى الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط ، تجدوا بلدانا فى طريق النمو ، ولكن توجد عند أهلها حضارة أيضا ، وثقافة وإنسانية وحس بالعلاقات الانسانية لا نجدها فى مجتمعاتنا نحن الدول المصنعة . ولعله يسعدنا يوما أن نجدها عندهم .

إننا وإياهم جميعا نتقدم ، نحو حضارة صناعية . ولكن اذا أردنا أن نكون حضارة حول البحر الأبيض المتوسط مهد الحضارات ، واذا أردنا أن لا تكون هذه الحضارة على الطراز الأمريكي ، حتى يكون فيها الانسان غاية لا وسيلة ــ اذا أردنـا كل ذلك ، فيجب أن تنفتح ثقـافتانا انفتاحا واسعا ــ نحو بعضهما البعض ».

أود من ناحيتي أن أتحدث ــ بالخصوص ــ عن الحواجز التي تشكل عرقلة فى طريق هذا التلاقي . والبحث فى هذه العراقيل ، أليس هو من نوع البحث عن أسباب المرض لايجاد أنجع الأدوية ؟ وهذه الحواجز منها نوع تاريخي ، ونوع اجتماعي ، ومنها نوع آخر سياسي .

الحواجز التاريخية :

في المجتمع الأوربي كثيرا ما نثير ذكريات الحروب الصليبية والغزو العربي «لبواتي» ، والنزاع التقليدي بين الصليب والهلال ، كل ذلك نفسر به موقف التحرز ، إن لم يكن موقف العداوة ـ كما لو كانت العداوة هي دائما القاعدة ـ وفي كثير من الأحيان نستعمل هذه «الكليشيات» لنبرز بها الصعوبات القائمة بين الثقافتين : العربية والأوربية .

أما أن يكون العالمان الأوربي والعربي قد تحاربا ، فهذا ما لا يستطيع انكاره أحد . ولكن هل نستطيع أن ننسى أن المسيحية والاسلام قد تعايشا أربعة قرون : إذ توفي محمد (ص) سنة 632 م ، والحرب الصليبية الأولى وقعت سنة 1095 م . وفي هذه القرون الأربعة ، فان وجود المسلمين في الأرض المقدسة ، لم يثر أي نزاع خطير بين الكنيسة والخلفاء المسلمين ، كما لم يمنع الحجاج المسيحيين من التوجه الى القدس . فهل نقول هذا في كتبنا المدرسية؟ وهل يمكننا أن ننسى أن الصليبيين في حربهم كانت لهم أسباب لا علاقة لها بالدين ولا بالآخرة اطلاقا ؟ وهل ننسى أن صقلية في عهد روجي الثاني وفريدريك الثاني في القرون الوسطى كانت مهدا للثقافة الاسلامية التي كان يفتخر فيها الأوربيون بأنهم يتكلمون اللغة العربية ؟

وهل يمكننا أن ننسى أن أسبانيا نادرا ما بلغت في تاريخها مستوى الرخاء الذي بلغته في أيام مملكة قرطبة وغرناطة (739 ـ 1492) ، وأنها لم تستطع أن تنفلت من قبضة محاكم التفتيش التي أعقبت تاريخ الاسلام ؟

وهل يمكننا أن نشير الى أن ذكرى (بواتي)، وذكرى الحروب الصليبية لم تمنعا «فرانسوا الأول» من الاستنجاد بالخليفة العثماني سليمان الثاني في القرن السادس عشر ليواجه سيطرة «شارل كان» على البحر الأبيض المتوسط ؟

وهل يمكننا أن ننسى أن فرنسا الجمهورية قد تابعت باستمرارية رائعة سياسة التعاون ، التي كان يسير عليها النظام الملكي قبلها مع العالم العربي الاسلامي ؟ وهل يمكننا أن ننسى أخيرا أن كتاب دائرة المعارف الفرنسية أنفسهم كانوا يجعلون المفكرين والفلاسفة المسلمين مثلا للتسامح ؟ وأن «التعصب» الذي كثر عنه الحديث هو ظاهرة متأخرة نسبيا ، ارتبطت بظاهرة أخرى هي الاستعمار فكان فى الحقيقة عبارة عن رد فعل دفاعي قام به جسم المجتمع .

إن هذه النزعة الانسانية هي التي يجب علينا نحن اليوم أن نوليها الصدارة من اهتمامنا . ولكن بالرغم من وجود بعض الرواد فى هذا المجال ، فانه يخيل الي أننا ما زلنا بعيدين عن هذه الغاية . ذلك أنه ـ بعد الحاجز التاريخي الذي نكتبه ونقرؤه ـ يقوم فى طريقنا **الحاجز المجتمعي** ، و «الكليشيات» المعادية للعرب ، والضاربة بعروقها فى أعماق الكثيرين منا ، يرجع تاريخها ، لحد بعيد ، الى العهد الاستعماري . إن الاستعمار يعمد الى التنقيص ، او التشويه ، بل الى انكار القيم العربية الاسلامية إطلاقا ، ولنأخذ مثلا على ذلك ، أذكر أن كتب التاريخ التي تعلمتها فى المدرسة ، كانت تقف عند القول بأن «شارل مارتيل» قد هزم العرب سنة 732 م ، وبقيت صورة العرب فى ذهني وأنا طفل ، هي صورة الهمج الذين قدموا من آسيا الوسطى فى القرن الخامس غازين أوربا وخاصة فرنسا . وذلك لأن تلك الكتب لا تذكر لنا الى جانب ذلك أن العرب قد أقاموا حضارة فى أسبانيا من ألمع الحضارات . حضارة لم تكن تدانيها حالة فرنسا إذذاك وحالة بقية أوربا .

وفى أواسط القـرن التاسع عشر ، اختـل التوازن القـديم بفعل الاستعمار . وفى النصف الثاني من القرن العشرين جاء دور القضاء على الاستعمار بفضل حركات التحرير ، ولكن هذا لم يعد يخلق بعد توازنا جديدا ، يصبح فيه التعاون قائما مقام علاقات القوة فى كل الميادين ، ولم يخلق فكرا جديدا ، ولم ينظم اعترافا حقيقيا بوجود عدوتين (1) للبحر المتوسط .

ولكن فى الوقت الذي بدأ فيه تراجع المد الاستعماري ، جاء المشكل الاسرائيلي العربي ليضيف حاجزا جديدا يخفي كثيرا من الحقائق ويعرقل التقارب المنتظر .

الحاجز السياسي :

وهنا نصل الى الحاجز الثالث ذي الطابع السياسي ، ويكفي أن نفتح أعيننا وآذاننا ، لنسمع الاذاعات ، ونبصر التيلفزيون ، ونقرأ الصحف ، فلا نجدها فى مجال الاخبار تذكر شيئا عن العالم العربي إلا اذا وقعت فيه توترات داخلية ، أو أمـر يتعلق بالنزاع العـربي الاسرائيلي فى الشرق الأوسط . وحتى فى هذه الحالة يذكرون العرب كما لو كانوا أمة لا ماضي لها ، ولا تقاليد ، ولا حياة خاصة بها ، ولا نظرة الى المستقبل ، وانتظرنا عندنا فى فرنسا سنة 1971 لكي نرى فى التيلفزيون سلسلة من الحلقات ، وهي من التعاون الفرنسي الايطالي ، عن تاريخ الاسلام ، ومن حسن الحظ أن التعليق على هذه السلسلة قد عهد به الى مثقف ذي دراية بالعربية هو السيد «أندري ميكيل».

---

(1) **العدوة** : شاطىء الوادي · والمراد هنا شاطئا البحر الابيض المتوسط .

أليس الأمر اذا أمر التكوين الذي ننصهر فى قالبه ، وأمر الأخبار التي تقدم إلينا ؟

إن الصورة المنفرة التي تقدم الينا عن العالم العربي ، والتي لا تميز بين سياسة هذه الدولة أو تلك ، وتترك كل واحد منا حرا فى الحكم عليها ، وكذلك نوعية الثقافة التي تتلقاها ، والتي نفترض أنها جزء من التراث العالمي ، تعتبر من أهم العوامل التي أوجدت عندنا هذه الظاهرة الغريبة .

إن الحروب التي تطاحنت فيها فرنسا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا، لم تحملنا على أن نحذف من كتبنا المدرسية ، ومن مسرحنا ـ شكسبير ، وموليار ، وجوته ودانـتي ، بل ان بقاء هذه الشخصيات فى برامجنا المـدرسية والمسرحية ومؤلفاتنا الأدبية هو الذي أعان على تحقيق التصالح بعد مرور فترة الحرب بين هذه الدول .

وفى مقابل ذلك متى وأين أيقظنا فى طلابنا وتلاميذنا روح الاهتمام بالبحث عما قدمه للثقافة العالمية **ابن خلدون** الأب الأول لعلم الاجتماع ، **وابن رشد وابن سينا** اللذان طبعا بطابعهما القوي تفكير القديس «توما الأكويني» و «ديكارت» ؟

من منا لا يعرف رحلات «ماركو بولو» ؟ ولكن من منا يعرف شيئا عن **ابن بطوطة** الذي لا تقل قصص رحلاته روعة عن قصص «ماركوبولو» ؟

أما ما يتعلق بالمفكرين فى العالم العربي ، فان بعض الأوساط عندنا تتجاهل أهميتهم ، بل ولا تعترف بوجودهم إطلاقا .

لعل من المناسب أن نقول كلمة أيضا عن تعليم اللغة العربية عندنا ، تلك اللغة التي قال عنها «ماسينيون» (2) إنها ضرورية لسلامة العالم ، كضرورة الانجيل لسلامة المسيحيين . ان فرنسا من بين الدول الأوربية كلها ، هي الدولة الوحيدة التي تعلم هذه اللغة فى مدارسها الثانوية .

إن كل هذه النقائض التي أتينا عليها فيما يتعلق بتلاقي الثقافتين : العربية والأوربية تبدو غريبة ولا مبرر لوجودها ، خاصة وأن التبادل فى الميدان الاقتصادي يبلغ أقصى درجات الأهمية بين عدوتي البحر الأبيض المتوسط ، وان الوعي بهذا التكامل والتضامن بين عدوتي البحر الأبيض المتوسط ، هو الذي يمكننا من النجاح فى المحافظة على القيم التي تمتاز بها الحضارات القديمة التي تعز علينا ، ونستطيع أن نستخرج منها إنسانية جديدة .

إن هذا يتطلب منا حتما أن تتغلب على بعض التناقضات ، وأن نهتم على الفور بمداواة آثار الجراح التي خلفتها النزاعات القديمة ، أو الحديثة ، ويتطلب هذا من أوربا خصوصا أن تعمد الى عملية اتنزاع الفكر الاستعماري من دماغها . ويجب أن تتجاوز التحرر من الاستعمار الثقافي الى التعاون الثقافي ، وهذا يفترض أن يعترف كل منا بأن «الآخر» له شخصيته الكاملة .

إن العرب يعملون جهدهم لازاحة الحواجز ورفع الستائر المنسدلة ليتصلوا بالجانب «الآخر» ، وذلك فى الحدود التي يشعرون فيها بأن «الآخر» يبادلهم التفاهم والتعاطف اللذين ، بدونهما ، لا يمكن أن يتحقق تلاق ولا حوار ، وهم فى هذا الميدان يبرهنون على حدس لا نملكه نحن فى أغلب الأحيان .

عن مجلة الاصالة

بول بالطا (صحفي فرنسي)

---

(2) **ماسينيون** : مستشرق فرنسي معاصر .

15	**واقعنا الحضاري** **بين الحقيقة والزيف**

واقعنا الحضاري بين الحقيقة والزيف

النـــص :

« ... قلت قبل قليل : إن وضعنا الراهن فى مجتمعنا العربي يتميز بالتصادم الـذي اختلطت فيه حيـاتنا التقليدية فى كل الميادين بالحياة العصرية . وهذا الاختلاط طبيعي ولم يكن لنا منه مفر ، وليس لنا أن نأسف له فى حد ذاته . ولكن ما نأسف له فى هذا التصادم هو أننا تقبلناه عمليا وتعودناه كما لو كان شيئا طبيعيا ، ودخل حياتنا اليومية قبل أن تتلقاه فكريا وندرسه ونفهمه . فكان الجانب الحضاري فى حياتنا موجودا وجودا عمليا أي وجودا مستعارا . ولكنه غير موجود فكريا ، أي هو غير موجود وجودا حقيقيا . إن وجودنا الحضاري خليط من الحقيقة والزيف ، ولكن الى أي حد يمكن أن نميز بين الحقيقة والزيف بوضوح فى هذا المجال ؟

إننا فى محاولة التمييز نفسها نوشك أن نقع فى الزيف اذا رحنا نستعير القوالب الذهنية الأوربية ونصب فيها وقائعنا الحضارية . لذلك سنلجأ الى تراثنا الفكري الوحيد فى هذا المجال لأنه هو الذي ما تزال قوالبه صالحة لأن نصب فيها وقائعنا الراهنة، وهو تراث ابن خلدون : والمشكل الحضاري فى المجتمع العربي فى هذا الصدد من جهة التعليل الخلدوني يتمثل فى مشكل البداوة والحضارة ، وليس فى التقسيـم الطبقي الاقتصادي كما يقتضي ذلك ، المنهج الماركسي . فهل ما يزال هذا التقسيم صالحا لنا اليوم ؟ وأي نصيب من البداوة فى حياتنا العربية المعـاصرة ، وأي نصيب من الروح الحضرية فيها ؟

منذ حوالي أسبوعين فقط كان لي حديث مع ممرضة فى مصحة للتوليد فى مدينة الجزائر العاصمة فقالت لي : إن أكثر ما يضايقنا فى عملنا هو مجابهة

الزوج الذي ينتظر فى قاعة الاستقبال أن نخبره بما ولدته زوجته ، فاذا كان ولدا ذكرا فان البشر والانشراح يصل به الى أن يغمرنا بالهدايا والعطايا وبالشكر والامتنان كما لو كنا نحن الذين رزقناه بهذا الطفل المولود . واذا كانت بنتا ، فهو التجهم والعبوس وأحيانا يصل الى درجة شتمنا والتهجم علينا كما لو كنا نحن الذين تسببنا له بصورة مباشرة فى حصول هذه الكارثة .

هذه المصحة لا يقصدها الرجل المتوسط عندنا ولا رجل الريف أو البادية ، وإنما تقصدها الاطارات العليا فى البلاد من كبار الموظفين والعائلات الموسرة ذات التقاليد الحضرية العريقة .

ولنفحص هذه الظاهرة عن قرب : هذا الرجل يرتدي لباسا أوربيا من آخر طراز ، وزوجته كذلك ، وقد أتى الى المصحة فى سيارة أنيقة ، وليس على ظهر بعير . والآلات التي استعملت فى عملية التوليد من أحدث الآلات وأدقها ، والطبيب المولد نال درجة الاختصاص فى هذا الفن من المعاهد الأوربية . والمصحة التي يجرى فيها التوليد ليس فيها ما يذكر بالخيمة ، أو الاعتماد على الأولياء الصالحين فى تسهيل عملية الولادة . والمحيط المادي الذي يغمر هذه العملية كلها هو محيط حضاري تستطيع أن تنافس به أرقى المصحات فى العالم المتحضر .

ولكن الروح التي تختبىء خلف هذه المظاهر كلها هي تلك الروح التي وصفها القرآن فى الانسان الجاهلي منذ أربعة عشر قرنا : « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ »[1] هذا ولا حاجة الى التوسع فى ظاهرة الدعوة الى تحرير المرأة واعطائها حقوقها

(1) سورة النحل : 58 – 59 .

الكاملة فى المساواة مع الرجل ، ولكننا نقصد دائما نساء الآخرين وأخواتهم أما الروح التي تتصرف بها مع نسائنا من عشيرتنا فهي لاتحمل من المساواة قليلا ولا كثيرا ولا حتى من الاحترام العادي الذي حاول الاسلام أن يغرسه فى نفوسنا منذ عشرات القرون نحو المرأة ولكن بدون جدوى .

إن التوسع فى هذه الوقائع من حياتنا الاجتماعية سهل جدا ويستطيع كل واحد أن يحشد منه عشرات الأمثلة فى اليوم الواحد ؛ لأنه هو الطابع العام فى حياتنا كلها . وإذن فأين هي الحقيقة الحضرية فى هذه الوقائع ، وأين هو الزيف ؟

إن أكثر ما يبرز الاجابة عن هذا السؤال هو اندفاعنا الشديد وحدة تحمسنا فى تقبل النقائص ؛ حتى قيل عن معدتنا الحضارية إنها أقوى معدة حملتها الشعوب فى التاريخ : تتحمل الحار والبارد والمنبه والمخدر فى آن واحد .

والنقائص التي تحملها هنا هي اجتماع البداوة الفكرية والحضارة المادية ، والافراط فيهما معا : لا نرضى من مستوردات الحضارة الحديثة إلا ما كان من آخر المنجزات التقنية الآلية . وفى نفس الوقت لا تتمسك من تقاليدنا الموروثة إلا بما كان موغلا فى التأخر الفكري ولكننا بدون أي حرج أو شعور بالاثم نجمع النقيضين تحت سقف واحد وتشمله فى الشخص الواحد نفس البدلة ونفس الجسم والفكر . ولنحاول الآن أن نقلب الوضع ؛ قلبا فرضيا طبعا ؛ لكي تتصور وجودنا الحضاري وجودا حقيقيا لا مزيفا . ولنستعين على توضيح هذا القلب سنلجأ الى مثل من الصين : ... فى الصين يتمتع المجتمع بتراث حضاري تقليدي فى النظم الاجتماعية وفى الصناعات اليدوية والانتاج الفكري يعد أرقى من التراث

العربي قليلا او كثيرا . ولكنهم فى الأخذ من الحضارة المستوردة يكتفون بالضروري من الآلات الانتاجيــة ووسائل الحياة العصريــة أو ما يشبه الضروري وهو ما يسميه ابن خلدون بالحاجي من لوازم الوجود . وبذلك استطاعوا أن يلائموا بسهولــة بين تراثهم التقليــدي الــرفيع نسبيا ، ومستورداتهم المتواضعة نسبيا ، وهم الآن لا يعانون ما نعانيه نحن من التناقض الصارخ بين الميراث الوطني والمستورد الأجنبي فى حياتهم . لماذا ؟ هل لأن الفرق بين العرب والصينيين هو فرق فى الانسانية كما يسميها ابن خلدون ؟ كلا ! الفرق يكمن فى دور العقل فى كل من الحالتين : فى الصين بذل مجهود فكري على الجبهتين : جبهة التراث التقليدي بالتنقية والتقييم ودرس ما هو قابل للحياة . وجبهة المستوردات الأجنبية بالدرس وتقييم ما يصلح منها للانتاج ، وما هو للمتعة المادية وحدها . نعم لقد ارتكبت أخطاء فى هذا المجهود الفكري ، وربما ما تزال وستظل الأخطاء ترتكب . ولكن ما استوردوه من المستحدثات عن طريق التقييم الفكري ، وما أدخلت عليه الحياة من التراث التقليدي قد استطاع به الصينيون ليس فقط أن يتخلصوا مما بينهما من تناقض معطل ، بل وأيضا أن يوجدوا بينهما تكاملا حركيا يزيد من سرعة التاريخ . (أبرز مثل معروف فى العالم هو الجمع بين الطب التقليدي والطب الحديث) هذا المجهود سواء سميناه ايديولوجية متكاملة يقوم بها رجال السياسة ، أو ثمرة أبحاث اجتماعية جادة يقوم بها رجال الفكر هو ما لم يقم به أبناء المجتمع العــربي فى التصادم الذي حصل بين تراثهم التقليدي ومستورداتهم الحديثة ، فكانت نتيجة الصدام بينهما فى مجتمعنا ليست فقط فقدان التكامل بينهما ، بل كانت النتيجة هي تعطيل سير التاريخ بالمجتمع العربي المعاصر ....

[عبد الله شريط]

من كتابه : معركة المفاهيم

16 الفكر العربي (*)

النـــص :

الفكر العربي فكر إنساني ، لم يتقوقع في البلاد العربية ، بل امتد على آفاق واسعة باسم الفكر والدين والفلسفة والفن ، فاستقر في الأندلس، ودق أبواب أوربا الشرقية والغربية ، وتغلغل في إفريقيا ، عن طريق شمالها وشرقها وغربها ، وساح في آسيا حتى الصين وأندونيسيا .

وحمل معه قيما فكرية ، وأخلاقية ، وعقيدية ، وفلسفية ، وحياتية ، ميزت الذين تأثروا به ، عن غير الذين لم يتأثـروا ، حتى ضمن الشعب الواحد ، والأمة الواحدة .

وهذا ما يمكننا من القول بأن الفكر العربي أوجد حضارة عربية ، متميزة في أصولها النظرية الفكرية ، وفي ممارساتها الحياتية .

انطلق الفكر العربي على امتداد زمني وحضاري يعتبر من أوسع الامتدادات الفكرية وأكثرها تحركا .

ا - نشأ هذا الفكر في بيئة صحراوية . ومثل هذه البيئة توحي بالانغلاق والكتم ، ولكن شبه جزيرة العرب لم تكن مغلقـة ، والعرب أنفسهم لم يكونوا منغلقين على أنفسهم ، ولم يكونوا على جانب كبير من التخلف الاقتصادي ، ولا التخلف الفكري . ورغم أن بعض التقاليد شبه الدينية ، والاجتماعية ، كانت متخلفـة ، فقد كانوا في معظمهم متفتحين على آفاق فكرية وحضارية ، تثري مواهبهم وتمدهم بزاد واسع .

فاتصالهم باليمن كان يفتح أمامهم آفاق الاتصال بافريقيا وخاصة مصر والحبشة ، واتصالهم بالشام كان يفتح أمامهم آفاق الاتصال ببلاد الروم

(*) الفكر العربي بين الاستلاب وتأكيد الذات (الدار العربية للكتاب : ليبيا - تونس 1977) : عبد الكريم غلاب [بتصرف] .

وبالبحر الأبيض المتوسط ، واتصالهم بالعراق كان يفتح أمامهم آفاق الاتصال ببلاد فارس والهند .

كل ذلك يؤكد أن الشعب العربي لم يكن معزولا فى جزيرة قاحلة ، واذا كان فن القول ـ الشعر والخطابة والنقد ـ وصناعة التجارة ، واقامة الامارات ، هو ما يميز الفكر العربي فى الجاهلية ، فلم يبرز كفكر فلسفة ولا فكر علم ، فليس ذلك مما ينقص قيمة الفكر ، فى دور تاريخي وحضاري معين .

ب ـ دعائم الفكر العربي :

ـ الفكر العربي لا يمكن أن يكون له وجود بغير التراث الاسلامي جميعه ، فالاسلام هو الذي أعطى الانطلاقة الحقيقية للفكر العربي ، وتتمثل هذه الانطلاقة فى عدة مظاهر منها :

أولا ـ الايمان : الايمان بالله ؛ ليس عملا سهلا فى وسط تمزقه العقائد التي لا تقوم على أساس ، أو على أسس مختلطة لا قاعدة علمية ، أو دينية لها ، ولذلك كان الايمان بالله يهدف الى الاستقرار الفكري ، لأن الدعوة التي أتى بها الاسلام قامت بشكل مكثف بتعميق الايمان بالله ، والدعوة له ، واعتباره أساس العمل الانساني ، والاتصال الفكري . بل أساس المجتمع الذي دعا الاسلام الى إقامته .

ومن هذه الدعوة ـ التي شغلت حيزا كبيرا من القرآن ـ نشأ صراع فكري بين الايمان والفكر الوثني ، وبين الايمان والنصرانية واليهودية ، التي أكد الاسلام الاعتراف بهما كديانتين سماويتين ، ولكنه أكد كذلك التحريف الذي حدث فيهما من الناحية النظرية ، حتى ضاعت معالمهما ، إلا ما حفظ منها فى القرآن ، ونفس الصراع أو أشد حدث بين الايمان والنفاق . ولم يكن النفاق فى صدر الاسلام ظاهرة نفسية أو اجتماعية فحسب ، ولكنه كان الى جانب ذلك حركة قوية لمعارضة أسس الاسلام ، ومحاولة القضاء عليه ، فهو حركة فكرية وسياسية فى نفس الوقت .

وقد اهتم القرآن بمظاهر هذا الصراع وصورها فى مئات الآيات . وجادل ، وناقش ، ودافع بالحجة المنطقية ، والفكرية ، والدينية ، والوعظية . وكان فى كل ذلك يدعو الى استعمال العقل والفكر والعلم والتدبر .

الايمان إذن كان من مظاهر الحركة والفعل والانفعال والمجابهة الفكرية .

ثانيا : أوجد الاسلام مثلا عليا جديدة ، حررت الانسان من العبثية ومن تفاهة الحياة ، ومن فكرة الحياة للحياة . ووضع للحياة غاية هي إسعاد المجتمع ، ثم الادخار لحياة ما بعد الموت ، وربط حياة الانسان بالله بمقدار ما ربطها بالعمل ، فأحدث توازنا مهما جدا ، بين الروح والمادة ، بين العقل من جهة ، والقلب والضمير والعاطفة من جهة أخرى .

وبهذا حرر الاسلام الفكر العربي من العبثية التي يحدثنا التاريخ عن كثير من مظاهرها فى الفرد والمجتمع .

ثالثا : أوجد الاسلام وضعا اجتماعيا جديدا . فمهما كانت اتصالات العرب عن طريق التجارة والاحلاف ، ومهما كانت اتصالاتهم بأطراف الجزيرة وبالشعوب فى خارج الجزيرة ، فقد كانوا يخضعون للظاهرة الاجتماعية التي كانت تسود العالم : القبلية والعصبية . وجاء الاسلام فهاجم هذا الوضع الاجتماعي بشدة ، وأوجد لأول مرة فى الفكر العربي فكرة الأمة من القبيلة ، وفكرة التعاون بين عناصر الأمة بدلا من العصبية .

ولم يكن الهدف من بناء هذا المجتمع الجديد ماديا صرفا ، أي إنه لم يكن اقتصاديا ، ولو أن الاقتصاد عصب الحياة ، ولكنه كان هدفا شموليا ، وهو تكوين الأمة الاسلامية .

لو بني المجتمع على أساس اقتصادي صرف ، لكان فى الامكان إيجاد مجتمعات ووحدات اقتصادية متفرقة ، لا تخدم الفكرة الاسلامية . كان من الممكن مثلا أن لا تجد بعض القبائل العربية مصلحتها فى وحدة عربية ، فالذين يتاجرون ــ مثلا ــ مع الفرس قد يجدون مصلحتهم فى تدعيم

الوحدة الاقتصادية الفارسية العربية ، والذين يتاجرون مع الروم أو مع الأحباش قد يجدون مصلحتهم فى إقامة وحدة اقتصادية عربية رومية ، أو عربية حبشية ، وبذلك ينشأ الصراع ـ ونحن نتكلم فى مجتمع القرن السادس والسابع المسيحي ـ بين هذه الوحدات ، وهذا ما كان يتلافاه الاسلام .

الهدف إذن من المجتمع الجديد هو تكوين مجتمع يوحد الناس على أساس الايمان بالله والعمل بالمنهج الذي خطه الاسلام ، وقد كان منهجا وحدويا ، لا يخص العرب وحدهم ، بل يتسع فيشمل غير العرب من كل الذين يدخلون فى الاسلام .

وبهذا خلق الاسلام المجتمع الجديد : مجتمع الأمة الواحدة ، التي لا تحدها الدولة ، ولا الجنس ، ولا الرقعة الجغرافية . بذلك اختلط العرب مع غير العرب فى السكني والعمل والقيادة والحكم ، وأصبح الشعب الاسلامي بدلا من القبيلة العربية يتكون من كل المسلمين ، سواء كانوا من شعوب آسيا أو افريقيا أو أوربا ، من هذا الجنس أو ذاك .

وهذه فى الحقيقة ثورة لا على المجتمع العربي فحسب ، الذي كان يعتز بالقبيلة ، ولكن كذلك ثورة على المجتمعات التي عاشت فى مختلف مراحل التاريخ ، محدودة الأفق عرفيا ، أو جغرافيا ، أو قبليا ، أو لغويا .

رابعا : القانون الذي أوجده الاسلام فى هذا المجتمع الاسلامي قانون ديني ، ولكنه فى الحقيقة يرتكز على المصالح الفردية والاجتماعية ، ومن المعروف أن القرآن قنن كثيرا من الأحكام فى الأحوال الشخصية ، وفى القضايا المدنية ، والجنائية ، والتجارية ، ولكنه لم يقنن إلا الأسس ، وترك الباقي ـ وخاصة مستحدثات الحياة ـ لأحاديث النبي ، ولاجتهادات الفقهاء ، وأهل المعرفة . والتقنين ، كتنظيم فكري للحياة ، أنقذ الفكر العربي من التقنين الفردي ، ومن الاعتداء اعتمادا على القوة ، ومن الثأر اعتمادا على حق الانسان فى الاقتصاص بنفسه .

هذه الظواهر التي أعطاها الاسلام للفكر العربي كمنطلق فتحت المجال أمام الفكر العربي فى ميادين المعرفة ، والحركة الفكرية ، وتطوير الحياة . ووضعت أمامه الأسس المنظمة لهذا التطوير ، بحيث تحرك بعد ذلك فى أفق واسع ، لاستخدام الفكر فى أبعاده المتحررة مع المحافظة على الأسس الحقيقية للاسلام لصالح الفكر الاسلامي ، والانساني على العموم .

ج ـ خصـائصـه : وقد تميز الفكر العربي بظاهرتين مهمتين :

أولاهما : حرية التفكير والتعبير ، وثاني الظاهرتين أن باب الاجتهاد كان مفتوحا للعلماء والمثقفين فى مختلف فـروع المعرفة . وبفضل هذه الشخصية المتميزة انتقلت الحضارة الفكرية العربية والانسانية عموما الى أوربا . وأخذ الفكر العربي مكانه فى الحضارة الانسانية .

من كل ذلك ندرك أن الفكر العربي لم يكن فكرا غيبيا ، فقد كان فكرا إسلاميا فى جوهره . والاسلام ليس دين الغيبيات ، الا فيما لا يمكن أن يصل العقل الى إدراكه ، كذات الله ، والروح مثلا . وهي قضايا لم تحلها أية فلسفة . وعند العجز الفكري المطلق إزاء قضية من القضايا ، مع وضوح آثارها ، لا يمكن أن يعتبر الايمان بها غيبيا ، بل إن عدم الايمان بها يعتبر تنكرا، وجحودا للفكر نفسه ، لأن الايمان يحل مشكلة لم يستطع أن يحلها العلم ، فلو درج الانسان على إنكار كل ما لا يستطيع العقل ولا العلم أن يؤكده ، لدخل فى متاهات الجهل المطلق . ذلك أن كل ظواهر الكون التي ندركها الآن ، كانت فى عالم الغيب قبل سنوات ، أو قبل عشرات أو مئات السنين . فلو أنكرهـا الانسان آنذاك ـ كما فعل بالفعل فى كثـير من الظواهر ـ لما فتح عقله لبحثها علميا ، ولما آمن بها الانسان بعد أن كشف عنها العلم .

[عبد الكريم غلاب]

17 فكـــرة التطـــور (*)

النـــص :

التطور كلمة حديثة العهد فى لغتنا ، وفى اللغات الأخرى ، ومعناها التغيير وفقا لسنة مطردة ، أو الانتقال فى أطوار متعاقبة ، حسب قانون ثابت ونظام معين . وقد بدت هذه الفكرة عند بعض العلماء فى العصور السالفة ، كابن خلدون الذي استنتج سنن تطور الأمم ، من تاريخ حياتها . ولكن هذه الفكرة لم تشع وتنتشر الا فى العصور الأخيرة ، ولا سيما بعد ظهور نظرية التطور فى علم الاحياء (البيولوجيا) ، ثم عممت هذه النظرية فى ميادين أخرى ولا سيما فى علم الاجتماع وسائر العلوم الانسانية . وأخذ علماء الاجتماع يبحثون فى حياة الانسان الاجتماعية ، ويستنتجون قوانين تطورها الاقتصادي ، والفكري ، والسياسي ، والديني ، واللغوي ، والفني.

وانتقلت هذه النظرية من وسط العلماء والخاصة ، الى وسط الجمهور والعامة ، فتغيرت بعض معالمها ، وفهمت فهما آخر ، شابه كثير من الأخطاء والالتباسات التي سببت إصدار أحكام خاطئة فى كثير من المجالات . لذلك كان من الضروري كشف هذه المفاهيم ، وإزالة ما يقع من التباس ، وتصحيح الخطأ فى تلك الأحكام .

التطور فى الطبيعة ، ينشأ على رأي بعض المتأخرين من العلماء ، من الملاءمة بين الموجودات ، ولا سيما الأحياء والبيئة التي تعيش فيها . فاذا تغيرت البيئة كان لابد من ملاءمة جديدة للكائن ، وهذه الملاءمة باستمرارها تحدث تغيرا فيه ، وتنقله الى طور جديد ، الى أن يحدث تغيير فى البيئة ،

(*) الفكر الاسلامي الحديث فى مواجهة الافكار الغربية (دار الفكر — بيروت ط 3 سنة 1973). الاستاذ / محمد المبارك .

ولذلك قد يبقى فى طور من أطواره أمدا طويلا ، ويكون التطور أكثر ما يكون تغيرا بطيئا مستمرا تظهر نتائجه بعد زمن طويل . أما اذا كانت الملاءمة بين الكائن والبيئة قائمة ، فان هذا الكائن يحافظ على خصائصه ويثبت فى أوضاعه . ولذلك كان الثبات سنة من سنن الطبيعة كالتغيير ، أو على الأقل الثبات مددا وآمادا طويلة ، وأحيانا دهورا متطاولة ، فمنذ كم لم يتغير تركيب الماء ، وكان هو الشراب الأساسي للأحياء ؟ أو لم تبق المادة الغذائية الأساسية للانسان هي منذ آلاف السنين ؟ أو لم تبق الأشجار فى أجناسها وأشكال جذوعها وأوراقها ثابتة منذ آلاف السنين ؟

إن الثبات لا سيما على الأصول سنة من سنن الطبيعة كالتغير والتطور ، حين ينشأ الموجب للتغير والتبدل ، فلا عجب اذا حافظ الانسان فى حياته الفردية والاجتماعية على ما ثبت صلاحه ونفعه من العادات والنظم والأخلاق .

ومما يلاحظ فى الطبيعة أن التطور لا يتجه دوما نحو الأفضل والأحسن ، ولا يكون دوما تحسنا وتقدما ، بل قد يكون متجها نحو الأسوأ وهو التردي . ففي عالم الأحياء قد يؤدي تطور بعض أنواعها الى انقراضها ، وفى حياة الأمم ، تنتقل الأمة من طور المجد والحضارة ، الى طور الانحطاط والضعف والفقر ، سواء فى حياتها الفكرية أو الخلقية أو الاقتصادية . فمما لا شك فيه أن العرب فى صدر الاسلام حتى أوائل العصر العباسي ، كانوا فى طور أرقى وأرفع من الطور الذي مروا به فى عصور الانحطاط الاخيرة ، وأنهم فى عهد ابراهيم كانوا موحدين ثم مرت بهم فترة الوثنية التي سبقت الاسلام ، ولذلك كان من الخطأ ظن بعض الناس أن كل تطور حسن ، وأن كل طور أفضل من الطور الذي سبقه ، فليس كل حاضر أفضل من الماضي ، ولا كل مستقبل أفضل من الحاضر ، والقضية ليست قضية زمن ، فقد يكون الماضي أفضل من الحاضر ، كما يمكن أن يكون الحاضر أفضل من الماضي . ومثال ذلك فى الفرد أن يكون فى حاضره

مريضا بعد أن كان صحيحا قويا ، وفى الأمم أن تكون فى حالة تفسخ وتأخر وانحلال وفساد ، بعد أن كانت فى فترة من تاريخها قوية متماسكة مرتفعة فى تفكيرها وخلقها ، غنية فى اقتصادياتها . ومن هنا نستنتج فكرة هامة تصحح خطأ شائعا ، وهي أن الرجوع الى الماضي يكون سيئا اذا كان ذلك الماضي سيئا ، وحسنا اذا كان ذلك الماضي حسنا ، فليس كل رجوع الى الماضي مذموما . فالمريض يتمنى أن يعود الى عهد صحته وقوته ، ورجوع العرب الى ماضيهم القريب سيء لأنه عودة الى عهود انحطاطهم وضعفهم ، ولكن رجوعهم الى عهود مجدهم وازدهار حضارتهم واستمدادهم العناصر الخالدة ، والصفات السامية من ذلك الماضي ، هو أمر محمود ، ومثله تخليهم عن الصفات القبيحة ، التي هي من آثار عهد الاستعمار والنفوذ الأوربي ، كشيوع الأنانية والاباحية والاثارة الجنسية ، إن تخليهم عن هذه الصفات التي لصقت بهم فى العصر الحديث ، من الأمور المحمودة بل الواجبة مع أنها من الحاضر لا من الماضي .

ولا شك أن مفهوم العرب القديم للعلاقات الاجتماعية فى التضامن والإيثار والوفاء ، والمشاركة والأخوة والإنسانية ، والشرف والحفاظ على العرض والعفاف والبعد عن الاثارة فى غير طريقها الشرعي الذي هو الزواج ، إن مفهومهم هذا سواء فى العهد الجاهلي ، أو بعد الاسلام ، والتزامهم لهذه الأخلاق السامية أفضل بكثير من سلوكهم ومفهومهم الخلقي فى هذا العصر ، الذي تأثروا فيه بالحياة الأوربية ، وما فيها من أثرة فردية ومادية غالبة ، وإباحية وعدم مبالاة بحفظ الأنساب والأعراض ، وسلوك الطرق المؤدية الى الاثارة الجنسية والخروج بها عن طريقها الشرعي الطبيعي ، الذي هو الزواج ، وتظاهر المرأة بما يتناسب مع هذا المفهوم الاباحي . ان من السطحية وقلة الثقافة بل من المخالفة لسنن الكون فى التطور اعتبار كل رجوع الى رجعية مذمومة ، وهو لا يقل خطأ أيضا ، عن اعتبار كل تمسك بالقديم ، أو رجوع الى الماضي مهما كان ، أمرا حسنا وعملا محمودا .

هذا وان التطور قد يكون تحسنا فى ناحية ووقوفا أو ترديا فى أخرى ، فلو نظرنا الى تطور الحياة الانسانية فى طورها الأخير لوجدناها من الناحية العقلية والصناعية تفوق كل الاطوار السابقة على الاطلاق ، ومن العسير أن نطلق هذا الحكم على جميع النواحي الأخرى ، بل ان بعض أطوار البشرية فى البلاد كانت أحسن من الوجهة الخلقية فى تعاون البشر وتضامنهم ، ونمو العواطف الانسانية فيهم من العصر الحديث ، وكذلك الفرد الانساني فقد اكتسب صفات عقلية ومرونة نفسية فى العصور الحديثة لم تكن عنده فى العصور السالفة ، ولكنه أضاع كثيرا مما يمتاز به الانسان القديم من قوة المقاومة الجسمية والجلد والصبر والقدرة على مقاومة عوارض الطبيعة ، بل أضاع كثيرا مما امتاز به أحيانا فى بعض العصور والمدنيات من نمو الملكات الروحية والنفسية .

لقد ابتليت بعض العصور بتقديس القديم ، ولو كان لا يستحق التقديس ولا التعظيم ، كما ابتليت عصور أخرى بتقديس الجديد وتعظيمه ، ولو كان غير جدير بالتعظيم والاستحقاق . والحق ان الخير والحقيقة والجمال هي مقاييس التعظيم والتحقير ، ومعايير الأخذ والترك ، وليس التقدم أو التأخر فى الزمن .

ومن الواجب على كل حال دراسة اتجاهات التطور فى كل ميدان من ميادين الحياة ، لمعرفة الاتجاه الطبيعي وعوامله وأسبابه ، والاستفادة من هذه المعرفة لحث الخطى ، والاسراع فى السير وحسن الاستفادة من النتائج ، اذا كان ذلك الاتجاه فى نظرنا مفيدا ، نافعا ، ولتدارك الأخطار وتخفيف المضار اذا كان ذلك الاتجاه ضارا .

إن من المفيد جدا أن نعرف اتجاه الصناعة فى العالم ، لنستعد للمرحلة القادمة سواء أكانت نافعة لنا أم ضارة ، وأن نعرف كذلك اتجاه النظم الاقتصادية للبلاد المحيطة بنا ، كما أن من المفيد أن نعرف اتجاه السيل وموعد الفيضان لنستثمر الماء الغزير ، أو لندرأ الأضرار المرتقبة .

ان الأمة العربية فى مرحلة دقيقة من مراحل تطورها ، يجب فيها بث الوعي الصحيح والتفكير السليم ، دون الاندفاع فى التقليد الأجنبي ، أو الاستمرار فى المألوف من عادات الماضي القريب ، ففي ما نستقبل من حضارة الغرب نواح جديرة بالأخذ والاقتباس والاستثمار ، وبعضها يصلح بعد الملاءمة والتكيف ، كما أن فيها ما ينبغي تجنبه ومقاومته ، ولو وافق هوى فى النفوس . كما أن فى حضارتنا القديمة وتراثنا وتاريخنا عناصر هامة وصالحة ، واتجاهات صحيحة وحقائق خالدة ، ولا سيما فى مجال الأخلاق الاجتماعية والفردية وفى مجال العقائد والآراء .

يجب أن يفهم التطور فهما واعيا سليما لنحسن الاستفادة من تجارب الأمم وتجاربنا ، ولنستطيع أن نبني نهضتنا وحضارتنا الحاضرة والمستقبلة بناء سليما ، يفيد الانسانية جميعا .

الاسلام والتطور :

نحن نجد القرآن قد أشاد بالعقل ، واحترم أحكامه ، فيما يدخل تحت سلطانه ومحاكماته ، وهو حين يلفت نظر الانسان الى الحياة وأسرارها ، ويطلب منه أن يتأمل فى نفسه وفيما حوله تأمل باحث مفكر ، إنما يعلن القرآن بذلك ثقته بالعقل واحترامه له ، وإحلاله المحل الأول ، فى استفادة الانسان من هذه العوامل كلها . يقول الله تبارك وتعالى : «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» (2) ؟

فنظر العقل الى أسرار الحياة يقرر حقيقة واضحة : هي أن الانسان مهما اكتشف من أسرار الحياة ، فلن يحيط بها كلها ، فى عصر واحد ، وستظل تنكشف للناس شيئا بعد شيء ، وهذا يستتبع أن الحياة فى تطور مستمر ، والكشف عن المجهول متتابع ، وعلى الانسان أن لا يقنع بما علم ، وأن يعتقد أن فوق علمه علما « وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ». (3)

(2) سورة الذاريات : 20 – 21 .　　(3) سورة يوسف : 76 .

لقد استغلت فكرة التطور أقبح استغلال لمحاربة الأخلاق القويمة وباسم التقدم والتطور ، ولمحاربة الاسلام وتشريعه ونظمه ومثله العليا ، واستعيرت كلمة الرجعية التي نشأت بعد الثورة الفرنسية لوصف حركة المناوئين لها ــ لمحاربة الدين والأخلاق بوجه عام، والاسلام بوجه خاص ــ

إن نشر فكرة التطور فى مجال الحياةالا جتماعية لتحطيمها ، والعقائد الدينية لتهديمها ، عمل من أعمال اليهود وكتابهم فى أوربا وأمريكا ، وهدفهم من ذلك أن لا يبقى شيء ثابت فى الحياة مطلقا ، وبذلك تتقوض الفضائل والحقائق الدينية الكبــرى ، وأهمها الايمان بالله وبالنبــوات وبتعاليمها الأساسية ، ليبقى اليهود وحدهم مسيطرين على العالم ، وليكون غيرهم فى قلق دائم ، وثورة عارمة لا تبقي ولا تــذر ، وترد من درك الى درك فى مهاوي الانحطاط والرذيلة .

ان فى الوجود حقائق كثيرة ثابتة ، وفى الكون قوانين ثابتة وظواهر مستمرة متعاقبة ، وفى الحياة اتجاهات أخلاقيــة ومثل عليا لا تتبدل ، والدعوة الى التغيير المستمر دعوة يهودية ماكرة ، يراد بها قلب المجتمعات وإحداث القلق ومنع الاستقرار فى العالم ، وهي دعوة منافية للحقيقة ، ومنافية كذلك للفضيلة والمثل الأعلى ، وعائقة عن التقدم ، فالحياة أقامها الله على سنتي الثبات والتغير معا ، ثبات فى نواح وتغير فى نواح أخرى .

وقد راعى الاسلام نفسه هذه السنة فثبت ما يجب تثبيته من أفكار وعقائد أو أخلاق ونظم ، وفسح المجال لتغيير الكثير من العادات وتفاصيل النظم ، وأشكال الحياة والأفكار المتعلقة بحقائق الكون التي جعل معرفتها منوطة بالعقل والتفكير . والتجربة والتأمل .

أسئلة حول المحور

1) كان للإسلام دور رئيسي في بناء الحضارة الاسلامية منذ قرون ، ما العناصر الاساسية التي قامت عليها هذه الحضارة فى رايك ؟ وهل تراها ما زالت صالحة لما نصبو اليه من بناء حضارة ؟

2) لكل من الشرق والغرب خصائص ومميزات تميزه عن الآخر ، فما اهم هذه الخصائص والميزات فى نظرك ؟ وما الجوانب السلبية والايجابية فيها ؟ وهل ترى فى بعض هذه الخصائص والميزات عندنا ما يبعث على الفخر والاعتزاز ، وفى البعض الآخر ما يجب علينا ان نتخلص منه فى القريب؟ وضح .

3) ما من حضارة الا ولها مساوئ ومحاسن ، وعلتنا امام الحضارة الغربية الراهنة التي غزت نفوسنا ، وبهرت عقولنا ؛ أننا أصبحنا نأخذ كل ما فيها جملة وتفصيلا من غير تمييز ولا نظر ، ومن غير أن نتحقق هل ما

نأخذه نافع لنا او مضر بنا ؟ وامام هذا الوضع المزري تنكر بعضنا لنفسه ، أي لماضيه ، بما فيه من عادات وتقاليد وتراث ! اترى هذه الظاهرة خاصة بنا ؟ ام هي عامة فى جميع الشعوب المتخلفة مثلنا ؟ وما الوسائل التي تقترحها لعلاج هذا (المرض) فى نفوسنا وازالة هذه الصورة المشينة من مجتمعنا ؟

4) الحضارات يلد بعضها بعضا ، انها حلقات متسلسلة في تاريخ الانسانية الطويل ، ولا توجد حضارة متكاملة بدات من الصفر ، فمكتشف النار فى العهود القديمة لا يقل ذكاء وعبقرية عن مكتشف الذرة فى العصر الحاضر، ومكتشف الدورة الدموية فى العصر العباسي يعتبر أستاذا لمكتشف البينسلين فى هذا العصر ، فما مقدار مساهمة العقل العربي فى بناء صرح الحضارة الانسانية ؟ وما أثره فى تكوين وبناء هذه الحضارة التي نعايشها الآن ؟

((د))

الثقـــــــافة

يعيش وطننا اليوم تحولات هامة فى مجالات : الصناعة والزراعة والثقافة ، ولكن اهم هـذه التحولات واخطرها شانا فى حيـاة الشعب الجـزائري ، الثورة الثقافية التي بدونها لا يكون النجـاح كاملا للثـورتين الآخرين ، فهي ـ فضلا عن الكفايات التي تصنعها للبـلاد ، وتقدمهـا لها فى مختـلف المجالات ـ تحافظ على الهوية الوطنية للامة ، وتؤكد شخصيتها ، وتحفظ لسانها ، وتذود عنها عوامل التشويه والانحـلال ، وتطهـرها من رواسب الاستعمار .

18 الثورة الثقافية والأصالة

تمهيـــــد :

تنبع الثورة الثقافية من الشعب ، وهي بدورها مصدر وعيه وتثقيفه وتوجيهه .
ترى ، من يقوم بهذه المسئولية ؟

لا شك ان مسئولية التبليغ تلقى على عاتق المثقف الواعي ، الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بواقع شعبه ، ويعيش آلامه ومشكلاته ، ويشعر بتطلعاته وآماله في الحياة . ولكي يستطيع هذا المثقف ، احياء التراث الوطني الجزائري ، وبعث أصالته من جديد ، عليه ان يكون معتزا بقيمه وبماضي شعبه البطولي ، فخورا بلغته وثقافته ، معتدا بشخصيته الوطنية وخصائصه القومية .

ان ابرز ما يمثل اصالة هذا الشعب الأبي ، لغته العربية ، التي هي لغة الآباء والأجداد ، وهي اللسان الوحيد المعبر عن الجهاد عبر الكفاح المسلح الطويل الذي خاضه شعبنا الأبي .

النـــص :

إن من خصائص الثورة الثقافية المنشودة في بلادنا ، أن تتغذى من الشعب الذي تتجه اليه ، وأن تأخذ بيد هذا الشعب ، لتوعيته ، بواجباته الوطنية وبشخصيته القومية ، وبآماله وأهدافه . ومن أحق الناس بهذا الواجب المثقف في مجتمعه ، ومن هنا فإن أهم ما تتطلبه الثورة الثقافية من المثقف نفسه ، هو أن يلتصق بواقع شعبه ، وأن يعتز بماضيه الوطني وأن يعمل على إحياء تراثه والكشف عن أصالته الصحيحة ، أما اذا تقزز المثقف من ماضيه ، أو استهان بقيمه أو فقد الثقة في امكانيات أمته ، فان مثل هذا المثقف يكون أعجز عن أن يقوم بثورة ثقافية لأن مثل هذه العملية ستكون فاقدة للنبع الطبيعي الذي تستقي أصولها منه ، وتستوحي قوتها من معينه .

---

* مجلة الجيش (العدد 165 ديسمبر 1977) : ص 59 وما بعدها ـ بتصرف .

إنه لا توجد هناك قوالب ثقافية جاهزة يمكن نقلها من مكان ما لانباتها فى مجتمع أجنبي عنها ، أعني أجنبي فى تقاليده وفى قيمه وفى لغته ، وفى عقيدته . بل يمكن التأكيد بأن نتيجة هذه المحاولة تشبه حالة من يحاول ملاءمة رأس حيوان مع جسم انسان ، وهو ما يمثل اضحوكة العلم حتى الآن ، وأوضح هذه المسألة وأضيف ، بأننا قد نستجلب السكر من كـوبا فنجده حلوا لذيذا أثناء ذوبانه فى قهوتنا أو شاينا ، وقد نستجلب القماش من بريطانيا أو من الصين فنلبسه نحن ، ولكننا لا نستطيع أن نجلب القبعة الأمريكية أو الفرنسية ونضعها على رؤوسـنا ، لأن أدمغتنا أضخم من القبعة الأجنبية ، وبالمثل فانه لا يمكن جلب قيم أو تقاليد من الصين أو الاتحاد السوفياتي أو أي بلد كان ونلصقها بشعبنا لأنها ستتناقض مع قيمنا ومن ثم لا يكتب لها القبول .

إن الثورة الثقافية وهي حاملة القيم ، والوعي ، والأصالة الصحيحة والمثل العليا ، لن يكتب لها النجاح ، إلا اذا كانت نابعة من أرضنا ، مغذاة بمجتمعنا ، متجاوبة مع شعبنا .

وهنا نلمس خاصة أساسية من خصائص الثورة الثقافية المنشودة فى بلادنا وهي أن تكون من الشعب والى الشعب ، وهذا ما يعبر عنه فى المصطلح الحديث بالأصالة .

(فما هي الأصالة ؟) .

إن الأصالة فى المفهوم الجديد اليوم هي محاولة للتفتح على المنبع ، على التراث الثقافي بغية إحيائه ، الى الكشف عن الكنوز التى يتضمنها ، للانطلاق منه كقاعدة للقيام بوثبة إنسانية هدفها خدمة الانسان وفقا لمنهج علمي ، يتماشى والعصر الذي نعيشه .. أي أن الأصالة حتما يجب أن يصاحبها تفتح .

إن الأصالة تعني الأخــذ بعامل الزمن فى التخطيــط لهذه الوثبة المنشودة ، فتطلعاتــنا الى المستقبل لا يمكن أن يعكسها بوضوح إلا المــاضي ، إذ المــاضي هو مفتاح للمستقبل ؛ إذن فالأصالة تعني إضافة شيء جديد لما هو موجود ، أو لما كان موجودا من قبل بغية توضيحه ، أو إعطائه احكاما جديدة ، أو إلباسه ثوبا جديدا على قده ، أي بلغة العلم اليوم ، إعادة صياغة ذلك المــاضي الأصيل فى منهج علمي يكون أكثر جاذبية وأكثر اقتناعا أيضا ، ولعل أحسن صورة يمكن تقديمها لمحاولة العودة الى الأصالة ، تتمثل فى حكمــة قالها أحد أساتذة الجيل وهو الأستاذ لطفي السيد فقد قال : « ان قضية المحافظة على التراث الثقافي ، مثلها مثل الولد الصالح الذي خلف أبوه تركة هامة ، فيكون من واجب هذا الولد الصالح أن يقوم بتحديدها وإحصائها أولا ثم يضع يده عليها ثانيا ، ثم الانتفاع بها ثالثا ، وذلك بإنمائها وصيانتــها قصد الاستفادة الدائمة منها » . فاذا تعالت بعض الأصوات عندنا هنا وهناك داعية الى وجوب نبذ المــاضي ، والتخلص من القديم ، فاننا نصيح فى وجه كل من ينادي بذلك قائلين ، بانك ولد مفلس عاق .

على أنه بالمقابل لهذا ؛ فان دعاة الأصالة مطالبون هم أيضا بوجوب القيام بنقد ذاتي لكل ما أخذوه من الماضي ، ووضعه تحت المجهر العلمي الصحيح ليستأصل منه كل ما هو زائد ، ولشذب الأغصان اليابسة والزائدة التي تمنع النبتة من النمو والتفتح على أكمل وجه . فتراثنا ليس هو ذلك الشيء الجامد الموضوع فى المتحف الذي لا سيولة فيه ، الفاقد لكل معنى من معاني الحياة .

والخلاف الوحيد بيننا وبين المجتمعات المتقدمة اليوم ، هو أننا عانينا وما زلنا نعاني من الانقطاع بين ماضيــنا وحاضرنا ، فى حين عملت تلك المجتمعات عملا متواصلا مكنها من التقدم ، وجعلنا بالقياس اليها نعاني

من التخلف ، ومن هنا كانت الثورة الثقافية ، تمثل حافزا قويا لنا ، يدفعنا الى مضاعفة الخطوات لنلحق بمن سبقونا ، وهذا ما نعنيه بالتفتح الذي يصاحب الأصالة .

والتقدم الذي نحاول تحقيقه ليس التقدم السلبي الذي حققته شعوب تصف نفسها بأنها متقدمة والتي انهارت فيها القيم ، وتقوضت العائلة ، وقضي فيها على كل العلاقات الانسانية وكل ذلك باسم التقدم .

صحيح أننا مع التقدم العلمي بلا حدود ، ومع التقدم التقني الذي يخدم قضية الانسان العادلة بلا حدود أيضا ، ولكن الثورة الثقافية التي ننشدها فى مجتمعنا المتخلف هي التي يجب أن تحمينا من الوقوع فى التفسخ ، والانحلال ، والانفصام الانساني فى العلاقات المجتمعية .

إن الحديث عن الأصالة ، والتقدم العلمي ، فى نطاق الثورة الثقافية يقودنا الى سؤال هام هو : ما دامت الثورة الثقافية التي تتطلع لتحقيقها يجب أن تتغذى من واقع هذا الشعب وأن تنمو بين أحضانه ، وتحاول أن تحدث بينها وبينه التجاوب الحكمي ، فانها لابد ان تملك الأداة الطبيعية والقناة الصحيحة التي تمكنها من الغذاء ، وما هذه القناة سوى اللغة .

فما قصة هذه اللغة عندنا ؟

إن ما أنفق من مداد فى معالجة هذا الموضوع لا يضاهيه ، كما قال أحد أدبائنا ، الا دم الشهداء الذي سال إبان الثورة المسلحة ، ومن هنا فان قضية اللغة القومية فى بلادنا هي قضية عليها تتوقف كل حياتنا بجميع مجالاتها ، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ، وفى اعتقادي أنه ما لم تستعد اللغة الوطنية مكانتها الطبيعية فى جميع قطاعاتنا الحياتية ، فان كل البناء الذي نقيمه ، وكل التخطيط الذي نضعه سوف يظل مهددا

بالتصدع لأنه لا يملك القاعدة الشعبية التي تمثل الغذاء الصحيح الذي تتغذى به كل ثورة ، وهو الضامن لحياتنا ، ونموها وديمومتها كما أن محو الأمية فى طبقاتنا الشعبية بغير اللغة الوطنية إنما يشبه حالة من يحاول أن يكتب على سطح الماء .

إن اللغة إذن هي أداة الحوار الطبيعية بين المثقف والجماهير الشعبية التي يتحتم عليه أن يلتصق بها ليعكس آمالها وآلامها وينمي تطلعاتها لصنع الغد الباسم السعيد . وبهذا تكون اللغة هي المحك الصحيح الذي على ضوئه يجب أن يحدد الانتماء ويقبل الانضمام للتعبئة ، فى جيش الثورة الثقافية ومعنى هذا أيضا أنه ليس كل من ينادي بشعار الثورة الثقافية ، يمكن أن يقبل جنديا فى صفوفها ، ما لم يستوف هذه الشروط .

مع النص

1) ما الخصائص المميزة للثورة الثقافية وما واجب المثقف فى هذا المجال ؟
2) هل يمكن بناء شخصيتنا الوطنية بثقافة أجنبية ؟ لماذا ؟
3) ما الأصالة ؟ وما مفهومها فى راي الكاتب ؟ وما الذي ينبغي أن نقوم به فى هذا المجال ؟
4) ما الفرق بيننا وبين الشعوب المتقدمة فى الميدان الثقافي ، والدوافع التي دفعتنا للقيام بالثورة الثقافية ؟
5) ما دور اللغة العربية فى مرحلة بنائنا الحديث ، وتخطيطنا للمستقبل ؟ وما العواقب التي تنجم عن اهمال دورها فى هذا المجال ؟ ولماذا ؟

تقويم النص

أ ـ الأفكار :

1) بين اهمية التصاق المثقف بواقع شعبه واعتزازه بماضيه الوطني .
2) ما عواقب الاعتماد على القوالب الثقافية الجاهزة فى عملية البناء والتكوين ؟
3) «الماضي هو مفتاح المستقبل».
وضح هذه الفكرة فى ضوء مفهومك عن الأصالة والتفتح الحضاري .
4) ماذا يعني الكاتب بالتقدم السلبي ، وما الاخطار التي تلحق بالأمة إذا اسيء فهم المعنى الحقيقي للتقدم ؟

ب ــ الأســلوب :

1) ما رأيك فى أسلوب الكاتب من حيث الدقة والترابط والوضوح ؟
2) استعمل الكاتب بعض المصطلحات العلمية ، دل عليها فى النص .
3) استخرج بعض العبارات المترادفة فى النص ، وبين فائدتها .
4) عبر الكاتب عن افكاره بأمثلة حسية ، دل على بعضها .

استثمار النــص

أ ــ سجل فى كراسك الخــاص :

ــ الأصالة تعني إضافة شيء جـديد الى ما هو موجود ، او لما كان موجودا من قبل قصد توضيحه .

ــ الثورة الثقافية التي ننشدها ، هي التي يجب أن تحمينا من التفسخ والانحلال والانفصام الانساني .

ــ ان اللغة العربية هي أداة الحوار الطبيعية بين المثقف وبين جماهيرنا الشعبية .

ب ــ لاحــظ : كلمة «تأخذ» ــ الواردة فى النص ــ وما لها من وجوه استعمال مختلفة .

(تأخذ بيد هذا الشعب لتوعيته . .) . أخذت فيه الخمر : اثرت . واخذ عنه : نقل عنه ، وتعلم منه . واخذه بذنوبه : عاقبه بسببها . واخذ على يده : منعه عما يريد فعله . واخذ على نفسه كذا : تعهد بفعله ، واتخذه . وتخذه : صيره ، وجعله ــ ومنه قوله تعالى :

« وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ».

ج ــ طــبق :

1 ــ **بين** ما لكلمة «**يَدْفَع**» ــ الواردة فى النص ــ من معان ووجوه استعمال أخرى فى جمل من عندك (مستعينا بالقاموس) .

2 ــ **انسج** على منوال العبارة الآتية :
(ان قضية المحافظة على التراث الثقافي ، مثلها مثل الولد الصالح الذي خلف أبوه تركة هامة . .).

3 ــ **حرر :** اكتب مقالة تبين فيها الفرق بين الأصالة والتقليد .

19

الثورة الثقافية (*)

تمهيـــد :

:تعيش بلادنا اليوم تحولات هامة وتغيرات جذرية ، فى شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، بعد أن تحررت من السيطرة الاستعمارية الطويلة ، وأقبلت على عهد جديد من الكفاح والتشييد .

والميثاق الوطني يعالج كل هذه الامور فى اطار نظرة موضوعية شاملة ، منطلقة من الارتباط القوي بالتراث المجيد ، والتطلع الحي الى المستقبل المنشود . ومن جملة ما عني الميثاق بمعالجته وتوضيحه موضوع الثقافة ، والثورة الثقافية .

النـــص :

ان الاستعمار الذي دام مائة وثلاثين سنة ، ترك فى الجزائر آثارا عميقة نتيجة لسياسة التجهيل ، التي اتخذ منها نظاما للسيطرة والاستبداد ، ونتيجة للأضرار البليغة التي ألحقها بشخصية الشعب الجزائري المتمثلة ، خاصة ، فى لغته القومية التي كانت محظورة ممتهَنة ، وفى تاريخه وثقافته اللذين ابتُلِيا بالجحود والازدراء .

ومن البديهيّ أنه لا يمكن لثورة ما أن تبلُغ جميع أهدافها ، اذا كانت من صنع شعب أَغلبيَّتُهُ من الأميين ، وكانت تستند الى عقليات مستلَبة ، وأنماط من التفكير والعمل غالبا ما تكون منافية لتلك الأهداف المنشودة أو قاصرة عنها ، فتَؤُول حينئذ الى الركود ، وعدم الابداع والخلق ، ورفض التجدد ، وهذه كلها عوامل من شأنها أن تحدث ظروفا موضوعية تؤدي الى التأخر والتقهقر بل تساعد على بروز ثورة مضادة .

إذن ، فالدافع الثوري فى المجال الثقافي ، يجب ان يساهم فى المستوى الفكري والتقني للجماهير ، وتغيير العقليات بغية خلق الشروط النفسانية والايديولوجية والسياسية دعما للاستقلال الوطني والتطور الاقتصادي والاجتماعي .

(*) من الميثاق الوطني .

ان تحقيق اشتراكية وسائل الانتاج هو الشرط الأساسي لبناء الاشتراكية ولكن من الضروري ان يكون ذلك مرفوقا بتحول فكري واخلاقي عميق ، والحق ان عملية تحويل الانسان ليست اقل ضرورة من عملية تحويل البلاد ، ولا يمكن أن تؤمّن مسيرة الثورة ما لم تُكيِّف الاخلاقياتُ الاشتراكية العقلياتِ والسلوك ، وفى المنظور فان للثورة الثقافية ثلاثة اهداف تمكن من تكوين انسا ن جديد فى مجتمع جديد :

أ ــ التأكيد على الهُوِيّة الوطنية الجزائرية ، وتقويتها ، وتحقيق التنمية الثقافية بجميع أشكالها .

ب ــ الرفع الدائم لمستوى التعليم المدرسي والكفاءة التقنية .

جـ ــ اعتماد أسلوب فى الحياة ينسجم مع مبادئ الثورة الاشتراكية ، كما يحددها هذا الميثاق .

وينبغي أن تضاف الى هذه الوظائف الأساسية للثورة الثقافية ما يلي :

1 ــ أنها أداة لاكتساب الوعي الاجتماعي ، والعمل الملائم فى سبيل تحويل البِنْيات الاجتماعية البالية المجحِفة .

2 ــ وأنها نضال منظم ومعبّأ للقضاء على التخلف الاجتماعي والاقتصادي للبلاد .

3 ــ وأنها ، أخيرا ، جهد تربوي واع يرمي الى محاربة كل الأحكام المسبقة المتعلقة بالعِرْق أو الطبقة أو الجنس أو المرتبطة بالعمل اليدوي . كما يرمي الى محاربة النزوع الى العنف المضر بالمجتمع ، والتَّزَمُّت ، والأفكار التعصبية الخاصة بالثقافة ونَمَط الحياة . فهذا البعد فى الثقافة هو الذي يبعث على تضامن أكبر مع الشعوب المضطهَدة التي تعاني الميْزَ أو الاحتقار العنصري ، أو تلك التي كانت مستعمَرة ، أو ما زالت مستغَلّة وهو الذي يمكّن من فهم

أفضل لتاريخها ونضالها التحريري ، ومن تقدير أسلم لمشاكل بنائها الوطني . وهو الذي يحمل ، بصفة عامة ، على احترام الثقافات والحضارات المختلفة عن ثقافتنا وحضارتنا .

ان للتربية والثقافة دورًا بالغ الأهمية فى تطوير الشخصية الوطنية والهوية الجماعية ، وفى اقامة مجتمع متوازن لا يكون فيه المواطن مبتورا عن أصوله ولا متروكا على هامش التقدم . والثورة الثقافية ، اذ تهدف الى انجاز كل ذلك تساهم فى ازدهار كياننا الوطني وفقا للثقافة التقدمية المعاصرة ، وهذا يعني تأكيد ارتباطنا بتراثنا الثقافي ، وثقتنا فى قدرات الشعب الجزائري على التكيف مع الحاضر والانفتاح المتزايد على العالم المعاصر

غير أن هناك نوعا من « الثقافة » المشبوهة الشائعة الى حد ما ، والمتصلة بمجموعة من أعمال وتصرفات وعقليات يفرضها المناخ المدسوس لأنماط الحياة والتفكير التي خلّفتها السيطرة الفرنسية الطويلة ، المتسمة بطابع البورجوازية الصغيرة ، وهذه الثقافة ، التي ما زالت تكيف السلوك الاجتماعي فى الأوساط الحضرية ، ليست كما يتبادر الى الذهن ، بقايا ثقافة أجنبية منتظمة ذات طابع عالمي ، بل هي ضرب من مناخ أخلاقي تحدده أشباه الثقافات التحتية الهزيلة ، وتصرفات متولدة من التبعية الطويلة للبِنْيات الادارية والتجارية ، والضغوط الاجتماعية للمحتل السابق وهي مجموعة من الأذواق المبتذَلة ، والمواقف الببغائية المستوحاة من أنماط العَدُوّ الثقافية السطحية ، طغت على جزائريين من مختلف الأوساط بصرف النظر عن لغة التعبير لديهم ومستواهم الفكري . بل مست حتى عناصر أمية منهم ، وباختصار ، فان هذا التأثير الذي اوجدته بعض الظواهر الاجتماعية العالقة بالسيطرة الاستعمارية الاستيطانية الأجنبية . والذي هو فى الغالب منفصل عن ممارسة لغة المستعمر القديم ، قد امتد تقريبا الى جميع الناس ، وخاصة فى المدن . وان ثقافتنا الوطنية ، مهما كانت الصيغة المعبّرة عنها ، مازالت تعاني هذه التأثيرات التي يُعْتَبر الفكر البرجوازيّ ، بجميع أشكاله ، أهَمَّ مميّزاتِها .

مع النـــص

1) ضع عنوانا ملائما للفكرة العامة التي يشتمل عليها النص .
2) ما الآثار التي خلفها الاستعمار الفرنسي ؟ وما الطرق التي اتبعها فى تنفيذ أغراضه ؟
3) ما العوائق التي تحُول دون بلوغ الثورة جميع اهدافها ؟ وما الوسائل التي يجب اعتمادها لبلوغ هذه الأهداف ؟
4) ما الذي يؤمِّن مسيرة الثورة ؟ وما الأهداف والوظائف الأساسية التي تسعى الثورة الثقافية لتحقيقها ؟
5) ما دور التربية والثقافة فى المحافظة على شخصيتنا الوطنية ؟
6) فيم تتمثل الثقافة المشبوهة ؟ وما منشؤها وطابعها ؟ وفى أي الأوساط تنتشر ؟

تقويم النـــص

أ ـ الأفكار :

1) (عملية تحويل الانسان ليست اقل ضرورة من عملية تحويل البلاد) . وضح هذه الفكرة ولماذا ؟
2) عندنا أخلاق اسلامية تلقيناها من القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح . فما مكانة الأخلاقيات الاشتراكية منها ؟
3) يشير النص الى أن الثورة الثقافية شرط اساسي لنجاح الثورتين الصناعية والزراعية . ما علاقة مضمون هذه الفكرة بمعنى الآية الكريمة : (إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) ؟

ب ـ الأسلوب :

1) بين مواضع الإجمال والتفصيل فى النص ، ووضح اهميته فى جلاء الموضوع وتركيز الفكرة .
2) الى أي فنون النثر ينتمي هذا النص ؟ وضح إجابتك بالاستناد الى ما درست من نصوص نثرية مختلفة .
3) يعتمد النص على الاسلوب الخبري . فلماذا ؟

استثمار النـــص

أ ـ سجل فى كراسك الخاص :

ـ من البديهي انه لا يمكن لثورة ما أن تبلغ جميع أهدافها ، اذا كانت من صنع شعب أغلبيته من الأميين ، وكانت تستنـــد الى عقليات مستلبَة ، وانماط من التفكير والعمل غالبا ما تكون منافية لتلك الأهداف المنشودة أو قاصرة عنها . [الميثاق الوطني ـ ص 91]

ـ إن للتربية والثقافة دورا بالغ الأهمية فى تطوير الشخصية الوطنية والهوية الجماعية وفى إقامة مجتمع متوازن لا يكون فيه المواطن مبتورا عن اصوله ، ولا متروكا على هامش التقدم . [الميثاق الوطني ـ ص 92]

ـ إن الذين يريدون أن تصير أمـــور الشعب الى الشعب ، يريدون بطبيعة الحال أن يثقف الشعب حتى يرشد ، وحتى يأخذ أموره بحزم وقوة ، ويصرفها عن فهم وبصيرة . [طـــه حسين]

ب ـ لاحظ : كلمة **(يرمي)** ـ الواردة فى النص ـ وما لها من وجوه استعمال مختلفة :

يرمي إلى محاربة النزوع إلى العنف : يقصِد . ورَمَى الله له : نصره . ورمى السهم عن القوس : قذفه . أكل التمر ورمي بالنوى : القاه . ورمى به على البلد : سلطه وولاه عليه . ورمى بحبله على غاربه : تركه يفعل ما يشاء . ورمى على الخمسين : زاد . ويقال : فى هذا رمية عما قيل لي : اي زيادة .

ج ـ طـــبق :

1) بين ما لكلمة **(يفرض)** ـ الواردة فى النص ـ من معان ووجوه استعمال؛ فى جمل من عندك .

2) انسج على منوال العبارة الآتية :

(لا يمكن أن تؤمَّن مسيرة الثورة ما لم تكيِّف العقلياتُ الاشتراكية العقلياتِ والسلوك).

3) حــــرر :

أ ـ اكتب مقالة تبين فيها اهمية التمسك بالتراث واثره فى الحفاظ على الشخصية الوطنية ، وتسديد خطواتها فى طريق البناء والتقدم .

ب ـ يقول الرافعي :

« لا جرم أن كانت لغة الأمة هي الهدفَ الأول للمستعمرين ، فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته ».

ابسط هذه الفكرة موضحا دور اللغة فى تأكيد حقيقة الأمة ، واكتمال استقلالها الثقــافي ، وتثبيت أقــدامها أمام محــاولات المستعمرين وأطماعهم .

19

مشاكل الثقافة في الجزائر المستقلة(*)

النـــص :

من الممكن تناول هذا الموضوع من الزوايا الآتية :

أ ــ الملاحظـات .   ب ــ المشـاكل .   ج ــ الحلـول .

أ ــ الملاحظـات :

مشـاكل الثقافة الوطنية أكثر من أن تحصى . فهناك أولا المشـاكل الناتجة عن وضع الجزائر التاريخي والجغرافي ، وعلاقاتها الحضارية بالوطن العربي ، والعالم الاسلامي ، والنضال الافريقي . ولاشك أن جميع المناضلين الجزائريين يعون الآن دورهم فى تشييد الحضارة العربية والاسلامية ، التي وضع حجر أساسها **عقبة بن نافع**. وساهم فى تدعيمها **طارق بن زياد**، **ويوسف بن تاشفين**، **وابن تومرت** ، **وعبد المؤمن بن علي** ، **وابن خلدون** ، **والأمير عبد القادر** ، وابطال نوفمبر . فعلاقة الثقافة الوطنية المعاصرة بالتاريخ الوطني علاقة تكامل ، ولا يمكن أن يفهم أحدهما بدون الآخر .

غير أن هناك أيضا المشاكل الثقافية ، التي تولدت عن أكثر من قرن ، من الاحتلال الأجنبي ، وعن محاولة إدماج الجزائر فى حضـارة غريبة عن أهلها ، ومسخ تفكيرها الوطني . ولم تكن **ثورة نوفمبر** ، فى معناها الثقافي ، سوى رد فعل صريح عنيف ضد هذه المحاولة . فقد كانت تعبيرا على إرادة الشعب الجزائري ، فى رفض المسخ الحضاري ، بجميع أشكاله . ولكن عملية الرفض أسهل من عملية التثبيت ، والجزائر اليوم تجد نفسها فى صراع مع

(*) **منطلقات فكرية** : ابو القاسم سعد الله (الدار العربية للكتاب : ليبيا ــ تونس 1976) بتصرف .

ــ فى صيف 1966 طلبت (المجاهد) الجزائرية من الكاتب المشاركة فى الاستفتاء الذي اجرته حول (المشاكل الثقافية) التي تواجه الجزائر المستقلة ، فاجابها بهذا البحث الذي نشرته بتاريخ 15 يناير 1967 ، عدد 350 . انظر كذلك عدد 351 من نفس الجريدة

نفسها لكي تثبت أنها لم ترفض الحضارة الأجنبية رفضا سلبيا ، ولكن الجزائر ترفض تلك الحضارة اقتناعا منها بأن لديها ما هو خير منها . والصق بشخصيتها ، وأنسب الى نوعية تفكيرها واخلاقها .

وهنا تبدأ **ازمة الثقافة الوطنية المعاصرة** . واذا كانت الثورة قد قامت بالتزاماتها فى عدة ميادين ، فان كثيرا من التزاماتها فى ميدان الثقافة ما يزال ينتظر التحقيق . وصعوبة العمل فى هذا الحقل لا ينكرها احد . ذلك ان التطبيق هنا يعني التوفيق بين ذكريات الماضي ، وتمنيات الحاضر ، وآمال المستقبل .

ب ـ المشاكل :

واذا أخذنا فى الاعتبار الملاحظات السابقة ، فانه من الممكن تصنيف المشاكل الثقافية ومنها :

1 ـ الذوق العام .
2 ـ اللغة .
3 ـ الأمية .
4 ـ التعليم .
5 ـ الصحافة .

1 ـ **الذوق العام** : سواء احببنا أم كرهنا فإن الاستعمار قد ترك طابعه الخاص على الجزائر . وعلى الرغم من أن هذا الطابع يختلف عمقا من جهة الى جهة ومن جيل الى جيل فانه من الوضوح بحيث لا يخفى الا على الذين لم يدرسوا المجتمع الجزائري قبل الاحتلال . وسوف نكون سطحيين اذا قصرنا أثر الاستعمار على الجزائر فى اللغة ، وأشكال اللباس،وانواع الأطعمة ، ونحو ذلك من الأشياء الظاهرة . ذلك أن هذا الأثر اكثر خفاء واخطر مفعولا مما تتصوره . إنه يتمثل فى طريقة حياة نعيش بها بدون أن نحس أنها من غيرنا وليست منا . ومن الممكن أن يشعر الملاحظ بذلك حين ينتقل من الريف الى المدينة أو من بلد عربي آخر الى الجزائر . والحق أن تلك الطريقة تتمثل فى نوع اختيارنا للاشياء ، واتجاه ذوقنا العام ، وشكل تخاطبنا ، وهيئة لباسنا ، ونحو ذلك . والقضاء على هذه (الطريقة المستوردة) سيشكل انتصارا كبيرا للثورة لا يقل فعالية عن انتصارها فى معركة السلاح .

2 ـ **اللغة** : من الخطأ الفادح فصل الوطنية الجزائرية عن اللغة العربية ذلك انه لا يمكن فهم تاريخ الشعب الجزائري وطبيعته ونضاله التحريري بدون ربط كل ذلك باللغة العربية . والقول الذي كان يردده بعضهم بأن الجزائريين يتحدثون بالفرنسية ولكنهم يفكرون بالعربية قول غير واقعي، فاللغة ليست أصواتا والفاظا فقط، ولكنها قبل كل شيء طريقة تفكير . ويجب ان نؤكد هنا بأن هناك تلازما منطقيا وتاريخيا بين العربية والوطنية فى الجزائر ولا يمكن أن يفهم احدهما بدون الآخر كما لا يمكن ان تفهم الجزائر بدون حدودها ورايتها وسيادتها .

ومن الخطأ الواضح وصف من ينادي بترسيم واحترام العربية بالتزمت او التعصب اذا كان يراد من ذلك الاهانة . بالعكس ، ان المنادين بذلك هم المنطقيون مع انفسهم ومع التاريخ ومع الثورة . لقد كان الاستعمار ينعت الوطنيين الجزائريين بالمتعصبين (فاناتيك) ولكن هذا الوصف كان عنوان فخر لجميع المناضلين آنذاك لأن الوطنية فى معناها البعيد ، ما هي الا نوع من التعصب والتزمت اي المحافظة على بعض المبادئ والقيم من التلاشي . فلماذا نجد اليوم من الجزائريين من يستعمل نفس الأوصاف ضد أخوته فى حين انه كان يفخر بها هو نفسه أيام الاحتلال ؟

فالجزائري الذي يتحدث او يكتب بلغة لا يفهمها بعض مواطنيه من جميع اصقاع الوطن يجب أن يشعر بوخز الضمير وبالاهانة فى نفس الوقت . والجزائري الذي يحضر أحد الاجتماعات الوطنية ولا يستطيع ان يتابع المناقشة إلا عن طريق الترجمة يجب ان يشعر بغربة مهولة بين ابناء وطنه . والجزائري الذي لا يستطيع أن يقرأ ما كتبه اجداده الا فى لغة اجنبية يجب ان يشعر بالعار ، بل بنقص فى الوطنية .

وهنا يجب أن نؤكد بأن دور الجزائر فى الوطن العربي ، بل فى افريقية أيضا ، سيبقى محدودا مشلولا ، سواء على المستوى السياسي او الثقافي ، ما لم تعط للعربية المكانة اللائقة بها . إن لنا اخوة فى بقية أجزاء الوطن العربي يتأثرون بنا ونتأثر بهم فكيف نطمح الى ان ننسق معهم الجهود الثورية والحضارية ، اذا لم نتقن اللغة المشتركة ، التي تربطنا جميعا ؟ .

3 ـ **الأمية** : ويتصل بمشكلة اللغة مشكلة اخرى هي الأمية . والجزائر ، كجزء من العالم الثالث . تجد نفسها تعاني من جريمة الاستعمار فى هذا الصدد . فالمستعمرون لم يعلمونا ثقافتهم ، حتى لا نطالبهم بالعدالة والمساواة ، ولا ثقافتنا حتى لا نطالبهم بالحرية والاستقلال . ورغم انعدام

الاحصاءات الدقيقة ، فان نسبة الأمية في الجزائر عند الاستقلال ، كانت حوالي تسعين في المائة . ولكن الجزائريين الذين كانوا يتحدثون ويفهمون العربية ، كانوا وما زالوا يشكلون الاغلبية الساحقة من الجمهور .

وقد كان من الواجب توجيه جميع طاقاتنا التعليمية ، للاستفادة من هذا الوضع ، غير انه مما يؤسف له ، أن ذلك لم يحدث حتى الآن . فالمدارس ووسائل الاعلام والصحافة ، لم تستغل بعد لنشر التعليم ، بين المواطنين باللغة التي يتحدثون بها ، ويفهمونها ، ولاشك أن هناك عراقيل كثيرة في هذا الطريق من بينها **انخفاض الروح الثورية** لدى البعض ، وعدم تشجيع المتطوعين ماديا وادبيا ، وفقدان ميزانية خاصة لمحو الأمية ، وتسلط المتفرنسين على اجهزة الاعلام ، **والتشكيك في قيمة الاستفادة من أشقائنا العرب .**

4 ـ **التعليم** : يجب التفرقة هنا بين الثقافة والتعليم . فالأخير أخص دلالة من الثقافة التي أصبحت تعني ، في مفهومها الحديث ، درجة مرتفعة من المعرفة والذوق وتبدو مشكلة التعليم في حدتها ، حين نعرف أن تكوين الاطارات يجب ان يتم بسرعة وباتقان في نفس الوقت . والمشرفون على التعليم عليهم أن يوائموا بين طاقات الجزائر البشرية والمادية ، وبين حاجاتها التقنية والتعليمية ، مع عدم التضحية باختياراتنا الثورية .

5 ـ **الصحافة** : ورغم أن الاحصاءات تشير الى ان عدد قراء العربية أكثر من قراء الفرنسية فان القارئ الجزائري ذا اللسان العربي مازال لا يجد حاجته في صحيفته اليومية . وبالمقارنة بين الصحف الوطنية يظهر أن هناك فرقا كبيرا في الاخراج والتوزيع بين الصحف الصادرة بالفرنسية والأخرى الصادرة بالعربية ، كما أن هذه الاحصاءات تبرهن على أن عدد الصحف ذات اللسان الفرنسي أكثر من ذات اللسان العربي ، بينما كان يجب العكس اذا راعينا نسبة القدرة على القراءة ، واتجاه الوطن نحو استرجاع مقوماته الأساسية .

وبالاضافة الى ذلك فانه باستطاعة كثير من الجزائريين الحصول على الصحف الاجنبية (مثلا : الفرنسية) ، بينما لا يجد زملاؤهم نفس الفرصة في الحصول على الصحف العربية ، (غير الجزائرية) الا قليلا . وقد نتج عن هذه الحالة عدم تساو في الثقافة اليومية والتوجيه العام ، سواء في ذلك القضايا المحلية والعالمية .

ج ـ الحلــول :

قبل كل شيء ، يجب أن نلاحظ بأنه لا يمكن تحقيق أي حل ما لم تتحقق الشروط التالية :

أولا : ضرورة وجود مثقفي العربية على رأس الجهــات المسئولة عن التعريب ، والثقافة ، والتعليم ، ووسائل الاعلام ، ان إسناد الأمور لغير أهلها ينتج عنه رد فعل عكسي ، اهمه عدم العناية ، وعدم الحماس

ثانيا : اسناد المسئوليات عن طريق الجدارة والـكفاءة ، لا عن طريق السياسة ، أو الصحبة ، أو الجهوية ، أو المحسوبية . ان أكثر دول العالم تقدما هي التي تفرض على ابنائها أن لا يصلوا الى مراكز السلطة والنفوذ ، الا على سواعدهم وكفاءاتهم . وأكثر دول العالم تخلفــا هي التي تستعمل طريقة (الاكتاف) ، وسياسة التـكتلات الجهوية الطائفية ، ولن تستطيــع الجزائر أن تشق طريقها الى القمة المنشودة ، الا اذا قضت على هذه الآفة ، التي مازالت تنخر عظام شعوب العالم الثالث

ثالثا : وجود الثقة والتعاون بين جميع المناضلين لتحقيق هذه الحلول فليس هناك فرد او جماعة أو مؤســسة ، بقــادرة وحدها على القيام بهذا العبء الثقيل . والايمــان بأن القضاء على بقايا الاستعمار جــزء من معركة التحرير نفسـها ، وشرط أساسي فى هذا الموضوع .

ومهما قيل عن مشاكل الثقافة الوطنية ، فان جميع حلولها مرهونة بالتزام الجزائر بالخط الثوري السليــم . وان الضمان الوحيد لتفهم تلك المشاكل ، وايجاد حل لها متوقف على تفتح الثورة نفسها ، حتى يكون فى استطاعتها أن تحمي نفسها من العواصف والرجات ، وأن تتعمق حاجات الجماهير ، وأبعاد العصر الذي تعيش فيه

والطريق الصحيح للالتزام بذلك الخط الثوري ، هو ديمقراطية الثورة نفسها ، ذلك أن كل احتكار للثورة ، يعني تحريرها من أقدس مبادئها وهو الشعبية . ولكي تكون الثورة متفتحة وديمقراطية ، يجب أن تجد فيها جميع العناصر الوطنية المناضلة مجالا لطاقاتها ومواهبها .

20 المكتبات طريق الشعب الى الثقافة(*)

النـــص :

1 ــ كانت المكتبات فى كل زمان مؤشرا هاما الى مستوى معين من الثقافة والحضارة . وبالمقابل كان إحراق المكتبات مؤشرا آخر الى موجة من الهمجية والبربرية تدك معالم الحضارة وتقضي على أهم تراث حققته الانسانيــة خلال فترة زمنية طويلــة . هكذا كانت الحال مــع مكتبات الاسكندرية وبغداد ودمشق فى العصور القديمة ، وعندما أحرق الفاشيون الفرنسيون مكتبة جامعة الجزائر قبل الاستقلال بفترة قصيرة فانهم كانوا فى الواقع يتابعون «رسالة» من سبقهم فى الماضي من همج وتتر ومغول ممن اشتهروا بعدائهم الأزلي لكل ما هو علم وثقافة ، وينقلون هذه العادة البشعة الى القرون الحديثة ، ومما يزيد فى بشاعة هذه الجريمة أنها جــاءت فى نفس العام (1962) الذي حصلت فيــه الجزائر على أستقــلالها وكــأن 130 عاما من السياســة الاظلامية والتجهيلية لم تكف ، فعمــدت فلول الاستعمار الفرنسي المتقهقر ، ممثلة بالمنظمة السرية الفرنسية ، الى احراق المكتبة الجامعية فى أوائل جوان 1962 ، ان الوقوف أمام عمل كهذا يدفع بنا الى التفكير عميقا فى طبيعة الاستعمار وأسس تصرفه وسلوكه .

(*) مجلة : « الجزائر أخبار ووثائق » تصدر عن : المركز الجزائري للاعلام والثقافة ــ بيروت . العدد : 55 ــ 1 يونيو 1974 .

2 ـ فالمكتبة أولا: ليست هدفا عسكريا أو استراتيجيا كما أن احراقها لا يمكن أن يرهب أحدا ، لذلك فان أقل ما يمكن أن توصف به هذه الجريمة هو أنها جريمة ضد الثقافة والحضارة وضد الانسانية وهي تندرج ضمن سياسة «الأرض المحروقة» التي تعتمد على تخريب كل شيء قبل الاضطرار الى الرحيل وذلك حتى تزداد صعوبات الاستقلال وتضطر الثورة الى البدء من لا شيء .

ثانيا : إن اختيار المكتبة الجامعية كهدف للتخريب يكشف عن إرادة حاقدة فى القضاء على كل ما هو ثقافة وطنية أو حتى ثقافة انسانية . وكأن الارهابيين قد أدركوا تماما أنهم والثقافة على طَرَفَيْ نقيض وأن انتصارهم لا يمكن أن يتم الا على أنقاض كل ما هو فكر ووعي وثقافة .

3 ـ ومهما يكن من أمر ، فقد كان الارهابيون الفرنسيون يدركون أن اتجاه التاريخ يسير رغما عنهم ، وحصلت الجزائر على استقلالها فى نفس العام ، وبعد أقل من ست سنوات كان الشعب الجزائري يحتفل باعادة افتتاح مكتبة الجامعة الجزائرية بعد أن تم توسيعها وإغناؤها وإعادتها أفضل مما كانت . وبين هذا الحديث وذاك ، تبرز معان كثيرة أهمها : أن الثقافة الوطنية ، التي كانت الأرض التي نبتت فيها الثورة ، استمرت فى أداء دورها كمحرك للتاريخ والتقدم رغم كل محاولات القضاء عليها ، لا بل أخذت الثورة بدورها تَدْعَمُهَا وتقويها وتعممها على الجميع . وبعد إعادة افتتاح المكتبة الجامعية بعامين جاءت الخطة الرباعية لتقرر انشاء أكثر من ألف مكتبة بين كبيرة ومتوسطة وصغيرة فى كل ناحية من أنحاء الجزائر . وكان هذا هو الرد الحقيقي على حادث إحراق المكتبة من طرف مجرمي «المنظمة السرية المسلحة».

4 ـ المكتبات فى الجزائر :

تحتل المكتبــات دورا مميزا فى ترسيخ أســس ديمقراطيــة الثقافة وتتجيعها ، فهي ليست متحفا للكتب القيمة النادرة . وليست وقفا على نخبة محدودة من المثقفين أو الاختصاصيين بل هي نــوافذ مفتوحة أمام جماهير الشعب لتطل منها على أجواء الثقافة الواسعة ولتشبع جوعها المزمن الى القراءة والمطالعة . إنها توفر لمختلف فئات الشعب فى الجزائر ، المناخ الملائم والأدوات الضرورية نحو ثقافة أوسع وأعمق .

ان التصور العام للمكتبات فى الجزائر هو أن تلبي حاجات الاختصاصي والطالب والباحث كما تلبي حاجات الرجل العادي الذي يريد أن يتثقف ويكمل ويضيف الى ثقافته المدرسية الأولية ثقافة أكثر شمولا ، انها الأداة الفعالة فى أي عمل تثقيفي جماهيري وفى أية عمــلية لنشر وعي اشتراكي وثوري حقيقي . وبما أن للمكتبات فى أي مكان من العالم عدة وظائف . كذلك فان المكتبات الجزائرية لا تشــذ عن هذه القاعدة سواء من حيث تنظيمها أو وظائفها أو غايتها .

5 ـ المكتبة الوطنية :

إن أفضل تعريف بالمكتبة الوطنية الجزائرية هو القول بأنها المكتبة الأم . إنها ذاكرة وحافظة الشعب فمهمتها جمع وتصنيف وحفظ كل الانتاج المطبوع والمخطوط فى البلاد لكي تستفيد منه الأجيال الراهنة والأجيال اللاحقة .

6 ـ والمكتبة الوطنية تعتبر بحق أهم وأحدث مكتبة فى كل القارة الافريقية . تبلغ مساحتها الكاملة 4800 متر مربع ، وتحتوي على ثلاث قاعات للمطالعة تتسع لأكثر من 450 مقعدا بالاضافة الى قاعة كبرى مخصصة للعلوم الانسانية ، وقاعة أخرى مخصصة للعلوم والطب ، وقاعة ثالثة للعمل

في الهواء الطلق . وأخيرا هناك قاعة واسعة جدا مخصصة للمجلات والصحف والدوريات .

وتحتوي هذه المكتبة على حوالي 600ر000 كتاب موزعة على 17 كلم من الرفوف . وقد بنيت المكتبة وصممت لتتسع لأكثر من مليوني كتاب في المستقبل وهي مزودة بأحدث التجهيزات ، من مصاعد وتدفئة مركزية ، وارسال بطاقات الكتب بواسطة الانابيب الضاغطة ولوحات الاشارات المضيئة ، وأجهزة اكتشاف الحرائق . .

7 ـ ماذا نجد في المكتبة الوطنية ؟

هناك أولا القسم العربي . وبالرغم من السياسة التميزية التي خضعت لها إدارة المكتبة في ظل الاحتلال ، فقد استطاعت الادارة الجديدة أن ترفع عدد الكتب العربية الى حوالي 70،000 كتاب ، ومن المنتظر أن يزداد عدد هذه الكتب تدريجيا وبسرعة ، وخاصة بعد سياسة الانفتاح الثقافي على بلدان المغرب والمشرق العربيين إثر الاستقلال . ففي الوقت الحالي يجد القارئ داخل المكتبة كل ما يصدر في البلدان العربية حديثا ، وهناك مساع للحصول على الكتب القديمة .

هناك ثانيا المخطوطات التي يبلغ عددها حوالي الثلاثة آلاف مخطوطة عربية وتركية من بينها مخطوطات قديمة جدا لا تقدر قيمتها بأي ثمن مهما ارتفع وذلك نظرا لندرتها وأهميتها التاريخية والفكرية . وتعمل المكتبة الوطنية جاهدة الآن على تجميع أكبر عدد ممكن من المخطوطات أينما وجدتها في أنحاء البلاد (مكتبات خاصة وعامة) وذلك بهدف المحافظة عليها ووضعها تحت تصرف الباحثين والمؤرخين .

وهناك ثالثا القسم المتعلق ببلدان المغرب العربي الكبير وهو يضم أكبر عدد ممكن من الكتب والوثائق والمجلات والصحف والدوريات المتعلقة بهذه البلدان الثلاث .

ان المـكتبة الوطنيـة تضطلع بدور المحافظ على تـراث الثقافة الانسانية فى العالم وهو ذو طابع موسوعي وتتغلب عليه الكتب الفرنسية ويضم وحده أكثر من 450,000 كتاب . ومما تجدر الاشارة اليه أن هذه المكتبة ستصبح فى الأعوام القليلة القادمة أهم مصدر لدراسة تاريخ القارة الافريقية ماضيا وحاضرا .

8 ـ وأخيرا فان المكتبة الوطنية تضطلع بدور المحافظ على التراث الوطني وتشرف على كل ما يصدر فى البلاد من انتاج مطبوع (كتب ، مجلات أسطوانات ، تسجيلات . .) إذ دائما تفرض على كل ناشر أو كاتب أن يودع لديها 4 نسخ من كل كتاب أو اسطوانة ، يصدرها ، وتقدم المكتبة لروادها خدمات عديدة منها تصوير المستندات والوثائق وتصوير الكتب النادرة على أفلام صغيرة لتسهيل تداولها (ميكروفيلم) وعدم احتلالها حيزا مكانيا كبيرا بالاضافة الى إعادة الكتب وتنظيم المعارض وتزويد المكتبات الشعبية والجوالة بكل ما تحتاجه .

وتؤدى المكتبة الوطنية دورا هاما فى تأسيس حركة مكتبية واسعة وذلك من خلال تخريج اختصاصيين فى إدارة وتسيير المكتبات على أحدث النظم العالمية .

9 ـ مكتبة الجامعة :

أما مكتبة الجامعة فهي بمثابة أداة للعمل والبحث والدراسة إذ تساعد الطلاب على استشارة المراجع الأساسية التي تنمي دراستهم الجامعية فى مجالات تخصصهم ، وتساهم مساهمة أكيدة فى إغناء الأبحاث الشخصية

التي يقومون بها وتكمل جهود الأساتذة التي لا تكفي وحدها إلا اذا تم الرجوع اليها بالذات . وهي تتميز باحتوائها على عـدد كبير من الكتب المتخصصة ، ذات الفائدة المباشرة فى مساعدة الأساتذة والطلاب على حد سواء .

10 ـ مكتبات المعاهد :

وفيما يتعلق بالمكتبات التابعة للمعاهد والمؤسسات أو بعض المدارس المتخصصة فان دورها أكثر تحديدا وأقل شمولا من مكتبة الجامعة ، إذ أنه يقتصر على تزويد الطالب أو الباحث أو المراجع بسرعة متزايدة بمعلومات وافية عن آخر منجزات العلم والتكنولوجيا فى العالم ، وعن كل ما يصدر فى هذا المجال من كتب ومجلات ودوريات .

11 ـ المكتبات المدرسية :

أما المكتبات المدرسية التابعة للثانويـات ومعاهد المعلمين والمدارس الابتدائية والتكميلية فانها أقرب ما تكون الى المكتبات العامة ذات الطابع الموسوعي منها الى المكتبات المتخصصة . ومن المقرر أن يتم تدعيم هذه المكتبات فى المستقبل حتى تحتل حيزا أكبر وأعمق من اهتمامات التلاميذ .

12 ـ مكتبات اخرى :

وهناك نوع آخر من المكتبات يلحق عادة بالوزارات والمصالح العامة ، غايتها تزويد الموظفين بالمراجع والوثائق والكتب الضروريـة لحسن سير الأعمال فى هذه الادارات .

بالاضافة الى كل هذا ، توجد فى الجزائـر مكتبات تابعة للبلديات والمراكز الثقافية ومقارّ فروع الحزب والنقابات والثكنات والمستشفيات والسجون ومراكز الثقافة الشعبية وتمتاز هي الأخرى بالطابع الموسوعي الشمولي . وتتغذى هذه المكتبات الصغيرة من المكتبة الوطنية الأم بواسطة «المكتبات الجوالة» التي تجوب كل أنحاء الجزائر مزودة كل المراكز بحاجتها من الكتب .

وتقدم المكتبة الـوطنية الى كل هذه المكتبات مساعدة تقنية قيمة وخاصة فيما يتعلق بتدريب المسئولين عن المكتبات والقـائمين بتسييرها وتنظيمها وتصنيفها وإعداد لوائح بموجوداتها وهي أمور لا غنى لكل مكتبة تحترم نفسها من الالمام بها وذلك لتسهيل تداول الكتب فيها والمحافظة عليها .

الخـلاصة :

وهكذا فإن الجزائر ـ إخلاصا منها لرسالتها فى ارساء دعائم ثقافة شعبية ديمقراطية ـ قد أنشأت شبكة واسعة من المكتبات من المتوقع أن تساهم مساهمة أكيدة فى تطوير الثقافة الوطنية وإغنائها ودفع عجلة التقدم الفكري والحضاري الى الأمام .

إن ما تم حتى الآن فى مجال إنشاء المكتبات وتطويرها ، لم يكن سوى الرد المباشر على جريمة الاستعمار فى محاولاته القضاء على الثقافة الوطنية . أما من الآن وصاعدا ، فقد بدأت مرحلة جديدة هي مرحلة بناء المؤسسات الوطنية الحديثة لارساء ثقافة شعبية ديمقراطية حقيقية .

21 اللغــة والشخصية *

« لم يبعث الله نبيا الا بلغة قومه »

[حديث]

النــــص :

1) ملابسات «التحول الثقافي» .

توجد فى كثير من بلاد العالم اليوم طوائف من المثقفين لُقِّنت النقد الذاتي من مَرايا مشوهة تعكس لهم وجوههم فى أبشـع الصور وحسب الرسوم التي يرسُمها لهم مستعمروهم القدماء ، وينتج عن هذا التشويه أنهم كرهوا صورتهم أشد الكراهية وأرادوا استعارة وجه جديد . أعطني صورتك أتقنع بها ، أعطني دماغك أفكر به ، أعطني يدك أعمل بها ، أعطني لسانك أتكلم به. ولو سمعنا إنسانا ينطق بهذه العبارات لقلنا إنه يهذي (1)، إننا تعودنا فى لساننا العربي أن نسمي هذيان الطائفة الاجتماعية استلابا (2) واغترابا . إن المجتمع المسلوب الثقافة يشابــه الشخص المسلوب العقل ، والاغتراب الأكبر هو أن تغترب عن قومك فيجدونك تتكلم معهم بلسان الآخرين ، والافراط فى الجنون والاستلاب هو أن تقول لقومك اغتربوا جميعا حتى تصيروا مثلي لأنني بخير .

(*) عن مجلة الاصالة ع : 17 ـ 18 بعنوان «التعريب من الوجهتين الاجتماعية والسياسية»
عبد المجيد مزيان : أستاذ علم الاجتماع بجامعة تلمسان .

(1) **يهذي** : يتكلم كلاما غير معقول لمرض ونحوه .

(2) **استلابا** : اختلاسا لانــه سلبت منها شخصيتها فصارت غريبة عنها

ومن الملابسة أن نقذف بلغتنا بعيدا عن وجودنا كأنها الشيء المنفصل عن كياننا وَنَصُبّ عليها اللعنات فنسميها لغة القرون الوسطى ، ولغة الشعر والعاطفة وأخيرا لغة الرجعية والرجعيين (3).

إن لغة مجتمع ما تعكس حياة هذا المجتمع بكل إخلاص فاذا قلنا إن لغتنا لغة الشعر والعاطفة فمعنى هذا أن مجتمعنا مجتمع الشعر والعاطفة . واذا قلنا وصح قولنا : إنها لغة القرون الوسطى فمعنى هذا أننا لا زلنا نعيش حياة القرون الوسطى . وبما أن اللغة ليست إلا جزءا من إنتاج المجتمعات ونشاطاتها فعلينا أن نلوم أنفسنا عن كل عجز يلاحَظ في لغتنا ، ولا يمكن أن تتصور عزم أمة متخلفة على الاقلاع عن التخلف دون أن تتصور عزمها على محاربة الأمية ودون أن تتصور عزمها على النهوض بلغتها بكل إسراع ، إلا أن تكون أمة تعيش أشَدّ الاستلابات وَطْأَة وهو الاستلاب الثقافي الذي ينبئ بالانقراض القريب .

وإنه لمن الملابسة أن نقول إن التمسك باللغة الوطنية أمر عاطفي أكثر مما هو عقلاني ومنهج التغلب على مظاهر التخلف لا يتطلب إلا العقل البارد الصّرف وأعترف أني لو سئلت لماذا أحب لغتي الوطنية لوقع مني التهافت على التماس الأدلة العقلية ولكنها أدلة ستغطي الواقع العميق ، وهو أن حب الانسان للغته أمر شعوري لولاه ولولا شعورات أخرى مثل الاعتزاز بالوطن والتضحية من أجله ، لما كانت هناك أوطان أو أمم يفاخر بعضها البعض ، ولا يتجاهل هذه الحقيقة المتجاهلون لأحوال المجتمعات ولو سألنا

---

(3) **الرجعي** : هو من يتشبث بالأصل ويرجع اليه .

الأنجليزي والفرنسي لماذا تصرف الأموال الضخمة فى مختلف بقاع العالم من أجل التحصيل على إشعاع ثقافي للغة الأنجليزية واللغة الفرنسية ، لقيل لنا : نحن أمم تحب لغاتها وتتمنى لها الانتشـــار فى جميع الأنحاء ، ولو تناولنا بالبحث ظاهرة حِـرْص الأمم على نَشْر لغاتها لــوجدنا أن الناحية العاطفية لا تقل أهمية فيها عن النواحي المصلحية .

واذا كانت العاطفة شبه جريمة فى الميدان العلمي الصرف ، لأنها مفسدة للبحث النزيه فانه من الجريمة فى ميدان التمسك بالوطن واللغة أن لا تكون هناك عاطفة أو أن نلابس على انعدامها عند الأمــم الضعيفة باللجوء الى العقلانيات التي تبرر التحول الثقافي المهيأ للذوبان .

ونكاد تتساءل هل نحن اليوم أكثر وعيــا أم كان وعينا أقوى منذ عشرين سنة لقد كان الضغط الاستعماري يجري علينا مباشرة إذ ذاك ، وكنا ننتبه بسببه الى مخططات العدو ونحاول إحباطها فى أنفسنا قبل كل شيء ، وكنا نشاهد التفككات العميقة التي يتعرض لها مجتمعنا وندرك بالبصر واللمس الذي لا يحتاج الى التحليل ، أن أمتنا مُهدَّدة بالانقراض من كل جانب ، وكنا تتمسك ببقايا من ثقافتنا كآخر وسيلة للنجاة ، أما الآن وقد زال الخطر المباشر فيظهر أن انتباه الكثير منا قد عرف بعض الفتور . لقد أصبحنا تتكلم عن ثنائية الأصالة والتفتح كشعار يفهمه كل منا حسب تكوينه الحالي ، مع جهد قليل فيما يخص التأصل .

ولا غرابة أننا نجد بعض المثقفين يضيقون بمفهوم الأصالة (4) لحصره فى حدود الثقافات الشعبية أو لحصره فى شبه تقليد لأسلافنا مع التكاسل عن الأصالة الحقيقية التي هي الخلق والابداع الذي تتطلبه النهضة الواجبة على أجيالنا الحاضرة .

---

(4) **الأصالة** : الــرجوع الى الاصل والتمسك به .

الاشعاع الثقافي للمدن الاسلامية :

يفترض بعض المؤرخين أن التعريب فى المغرب الاسلامي ، كان من الممكن أن ينحصر فى كُبْرَيات المدن ، لولا توالي هجرات السكان الناطقين باللسان العربي ويبدو لنا أن مثل هذا الافتراض لا أساس له من الصحة ، لأن رغبة الجماعات المحلية فى التعريب كان مقرونا بالتطلع الى الحضارة واكتساب الثقافة الاسلامية . ومهما كانت أهمية الدور الاقتصادي والسياسي الذي كانت تلعبه الحواضر الاسلامية الكبرى ، فان اشعاعها الثقافي كان يعتبر أهم شيء فى نظر الأمة ، وإنه لمن السخافة أن نربط ظاهرة التعريب بالعرق العربي ، كما كان يفعله المستعمرون بالأمس وأتباعهم من أبناء أمتنا اليوم . ذلك أن حملة الثقافة الاسلامية كانوا من مختلف الأعراق ولا يهمهم البحث عن أجناس البشر بقدر ما يهمهم الانتساب الى

الأمة ، وليس من العجب أن تجد فى مجتمعاتنا الحضرية جل المعربين من السكان الأصليين . واننا إذ نتكلم عن الاشعاع الثقافي للحواضر الاسلامية إنما نعني بذلك أن العلوم العربية والاسلامية لم تكن منحصرة وراء أسوار المدينة ، بل كان الطلبة المتخرجون من حلقات العلم بكبريات المدن ، يذهبون الى قراهم ويقومون بنفس الدور الذي قام به شيوخهم ، وسرعان ما تصبح القرية عبارة عن مدينة مصغرة لها رسالتها فى نشر العقيدة والشريعة واللغة العربية .

واذا كانت هناك مدن (قطبية) تدور حولها حركات ضخمة من الأنشطة الحضارية والثقافية مثل القيروان وقرطبة وفاس ، فإن هناك عواصم جهوية لا يمكن تناسي أدوارها فى نشر العلوم الاسلامية وربما كان لها القسط الأوفر فى حمل الثقافة العربية الاسلامية الى أبعد الآفاق ، إن

بجاية وتلمسان وقسنطينة ، لتعد نماذج لهذه العواصم الجهوية التي كانت تسهر على تعريب السكان بتعدد الاتصالات وإرسال الطلبة الى مختلف النواحي ، وليست قضية الاشعاع الثقافي مربوطة حتميا بكبر المدينة أو صغرها ولا باستقرارها السياسي ، ذلك لأن المثقفين المنبثقين من الجماعات الشعبية كانوا يلقون فى بعض الأحيان مساندات من السلطان ، كما كانوا يلاقون أحيانا أخرى معاكسات ورسالتهم الثقافيــة هي هي لا تعرف أي فتور . وقد تجد النشــاط العلمي زاخرا فى المدينة الصغيرة بينما تجده محدودا فى المدينة الكبيرة ، غير أن الظاهرة العامة بالنسبة للاشعاع الثقافي فى المدن كانت تتلخص فى شعور مثقفيها بضرب حصار منظم على الجهل أينما وجد ، وكانوا يستغلون كل اتصال لبث معارفهم العربية الاسلامية ومن العجب أنهم كانوا لا يفرقون بــين السكان الناطقين باللسان العربي وغيرهم من السكان فى القيام برسالتهم الثقافيــة ، ولا فرق عندهم بين

هؤلاء وهؤلاء إذ يعتبرونهم ســواء فى الجهل بالشريعة وبلغــة القرآن . فالتعريب الحقيقي الذي هو تعريب ثقافي يحتــاج الى مؤسســات علمية ثابتة مستقرة ، ولم تكن تتوفر شروط الاستقرار الضامن للاشعاع إلا فى المدن التي تحتضن فيها الجماعات المحلية هذه المؤسسات فليست قضية التعريب إذن قضية سكان ناطقين أو غير ناطقين باللهجات العربية ، وليست قضية تشجيع أو عدم تشجيع من طرف السلطان ، وليست قضية مدن كبيرة أو مدن صغيرة ، ولكنها قضية شعور شعبي وجماعة واعية ومنظمة تعمل على تحقيق هذا الشعور .

[عبد المجيد مزيان]

عن مجلة «الاصالة» العدد 17 ــ 18

21

محاولــة يائســة (*)

النــص :

حينما استقلت بلاد المغرب العربي وجدت نفسها تحت عبء ضخم تَخلّف من سيرة الاستعمار الفـرنسي فى هذه الأقطار ، سواء فى الميـدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي .

وليس من مهمة هذا الحديث أن يتنـاول الارث الثقيل فى مختلف الميادين ، فذلك موضوع بناء استقلالنا على أنقاض هذا الارث الضخم ، ولكننا نقتصر فقط على مشكلة أساسية تتصل بمقوماتنا الوطنية والقومية والفكرية ، وهي مشكلة اللغة . فقد جاء الاستعمار بعقلية جديدة غريبة هي تغيير معالم أقطار المغرب لتكون نموذجا ممسوخا لمعالم البلد المستعمر أو الدولة الأم كما كانت تسمى .

كان ذلك هو منطلقهم فى العمل الاقتصادي بأقطار المغرب ، ليكون هذا الاقتصاد مكملا للاقتصاد الفرنسي دون اعتبار لما يجب أن تُدِرّه تنمية هذا الاقتصاد على الانسان المغربي . ولذلك كان الاقتصاد لا يستهدف تنمية ما بين المغاربة من موارد اقتصادية لصالحهم وصالح الجالية الأجنبية التي (تتعايش) معهم ، ولكنه كان يستهدف سرقـة مواد الاقتصاد من أرض فلاحـية وموارد معدنية وثـروة سمـكية وصنـاعات مختـلفة ــ إلا بعض الصنـاعات التقليـدية التي لا تُـدِرّ مـالا ــ وتمليك كل ذلك للأجانب حتى يصبح المواطن المغربي فى الأقطار الثلاثة مرغما على أن يطيع ، لأن سياسة التفقير وسيلة للارغام وسبيل للطاعة .

(*) عن مجلة الاصالة ع : 17 ــ 18 بعنوان «التعريب واقعة ومستقبله فى المغرب العربي».

وكان ذلك أيضا منطلقهم فى العمل الفكـري . والتعليم واللغة أول مراحل هذا العمل .

سياسة التعليم فى الأقطار الثلاثة قامت على أساس الفرنسية . ولا نحتاج أن نتحدث عن قيمة التعليم ومستواه فى العمق أو فى الانتشار ولكنا فقط نشير الى أن التعليم الذي (مُنِح) لبعض المواطنين فى المغرب العربي كان فرنسي اللغة ، بالاضافة الى أنه فرنسي التوجيه والمحتوَى ، والهدف منه ــ كما لا نحتاج أن نقول ــ ليس إخراج مثقفين أو أُطُرًا كبرى للدولة ، فذلك من اختصاص الجالية الفرنسية التي كانت تتمتع بتعليم فرنسي منقول بمدرسته ، وأساتذته وبرامجه وتوجيهه الى الجزائر أو تونس أو المغرب ، وإنما كان الهدف منه إخراج مساعدين للادارة الفـرنسية يترجمون لمدير الادارة ــ ولتكن أبسـط إدارة أو أصغرها ــ ما يقوله هؤلاء الأهالي (ليزانديجين) (1) من كلام يعسُر فهمه على المدير أو الحاكم ، أو ينقلون أوامر المدير والحاكم لهؤلاء (الانديجين) الذين لا يفهمون ما يقول المدير أو الحاكم .

من هنا كانت المدرسة ــ على علاتها ــ فرنسية اللغة والتوجيه والفكر. وبما أن الادارة كانت تحت السلطة الفرنسية، فقد كانت هي الأخرى فرنسية اللغة والتوجيه وبما أن المسيطرين على الحيـاة الاقتصادية والاجتماعية كانوا هم الفرنسيين الذين لم يتأقلموا وبالتالي لم يتعلموا لغة البلاد ولم يستعملوها ، لأن هدفهم نقل هذه البلاد الى بلادهم لا نقل الانسان الفرنسي الى بلاد المغرب العربي ، فقد كانت الحياة العامة هي الأخرى فرنسية اللغة فى المعمل والمتجر والحقل والشارع .

---

(1) **ليزانديجين** : كلمـة كان يطلقها المعمرون على السكان الوطنيين

وهكذا وجدنا بلادنا بعد الاستقلال مفرنَسة فى كل قطاعات الحياة المتحركة ، اللغة والفكر والادارة والحياة العامة .

حقيقة أن معظم أبناء الشعب كانوا يتكلمون العربية أو البربرية فى المنزل والشارع وأحيانا عربية أو بربرية ممزوجة بكلمات فرنسية ـ تكثر نسبتها سنة بعد سنة ـ وهذه اللغة المتحدَّث بها احتفظت لنا بمظهرنا اللغوي نسبيا . **ان الاسلام والقرآن احتفظ لنا بكياننا العربي وبأصالتنا اللغوية ،** ولكن القرآن ظل منزويا فى المساجد وعند القلة الذين يتلونه تبركا أو تفهما. ولغة المنزل والشارع ليست اللغـة الحية المتطورة التي تساير الحضارة الفكرية والعملية الانسانية . ولذلك ظلت ضعيفة معزولة لا تكاد تعبر إلا عن أبسط العمليات الذهنية والرغبات البدائية .

ومعنى هذا أن لغة الحياة والفكر والادارة ـ وهي لغة الحركة العملية للانسان المتطور ـ أصبحت هي الفـرنسية . وقد حاولت هذه اللغة أن تقضي حتى على ما تبقى من لغة الحديث البسيطة أو لغة القرآن المنزوية ، أو لغة التعليم الاسلامي وخاصة فى القرويين والزيتونة والمدارس الاسلامية بالجزائر ، ولكنها من حسن الحظ لم تستطع أن تنفذ الى أهدافها . والفضل فى ذلك يرجع الى الاسلام والقرآن أولا ، ثم الى التمسك القوي بقوميتنا . فقد ظل المستعمرون أجانب رغم قرن وثلث قرن من الاستعمار فى الجزائر ، وثلاثة أرباع القرن فى تونس وأربعين سنـة فى المغرب . ثم يرجع الفضل أيضا الى الروح الاستعمارية التي كانت تدفع بالمستعمرين الى نوع من التعالي على المواطنين فى الأقطار المغربية . وهذه سياسة دفعت بالمواطنين الى التشبث بالعزلـة عن الفرنسيين . ولذلك فقد كان استعمـار فرنسا استيطانيا ، ولكنه لم يكن استعمارا اندماجيا . وهذا من مصلحة احتفاظ شعوب المغرب العربي بمقوماتها الذاتيـة ، ومنها اللغة العربية فى مظهرها البسيط كلغة حديث ، وفى مظهرها العميق المنزوي كلغة القرآن والاسلام .

المشكلة التي وجدناها إذن بعد الاستقلال تتشخص فى النقط الآتية :

ـ اللغة الفرنسية هي لغة التعليم .

ـ هي لغة الادارة والحياة العامة .

ـ اللغة العربية ـ على ضعفها وانزوائها واختلاطها ـ لغة الحديث تشاركها فى ذلك البربرية .

هذه المشخصات أعطت لبلاد المغرب العربي الصورة الآتية :

بلاد مستقلة سياسيا تستعمل فى تعليمها وإدارتها لغة أجنبية وتتبع الفكر الأجنبي وترتبط من أجل ذلك بالاقتصاد الأجنبي ، وتكاد تقتصر ارتباطاتها الثقافية والاقتصادية على بلاد أجنبية بعينها بوحي اللغة المشتركة أو بأوامر منها وهو التعبير الصحيح .

وهذا ما دفع بالكثيرين أن يصنفونا فى البلاد (الفرنكفونية) (2) ودفع بالبعض منا الى المشاركة باسمنا فى جمعيات الجامعات والمؤسسات التي تكونها البلاد المتحدثة بالفرنسية (كلا أو بعضا) وكاد هذا التصنيف يجعلنا من البلاد التي ليست لها لغة قومية . وأصبح من حق الذين لا يعرفون تاريخنا وحقيقة شعبنا أن يحسبونا من البلاد الافريقية التي لا يمكنها حضاريا وثقافيا إلا أن تلجأ الى لغة حديثة معروفة بأنها لغة علم وحضارة هي الفرنسية لتكون لغتنا .

هذا المظهر من مظاهر الأخطار الناتجة عن الوضعية اللغوية التي ورثناها عن الاستعمار وهو مظهر خطير لأنه يسلبنا من أحد مقومات كياننا القومي وهو اللغة وباقي الأخطار نتصورها فيما يلي :

---

(2) **البلاد الفرنكفونية** : الشعوب الناطقة باللغة الفرنسية دون لغتها الوطنية .

1 ـ استمرار الشعور بالنقص أو التشكيك فى القومية المغربية واللغة إحدى مقوماتنا .

2 ـ الارتباط المستمر باللغة التي نستطيع التفكير بها ، ومتى ارتبطت باللغة التي نفكر بها ارتبطت بالفكر والاقتصاد والمجتمع الذي ينبع من هذه اللغة . وإذن فسنظل مستعمرين ولو كنا مستقلين .

3 ـ استعمال هذه اللغة كلغة تلقين فى التعليم يفرض عدة صعوبات تعرقل تطور التعليم وتعرقل نمو تعليم الطفل وفى مقدمتها :

أ ـ تعليم الطفل لغتين فى وقت واحد يحد من قوة إدراكه ويجعله يعاني مشكلة ازدواج الادراك والفهم . وخطر ذلك تربويا واضح جدا وخاصة بتعليم لغتين تختلف قواعد ومنطق إحداها عن الأخرى ، وبذلك يخرج الطفل ضعيفا فى اللغتين معا .

ب ـ استعمال الفرنسية كلغة تلقين للمواد العلمية والرياضية والاجتماعية كما كان الأمر منذ الاستقلال فى أقطارنا الثلاثة (وقد بدأ الوضع يتغير الآن بتعريب التاريخ والجغرافيا فى المغرب والجزائر) يدفع بالطفل الى الاحساس بأن هذه اللغة أحسن من لغته وأجدر منها بالاستعمال فى العلم ، وإلا لَمَا اختيرت لتكون لغة تلقين . ومن هنا يبدأ الشعور بالنقص ـ ان لم نقل بالاحتقار ـ إزاء اللغة الوطنية .

ج ـ الازدواجية تفرض ميزانية مضاعفة ـ تقريبا للتعليم ـ فوزارة التربية مضطرة أن تنفق على تعليم اللغة الأجنبية منذ المرحلة الأولى للابتدائي. ثم هي مضطرة الى توظيف مدرسين وأساتذة أجانب لا لتعليم اللغة الفرنسية فحسب ولكن لتعليم العلوم الملقنة بالفرنسية وبقطع النظر عن أن

فرنسا لم يعد فى استطاعتها أن تلبي حاجتنا الى هؤلاء الأساتذة ، وبقطع النظر عن المستوى المنحدر الذي أصبح عليه الأساتذة الذين يرسَلون الى هذه الأقطار فى نطاق المساعدة التقنية فمعظمهم من المجنَّدين الذين ليس لهم مستوى بيداغوجي تربوي ، وإنما يرسَلون إلينا ليؤدوا واجب الخدمة العسكرية فى عمل مدني هو تعليم أبناء افريقيا والمغرب العربي .

بالاضافة الى ذلك فهم يحصلون على مرتبات عالية تماثل على الأقل ثلاثة أضعاف مرتب الأستاذ المواطن . ونظرا لهذه المرتبات التي لا تحتملها ميزانية التعليم فى بلاد نامية كالمغرب أو الجزائر أو تونس فان تكاليف التعليم تصبح مضاعفة مما يعود بالضرر على تعميم التعليم ورفع مستواه .

وفى هذا الاطار يمكن أن ننقل شهادة من بعثة البنك الدولي التي زارت المغرب فى سنة 1966 لدراسة مشاكله الاقتصادية وقد جاء فى تقرير هذه البعثة (وهو رأي صادر عن تفكير اقتصادي وليس عن تفكير قومي أو وطني حتى يُتّهَم بالتطرف) : «تعتبر بعثة البنك الدولي أن المغرب لا يمكنه أن يستعمل فى تعليمه لغتين لما فى ذلك من إسراف». ولهذا فان البعثة توصي بأن يختار المغرب اللغة العربية ويقوم فى المدة التي تنتهي فى سنة 1970 بالمهام الآتية :

1 ـ اتخاذ التدابير الضرورية لجعل اللغة العربية صالحة لتلبية حاجيات العصر .

2 ـ جعل اللغة العربية لغة الادارة .

3 ـ جعل اللغة العربية لغة التعليم .

أما فيما يخص التعريب فيجب حالا تعريب التعليم الابتدائي جميعه . ويجب تعريب التعليم الثانوي ابتداء من السنة الدراسية 1970 ـ 1971 ويجب كذلك تلقين لغة ثانية (الفرنسية أو الاسبانية أو الأنجليزية) ابتداء من السنة الأولى من الثانوي .

كل ذلك يؤكد أن بقاء اللغة الأجنبية كلغة تلقين يعتبر مساسا بقوميتنا من جهة وإعطاء الفرصة لهذه اللغة كي تبقى متغلبة على لغتنا القومية من جهة أخرى ، وإسرافا فى ميزانية التعليم على حساب التعميم ورفع المستوى من جهة ثالثة .

د ـ من المعروف أن جزءا مهما من المواطنين فى المغرب والجزائر يتحدثون البربرية أو لهجة من لهجاتها المتعددة فى البيت وربما فى الشارع أيضا فاذا كانت لغة الحديث عنده هي البربرية ـ وهو لا يتعلمها فى المدرسة كلغة علم وثقافة ـ ولغة العلم والكتابة والادارة هي الفرنسية ، فقد تحقق ما كان يقصده الاستعمار الفرنسي من السياسة البربرية التي حاول أن يطبقها فى الجزائر والمغرب ، وانفصلت عناصر الشعب فكريا ولغويا بعضها عن بعض . وأصبحت اللغة المشتركة للتفاهم هي الفرنسية التي هي لغة أجنبية عن بلادنا تماما، كما هي لغة تفاهم بين الشعوب المختلفة فى المؤتمرات والمنظمات الدولية .

ولعله من الواضح أن مستوى التعليم انخفض نسبيا (هذه تجربة المغرب وربما كانت تجربة كل من الجزائر وتونس أيضا) . والذين يلاحظون انخفاض مستوى التعليم يخشون أن تزداد نسبة الانخفاض اذا ما عُرّب . وأسباب انخفاض مستوى التعليم ترجع الى أنه لم يعد للنخبة بل أصبح معمما فى المدن الكبرى على الأقل ، ولم تسمح الظروف بتكوين الأساتذة تربويا (بيداغوجيا) تكوينا قويا . والأساتذة والمعلمون من فرنسا مثلا أصبحوا فى مستوى أقل مما كانوا عليه أيام الحماية والاستعمار .

إذن فالتعريب لن يكون سببا في انخفاض المستوى اذا نفذ بشروطه : أي تكوين الأطر علميا وتربويا باللغة العربية ، مع رفع الأسباب التي أدت الى انخفاض مستوى التعليم ولا صلة لها مطلقا بالتعريب .

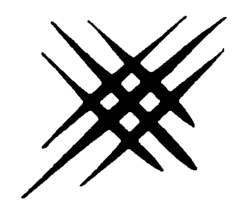
معنى هذا أن معركة التعريب مربوحـــة من الوجهة النظرية . وكل الاعتراضات التي يثيرها خصوم التعريب بحق أو بباطل ، وبحسن نية أو بسوئها ، إنما هي اعتراضات شكلية وصعوبات عادية يمكن التغلب عليها عند الممارسة . واذا كنا جميعا متفقين على أن التعريب هدف فيجب البدء بالوسيلة للوصول الى الهدف، مع العلم بأن لكل تجربة مشاكلها وصعوباتها، ومع العلم أيضا بأن صعوبات التعريب أقل مما تتصوره . والمشاكل التي يثيرها خصوم اللغة العربية فتلقى صداها في النفوس وهمية ستتبدد بمجرد الاقتناع بكل مقومات قوميتنا ، وستنتهي عندما تبدأ في التنفيذ .

والذي أعتقده أن اشتراك المغرب العربي في المشكلة كان يجب أن يبعث على حلها في نطاق المغرب العربي بمؤتمر يعقده رجال التربية والتعليم تحضره زمرة من المثقفين يستهدف البحث في صلاحية اللغة العربية لتكون لغة تلقين وإدارة . ثم وضع الأسس والأساليب لتنفيذ المبدأ متى ما أقره المؤتمر حتى تسير كل أقطار المغرب العربي على منهج واحد يستفيد بعضها من تجارب الآخر وفق تخطيط محكم موقوت . ونحن لا ندعو الى مؤتمر من هذه المؤتمرات النظرية التي تنتهي بتوصيات تُنْشَر في الصحف وينساها بعد ذلك حتى الذين وضعوها ، لكننا ندعو الى مؤتمر عمَليّ يبحث وسائل تنفيذ التعريب في الادارة والتعليم . ونعتقد أن مؤتمرا من هذا المستوى يمكن أن يكون فيه نوع من الالتزام يساعد شعوبنا على الخروج من المأساة الفكرية والعملية والنفسية التي نعانيها : مأساة شعوب تتعلم وتتعامل بغير لغتها .

أسئلة حول المحور :

1) ما مفهوم الأصالة فى الثورة الثقافية ، والعلاقة بينها وبين الوظائف الأساسية الوارد ذكرها فى نص الميثاق ، والمشاكل التي تناولها الدكتور سعد الله فى مقاله ؟

2) بين موضوعي : «**اللغة والشخصية**» و «**محاولة يائسة**» تلاحم وترابط فى كثير من النقاط ، فما هي أبرز هذه النقاط ؟ وما علاقة ذلك بمفهوم الأصالة والثورة الثقافية ، ودور المكتبات وتعميمها على الشعب فى هذا المجال ؟



((هـ))

الشغــل والاقتصــاد

إن التنمية الشاملة للقوى البشرية والموارد الطبيعيــة ، تعد معيــارا حقيقيا لتقدم الأمم ، وقدرتها عــلى الانتاج والابتكار . والدول العربيــة بوسعها أن تنتهج أسلوب التكــامل الاقتصادي ، وان تعني بوضع خطة انمائية مشتركة ، تمكنها من الوصول الى الاكتفاء الذاتي ، والخروج من مرحلة التخلف التي تعاني منها الآن .

والاسلام قد وضع نظاما متوازنا في الاقتصاد ، يحث على العمل لتحقيق هذا الغرض ، بالاساليب العلميــة الحديثــة ، وتعتبر التــكنولوجيــا المتــطورة من المقومــات الاساسيــة لمضاعفــة طاقات الانسان ، ورفــع مستوى كفــاءتــه ، وزيادة قــدرته على الانتاج في مختلــف المجــالات .

وذلك مما يحقق للوطن العربي مطالبه وكفايته ، ويعزز دعائم أمنه وحريته ، ويدفعه الى مزيد من التقدم والازدهار

22 اسلوب . . . في الاقتصاد (*)

تمهيـــــد :

من واجبك أن تعلم ، أن نظام الاسلام الاقتصادي ، لم يترك مصالح الأمة رهنا بالنيات الطيبـة ، ولعلك قد عرفت ابان دراستك السابقة ، أنه وضع ـ في هذا الشأن ـ تشريعات متكاملة ، تمزج بين تهذيب الروح ، وتنظيم المجتمع ، وترمي الى كفالة المطالب الاساسية لحياة الانسـان ، وتحقيق التوازن بين مصلحة الفرد ، ومصلحة الجماعة ، فالى أي حد يستطيع هذا النظام ، أن يعالج مشكلاتنا الاجتماعية المعاصرة ؟ ذلك ما يتناول بعضه النص الآتي :

النـــص :

أصبحت كلمة (الاقتصاد) تطلق في العرف العام على الناحية المالية من الحياة ، وهذه الناحية لها خطورتها في حياة الناس ، حتى صار كثير منهم يقولون : إن أهم شيء في نظر الانسان بعد دمه هو ماله ، ولا عجب فالمال عصب الحياة ، وأغلب مشكلات هذه الحياة يتصل بسبب ظاهر أو مستور بالناحية المالية ، لأن رزق الانسان يستبد بأكثر عنايته والتفاته ، وأكاد أفهم من الحديث المنسوب الى الرسول صلى الله عليه وسلم : (جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلاَلِ رُمْحِي) انه لا يريد انه يأخذ رزقه من طريق الحرب ، بل يريد انه يصون رزقه المسُوقَ اليه من ربه بِهَيْبَة سلاحه ، وفي هذا ما فيه من تنويه بشأن الرزق وحاجته الى الحماية . وفي الحديث الآخر يعطي الاسلام المال حرمةً هو بها جدير ، فيقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : «كُلُّ المسلم على المسلم حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ». (**)

والملاحَظ أن كثيرا من المسلمين مازالوا متخلفين ماديا واقتصاديا ، ومن عجب أن فريقا منهم اذا قيل لهم : أَلاَ تَرَوْن الغربيين كيف سَبَقوا وامتَلكوا ؟

(*) ـ الدكتور **أحمد الشرباصي** عالم مصري معاصر وهو أستاذ الادب العربي في جامعة الأزهر .

(**) ـ رواه مسلم .

أجابوا بقولهم : لهم الدنيا ولنا الآخرة . بينما المسلم الصحيح يلزمه أن يجيب على مثل هذا بقوله : لنا الدنيا ولنا الآخرة معها أيضا . (وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى). (*)

ومازال الأفراد فى كثير من بلاد الاسلام مهدوري (1) الحقوق المادية ، مُضَيَّعي الكرامة البشرية ، مع أن الله خلق عباده إخوانا ، وما زال فى بلاد الاسلام إقطاع واحتكار وكنز ، وفُحْش فى الثروة الضَّنِينة (2) مع فحش فى الفقر المُدْقِع وما زالت هناك ثروات ضخمة تكونت أو تتكون من السُّحْت (3) والسرقة والغصب والاحتيال والاستغلال ، مع أن الاسلام لا يرضى إلا بثروة نابعة من ينابيعَ مشروعةٍ طاهرة .

وبين الرأسمالية الطاغية والشيوعية المطلقة ينهض نظام الاسلام الاقتصادي ، ويتخذ طريقا وسطا فيه خير الجانبين ، وليس فيه شرورهما فهو يبيح المِلْكية ويحترمها ، ولكنه يحارب الربا (4) والاستغلال، وهو يدعو الى التجارة ، ولكنه يعارض الاحتكار (5) ، ويتيح مجالات التنافس والربح والكسب ، ولكنه لا يرضى بالسحت ولا بالمال الحرام ، ولا يمانع التمتع بالطيبات وخيرات الرزق ، ولكنه يحارب الترف والجشع (6) ، ويدعو الى الزكاة المفروضة والتكافل الواجب ، ولكنه يحارب البطالة والكسل والاستجداء (7) حين القدرة على العمل ، وهو لا يمنع أن يكون بعض الناس أجراء عند بعض ، ولكنه يحرم بخس العامل حقه أو مماطلته فيه ،

(*) ـ سورة الليل الآية : 13 .

1) **مهدوري الحقوق** : حقوقهم مهضومة .

2) **الثروة الضنينة** : الثروة التي اتصف صاحبها بالشح .

3) **السحت** : المال الحرام . او ما خبث وقبح من المكاسب

4) **الربا** : قرض المال بالفائدة وهو حرام شرعا

5) **الاحتكار** : حبس البضاعة لتباع بثمن أعلى .

6) **الجشع** : الطمع الشديد .

7) **الاستجداء** : الاستعطاء . طلب الناس .

أو إرهاقه وامتصاص دمه ، ثم تركه بعد ذلك حطاما ، وهو أخيرا يضمن لكل عاجز معدِم مطالب حياته فى مال الاغنياء أو فى بيت المال .

وقد آن الأوان لكي ينفذ المسلمون نظام الزكاة الاسلامي ، لأنها حق الله الذي نص عليه القـرآن والحديث والاجماع ، والـواجب عليهم أن يجمعوا هذه الزكاة كما أمر الله ، وأن يوزعوها على مستحقيها ، ليمكنوا الفقير المحتاج من حقه ، دون إجهاد له فى المطالبة بهذا الحق ، ودون دفعها الى من يقدر على العمل ، أو يستغني عنها . ويوم يعمل كل قادر على العمل، ويُخرِج كل مسلم ما يجب عليـه من زكاة ، وتوزع هذه الـزكاة بأمانة وقسطاس (8) سنجـد هذه الزكاة كافية كل الكفايـة للقضاء على عجز العاجزين وفقر المفتقرين ، بل سيأتي يوم يفيض فيه الكثير من هذه الزكاة ، فتنفقه الأمة على ألوان من ترقية الحياة الاسلامية ، كما حدث قريب من هذا على عهد خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز .

قال يحي بن سعيد : (بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات افريقيا فاقتضيتها ، وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجـد بها فقيرا ، ولم نجد من يأخذها، قد أغنى عمر الناس، فاشتريت رقابا فأعتقتهم، وولاؤهم للمسلمين).

وقال رجل من ولد زيد بن الخطاب : (إنما وَلِيَ عمرُ بن عبد العزيز سنتين ونصفا ، فذلك ثلاثون شهرا ، فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم ، فيقول : اجعلوا هذا حيث تَرَوْنَ فى الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع بماله ، يتذكر مَن يضعه فيهم فما يجد ، فيرجع بماله ، قد أغنى الله على يد عمر بن عبد العزيز الناس).

ولابد أن تؤخذ هذه الزكاة من جميع مواردها التي شُرِعَت فيها ، من المال والزروع والتجارة والحيوان وغيره ، ولا تعطَى إلا لمستحقيها شرعا ، حتى لا تكون الزكاة وسيلة لانتشار البطالة والاتكال ، لأن من واجب الأمة

---

8) **القسطاس** : العدل .

الاسلامية أن يحسن أبناؤها الجمع بين (الاكتساب والاحتساب) بأن يكون الشخص منتجا كاسبا رابحا من عمله وسعيه، لا يَكْسَل ولا يَقْنَط (9) مادام قادرا. بل يواصل العمل والدأب فيه، ويكون مع هذا محتسِبا، أي متبرعا متطوعا ببعض ماله ولو تحلّى الأفراد بهاتين الصفتين: الاكتساب والاحتساب، لارتقى المسلمون درجات فوق درجات، ولبلغوا الحالة التي كانت على عهد الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز حين كانوا يفتشون عمن يأخذ الزكاة فلا يجدونه.

ونفهم من هذا أنه يجب على المسلمين أن يحاربوا الفقر باسم الدين، ورحم الله أبا ذرّ حين يقول: «اذا ذهب الفقر الى بلد قال له الكفر: خذني معك...» وأن يحاربوا الكسل والضعف والتخلف في ميادين الحياة المادية باسم الدين، وأن يحاربوا الشح والكنز (10) ومَنْعَ الزكاة باسم الدين وأن يحاربوا الاتكال على الزكاة أو الصدقة مادامت هناك قدرة على العمل باسم الدين، وأن يُحْسِنوا المواءمة (11) بين الروح والمادة باسم الدين، فيعلموا أبناءهم أن صاحب المادة السَوِيّ (12) لا يعجِز عن أن يكون صاحب روح قوى، بل إن الضعف المادي قد يؤدي الى ضعف الروح، فهناك كثير من الباحثين والمصلحين يقررون أن أكثر الرذائل منشؤها من خلل النظام الاقتصادي. فالسرقة يسببها فقر أو جشع، وجرائم الغش والاختلاس والعرض رذائل اقتصادية في كثير من الاحيان، بمعنى أن الفقر والحاجة هما اللذان يدفعان غالبا الى اقتراف تلك الجرائم، فلو أزلنا الفقر والحاجة وأزلنا معهما الترف والشح لقضينا على كثير من أسباب هذه الجرائم التي تهدد المجتمع، وتفت في عضد الأمة.

وللكواكبي عبارة بليغة عن المال يقول فيها: (وللمال الكثير آفات على الحياة الشريفة ترتعد منها فرائص أهل الفضيلة والكمال الذين يفضلون

9) **يقنط**: ييأس
10) **الكنز**: المال المجموع المدخر.
11) **المواءمة**: الموافقة.
12) **السوي**: المستقيم.

الكفاف من الرزق-مع حفظ الحرية والشـرف على امتلاك دواعي الترف والسرف ، وينظرون الى المال الزائد عن الحاجة الكمالية أنه بلاء فى بلاء ، أي أنه بلاء من حيث التعبُ فى تحصيله ، وبلاء من حيث القلق على حفظه ، وبلاء من حيث الافتكار بانمائه ، وأما المكتفي فيعيش مطمئنا مستريحا آمنا بعض الأمن على دينه وشرفه وأخلاقه) .

ويستتبع هذا أن تحرص الأمة على تهيئـة وسائل العمل ، وتحقيق تكافؤ الفرص ، بأن يُمَكِّنَ ولاة الأمر كل فرد من أسباب العمل والكسب ، وأن يُفْسِحوا طرق التنافس أمام المجموع بمهيئات متساوية ، ثم يترك مجال السبق بعد هذا للمجاهد الدؤوب ، ومن عجز عجزا لا حيلة له فيه ضمنت الدولة كسبه وقوته . . .

ويجب تكريم العاملين وإعطاؤهم على قدر جهودهم وعنائهم ، مع دفع المتبطلين الأغنياء الى العمل ، لأن البطالة عيب ولو لم يكن الانسان محتاجا ، والرسول يقول : (أَشْرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ وُلِدُوا فِي النَّعِيم وغُذُّوا بِهِ ، يَأْكُلُونَ مِنَ الطَّعَامِ أَلْوَانًا ، وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ) . . .

ويجب تقويم أولئك الكسالى الذين يحتالون على الناس طالبين منهم المعونة ، وأن نلجئهم الى العمل ماداموا قادرين عليه صالحين له ، فآل محمد صلى الله عليه وسلم وبارك فيهم أَوَّلُ مَنْ عَمِلوا ، والصوفية والأصحاء أَسْبقُ مَن جاهدوا ، والأولياء هم الذين يتقون ويجاهدون ، لا الذين يتظاهرون ويحتالون .

ومن الواجب على المسلمين كذلك وَضْعُ الحوائل الكافية التي تمنع الحاكم فيهم من استغلال الحكم للإثراء أو الغِنَى ، فحَسْب الحاكم راتبه بلا

إسراف أو إفراط ، وليس الحكم مَغْنَماً ، بل هو تكليف وتَبِعة ، ولقد كان خلفاء الأمة الراشدون يتوَلَّوْن شؤونها ، ويأخـذون ما يأخذه غيرهم مما يكفيهم من بيت المال ، فان استغنَوْا واكتفَوْا عَفّت أيديهم عن مال الأمة ، والأمثلة على ذلك كثيرة فى كتب السيرة والتاريخ .

[احمد الشرباصي]
من كتابه : «وسائل تقدم المسلمين»

مع النــص

1) ما اهمية الاقتصاد فى الحياة ؟ وباي الوسائل نحافظ عليه ؟
2) ما السبب فى تخلف المسلمين ماديا واقتصاديا ؟
3) ما خصائص نظام الاسلام الاقتصادي فى نظر الكاتب ؟
4) ما الآثار الاجتماعية التي يحققها تنفيذ نظام الزكاة ؟
5) اشار الكاتب الى معنى (الاكتساب ، والاحتساب) ، وضح ذلك .
6) ما الجرائم الاجتماعية التي تنشأ من خلل النظام الاقتصادي ؟
7) ما الوسائل الكفيلة ، بمعالجة البطالة ، والقضاء على الآفات الاجتماعية ؟
8) ما معنى قول الكاتب : (ليس الحكم مغنما ، بل هو تكليف وتبعة) ؟
9) لخص النص مبرزا عناصره الاساسية .

تقويم النــص

أ ـ الأفكار :

1) ما رايك فى أفكار النص ؟ وماذا تراه محققا منها فى المجتمع ؟
2) يرى الكواكبي ، ان المال الكثير الزائد عن الحاجة بلاء على صاحبه . فلماذا ؟ وضح رايك على ضوء قراءتك للنص .

3) تناول النص معالجة النظام الاقتصادي فى منظور الاسلام . فما رايك فى هذه المعالجة ؟ ولماذا ؟

4) اشار الكاتب الى أن نظام الاسـلام فى الاقتصاد ، يختلف عن النظم الاقتصادية الاخرى فالى اي حد كانت صحة هذه القضية ؟

5) علام يدل حرص الأمة على تهيئة وسـائل العمل ، وتحقيق تكافؤ الفرص للمواطنين ؟

6) اتوافق الكاتب في قوله : «مـازال الأفراد فى كثير من بلاد الاسلام مهدوري الحقوق المادية ، مضيعي الكرامة البشرية» ؟ وضح وجهة نظرك .

ب ـ الأسلوب :

1) يشف أسلوب الكاتب عن ثقافته . فما نوع هذه الثقافة ؟ وماذا يدل على ذلك ؟

2) ضمن الكاتب أسلوبه اشارة الى بعض الاحداث التاريخية . فما هي ؟ ولماذا ؟

3) فى اي لون من الوان النثر الفني يندرج هذا النص ؟ ولماذا ؟

4) استخرج من النص أسلوبا انشائيا ، وبين نوعه ، والغرض منه ، واثره فى المعنى .

5) ما رايك فى أسلوب النص ؟ ولماذا لم يعتمد على استخدام الصور البيانية ؟

استثمار النـــص

أ ـ سجل في كراسك الخاص :

ـ جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلَالِ رُمْحِي .

ـ ليس الحكم مغنما ، بل هو تكليف وتبعة .

ـ إن صاحب المادة القوى ، لا يعجز عن أن يكون صاحب روح قوي .

ـ كثير من الباحثين والمصلحين ، يقرون أن أكثر الرذائل منشؤها من خلل النظام الاقتصادي .

ب ـ لاحــظ :

ـ لاحظ كلمة (تَرَوْنَ) فى العبارات الآتية ، وبين تعدد معناها ، مستعينا بالقاموس .

ـ الا ترون الغربيين كيف سبقوا وامتلكوا ؟

ـ اترون فى حضارتهم ما يراه الغافل فى منامه ؟

ـ الا ترون فى العلوم الحضارية رايا يحث خطاكم ويعزز ثقافتكم ؟

ـ اترون بين السطور معان ، ام ترونها احرفا ورموزا ؟

ج ـ طــبق :

1 ـ بين ما يلي :

ـ تؤخذ من مادة (رَأَى) كلمات كثيرة ، منها ما يعبر عن المعرفة ، ومنها ما يدل على ما صنعه الانسان ، أو ما يراه بعينيه فى اليقظة ، أو فى المنام .

استعن بالقاموس ، للتعرف على الكلمات المعبرة عن هذه المعاني ؛ واستخدم كلا منها فى عبارة فنية .

2 ـ **انسج على منوال ما ياتي :**

من واجب الأمة الاسلامية ، ان يُحْسِن ابناؤها الجمع بين الاكتساب ؛ والاحتســاب ، بأن يكون الشخــص منتجا كاســبا ؛ رابحا من عمله وسعيه . . ويكون مع هذا محتسبا ، اي متبرعا متطوعا ببعض ماله . .

3 ـ حــرر :

ـ العدالة الاجتماعية ، هدف تسعَى اليه نظم اقتصادية مختلفة ، وترفع شعاره نظريات متصارعة .

ناقش هذه الفكرة ، على ضوء معارفك السابقة ، مستعينا بمنهاج الاسلام فى تحقيق هذه العدالة .

23 مشكل الغذاء فى الوطن العربي

النـــص :

ما لم تُبْذَل جهود مركزة خلال السنوات العشر القادمة ، فلن يكون بمقدرة الوطن العربي الذي يبلـغ تعداد سكانه الآن 142 مليون نسمة توفير الأغذية التي يحتاجها . فالسلع التموينية التي تستورد الأقطار العربية معظمها الآن يمكن أن تلتهم الدخل الوطني كله بما فى ذلك إيرادات النفط.

وقد صدرت تحذيرات كثيرة فى هذا الصدد من عدة أقطار عربية ومن الجامعة العربية نفسها تنبه الى ضرورة تحويل جانب من دخل النفط الى الاستثمار الزراعي .والعمل على وضع خطة زراعية صناعية متكاملة تستهدف تغطية احتياجات الوطن العربي كله من الغذاء وتصدير الفائض منه . وإلا فان المستقبل سيكون قاتما ومحفوفا بالمخاطر والأزمات .

ويرى خبراء الزراعة العرب قضية الغذاء فى الوطن العربي مرتبطة ارتباطا تاما باستراتيجية التنمية الزراعية التي بدورها تقوم على الاستغلال المناسب للموارد الطبيعيـــة .

كما ذكروا أن مساحة الوطن العربي التي تبلغ 3500 مليون فدان (1). لا يصلح منها سوى 1000 مليون فدان قابلـة للزراعة بما فيها المساحة المخصصة للمحاصيل والمراعي والغابات وهناك 350 مليون فدان ملائمة لانتاج المحاصيل إلا أن 126 مليون فدان منها هي التي تُسْتغَل بشكل مناسب (منها 22 مليون فـدان تعتمد على الري بمياه الأنهار والمـياه الجوفية(2)، و 104 ملايين فدان على مياه الأمطار) أما المساحة المتبقية

1) مساحة الفدان = 4200 متر مربع ، والهكتار يعادل 2,2 من الفدان .
2) **المياه الجوفية** : المياه المستخرجة من الآبار .

وقدرها 224 مليون فدان فانها تظل معطلة غير مستصلحة أو مستغلة ، ومن المعروف أن معظم هذه المساحة تقع فى السودان . واذا أحسن استغلال الموارد الزراعية فى الوطن العربي ، فان حصة الأرض الزراعية لكل فرد من السكان عام 2000 ستزيد عما هي عليه اليوم فى الولايات المتحدة التي تنتج أكبر فائض غذائي فى العالم .

وهناك جانب آخر لهذه القضية وهو حجم إنتاج الهكتار الواحد فى الوطن العربي من حيث إنه يقل عن الرقم القياسي . ففي حين يبلغ إنتاج الهكتار القياسي 69 وحدة إنتاج (3) ، لا ينتج الهكتار فى الوطن العربي سوى 23 وحدة ، وتبلغ مساحة الأرض المخصصة للحبوب فى الوطن العربي حوالي 50 مليون هكتار تنتج 23 مليون طن من الحبوب وهو إنتاج يقل بمقدار 8 ملايين طن عن حاجة الوطن العربي الحالية .

ومن المقدر أن يرتفع الاستهلاك عـام 2000 ـ عندما يصل عدد السكان الى 210 ملايين ـ الى 62 مليون طن ، وهذا يعني عجزا مقداره 39 مليون طن عما هو عليه الانتاج الحالي .

واذا ما تحسنت وسائل الزراعة من خلال استعمال الآلات الحديثة والبذور المحسنة والأسمدة الملائمة فان مساحة الخمسين مليون هكتار يمكن أن تنتج 69 مليون طن وهذا سيترتب عليه وفر مقداره 7 ملايين طن للتصدير ولا يأخذ هذا التقدير فى الحسبان المساحات التي سيتم استصلاحها خلال الربع قرن القادم .

---

3) **وحـدة إنتـاج** : مصطلح عـالمي لتقدير إنتاج الهكتار الواحد .

والى جانب الانتاج الزراعي فان إنتاج البروتين (4) الحيواني فى الوطن العربي ، يبلغ مليون طن من اللحم وربع مليون طن من الدواجن .

وفى إطار الحملة الى دعوة الأقطار العربية لوضع خطة تنمية زراعية متكاملة حذر أمين عام الجامعة العربية من أنــه ما لم يطور العرب خطط احتياجاتهم من الأغذية خلال عشر سنوات فان هذه الاحتياجات ستكلفهم 50 ألف مليون دولار حسب الأسعار الحالية أما بالنسبة للاسعار المتوقعة لعام 1985 فان تكاليف هذه الاحتياجات ستبلغ 90 ألف مليون دولار وهذا المبلغ يزيد عن دخل الــوطن العربي كله الآن . ويرى عــدد من الخبراء الزراعيين العرب أن مبلغ 15 ألف مليون دولار يمكن أن تضع الوطن العربي على نفس مستوى كبرى الدول المنتجة للاغذية خلال 25 سنة . .

وتستند خطط هؤلاء الخبراء على حسن استغلال الموارد الزراعية بما فى ذلك التخصص فى المحاصيل مثل الاعتماد على الري بالأمطار فى إنتاج الحبوب والاعلاف والاعتماد على الري بالمياه فى إنتاج المحاصيل الأخرى بما فى ذلك الفواكه والخضروات بالاضافة الى التوسع فى إنتاج المبيدات الحشرية والأسمدة حيث تتوفر المواد الخام الأساسية لها فى بعض الأقطار العربية بكميات كبيرة : (النفط ، الفوسفاط ، البوتاس ، الصودا) . وتدعو الخطط أيضا الى الاستغلال الأمثل للموارد المائية المتوفرة والمحتملة من خلال تطوير وسائل التخزين والتوزيع ويسود الاعتقاد أن التحدي الرئيسي الذي يواجه التنمية الزراعية فى المستقبل يكمن فى كيفية استغلال الموارد المائية لخدمة مصالح المنطقة بشكل أفضل .

---

4) **البروتين** : مادة غذائــية توجد فى اللحوم والاسماك .

وتركز الخطط على (الميكنة) وإدخال الوسائل الحديثة والمحاصيل المحسنة فى الزراعة ويعتقد الخبراء العرب أنه فى حالة تطبيق هذه الخطط التي أعدوها فان إنتاج الحبوب سيتضاعف ست مرات عام 2000 عما هو عليه اليوم . كما يؤكد هؤلاء الخبراء على أن حل مشكلة الغذاء فى الوطن العربي ، يمكن أن تبنى على استراتيجية تنمية عربية ، تقوم على خطة زراعية شاملة ، ومشروعات زراعية مشتركة . وهذا يتطلب بالضرورة تكاملا اقتصاديا عربيا ، وإزالة قيود التجارة ، وحرية الحركة للرأسمال العربي ، وتنسيق سياسات الانتاج ، وذلك حتى تتحقق بالفعل ثورة زراعية عربية .

وقد دعت العراق الى عقد مؤتمر عربي يخصص بشكل كامل لمناقشة وسائل التنمية الاقتصادية بحيث يمكن تنفيذ أية قرارات يتم التوصل اليها فى هذا المجال .

ومن هنا تطرح مشكلة الغذاء ــ بأبعادها التي أوضحناها ــ سؤالا هاما :

هل يمكن من خلال التعاون الجاد لحل مشكلة الغذاء بالوطن العربي ؛ أن نضع أنفسنا على بداية الطريق نحو الوحدة الشاملة ؟

24 العمل والانتاج فى مفهوم الاسلام (*)

النـــص :

الاسلام يعتد بالعامل المادي

لقد أدرك الاسلام منذ البداية أهمية العامل المادي ، وأنه بدون الخبز لا يستطيع أن يحيا الانسان ، ولكنه أدرك أيضا وبنفس المستوى أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان .

ومن ثم فقد جاء الاسلام ــ باعتباره خاتم الأديان ــ لا يقتصر على مجرد العقيدة والهداية الروحية . وإنما جاء آيضا شريعة وتنظيما سياسيا واجتماعيا واقتصاديا للمجتمع . ذلك أنه لا يمكن أن تستقيم الحياة بدون عقيدة توجهها ، وشريعة تنظمها . بل لا يمكن أن تستقيم العقيدة وتنمو الاخلاق ، اذا لم يطمئن المرء فى حياتــه المعيشية ، فالعقيدة والشريعة فى الاسلام تكمل كل منهما الأخرى ، ولا تقوم احداهما دون الأخرى ، ويمكن تصويرهما بساقي الانسان ، فهو لا يستطيـــع أن يمشي على ساق دون الأخرى .

واذا كنا لا نتصور الاسلام فى بلد يلتزم بتعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، دون العقيدة . فانه أيضا لا يمكن أن نتصور الاسلام فى بلد يقوم أهله بالصلاة والصيام وسائر العبادات ، بينما يغفل تعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التي تكفل الشورى وتقرر المساواة وتضمن حد الكفاية لكل فرد . فالتزام الشريعة ــ لاسيما تعاليمها الاقتصادية ــ هو الذي يساعــد على صفاء العقيدة وعلى خلق

(*) مجلة العربى ــ العدد 169 د. محمد شوقي الفنجري .

المجتمع الاسلامي ، مجتمع المتقين . بل ان غاية العقيدة والتعبد فى الاسلام هي سلامة السلوك الاجتماعي وشرعية النشاط الاقتصادي «فالدين المعاملة» . وإننا نعجب لهؤلاء الذين يركزون على العقيدة دون الشريعة ، أو هؤلاء الذين يَبُحُّون أصواتهم بالمواعظ الدينية والدعاوي الأخلاقية ، دون أن يَشْغَلوا أنفسهم بتوفير أسبابها الموضوعية .

الاسلام يدفع بالعامل المادي الى الصدارة :

أكثر من ذلك ، جعل الاسلام العامل المادي فى القمة والصدارة ووضع المشكلة الاقتصادية ــ وذلك منذ البداية وقبل أن تتطور الأحداث وتفرض المشكلة نفسها ــ حيث يجب أن توضع فى الأساس وفى المقدمة . ومن قبيل ذلك :

أ ــ أنه اعتبر المال زينة الحياة الدنيا وقوام المجتمع ، وأنه نعم العون على تقوى الله ، وأن طلب المال الحلال فريضة وجهاد فى سبيل الله ، وأن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا السعي فى طلب العيش ، وأن من فقه الرجل أن يصلح معيشته ويتأنق فى حياته ، وأن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده .

ب ــ أنه يساوي بين الفقر والكفر ، ولم يستعذ الرسول من شيء بقدر استعاذته من الفقر ، فيقول عليه السلام (كَادَ الفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا) ويقول (اللّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ وَالفَقْرِ) ، قال رجل أَيَعْدِلَانِ ، قال : نعم .

جـ ــ أنه حين طالب الناس بالعبادة وذِكْر الله بَيَّنَه فى القرآن بقوله تعالى : (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) [1]

فأساس العبادة فى الاسلام والسبيل اليها ، هو تأمين الناس فى حياتهم المعيشية حتى إن موسى عليه السلام حين دعا الله تعالى بقوله : (قَالَ رَبِّ

---

1) سورة قريش (3 ــ 4) .

اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) [2]) قرنه بقوله:(كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا . وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا) [3] ،

د ــ أنه اعتبر مجرد ترك أحد أفراد المجتمــع ضائعا أو جائعا هو تكذيب للدين نفسه فالله تعالى يقول : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) [4] . وجاء في القرآن (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ) [5]

وقوله تعالى : «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ» [6] . وقد سئل الرسول ما هو الأفضل في الاسلام ؟ فقال : «إِطْعَامُ الجَائِعِ وَنَجْدَةُ مَنْ تَعْرِفُهُ وَمَنْ لَا تَعْرِفُهُ».

العمل والانتاج عبادة في الاسلام :

وعلى أساس تَصَوُّرِ أن الانسان خليفة الله في أرضه ، جاءت تعاليم الاسلام حاثة على العمل والانتاج فالله تعالى يقول : «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ» [7] ، ويقول الرسول : «إِعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» . بل إن العمل وزيــادة الانتاج في نظــر الاســلام عبادة ، والفرد العامل قريب من الله ومُثــاب على عمله الصالح في الدنيا والآخرة ، فالله تعالى يقول : «وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» [8] . ويقول الرسول : «العَمَلُ عِبَادَةٌ» ويقول : «مَنْ أَمْسَى كَالًّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ» ، وَقَبَّلَ الرسول يدًا وَرِمَت من كثرة العمل وقال : « هَذِهِ يَدٌ يُحِبُّهَا اللهُ وَرَسُولُهُ».

---

2) سورة طه (25 ــ 26) • 3) سورة طه (33 ــ 34) 4) سورة الماعون (1 ــ 3) •
5) سورة المدثر (42 ــ 44) • 6) سورة البلد (12 ــ 16) • 7) سورة التوبة (105)
8) سورة الشورى (26) •

كذلك اعتبر الاســلام السعي على الرزق وخدمة المجتمع أفضل ضروب العبادة ، فقد ذُكِرَ للنبي رجل كثير العبادة فسأل:مَنْ يَقُومُ بِهِ : قالوا : أخوه، قال : «أَخُوهُ أَعْبَدُ مِنْهُ» ، وقد أراد أحد الصحابة الخَلْوة والاعتكاف لذكر الله ، فقال له الرسول : « لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا » . ويقول : « لَأَنْ يَمْشِيَ أَحَدُكُمْ مَعَ أَخِيهِ فِي قَضَاءِ حَاجَتِهِ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي مَسْجِدِي هَذَا شَهْرَيْنِ » .

ولقد حدد الرسول مفهوم الايمان بقوله : «لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي ، وَلَكِنَّ الإِيمَــانَ مَا وَقَــرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَــهُ العَمَلُ». ولخص سيــدنا عمر بن الخطاب نظرة الاسلام الى العمل والانتاج بقوله : «والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فَهُمْ أَوْلَى بمحمد منا يوم القيامة» .

بعض تعاليم الاسلام فى ممارسة الانتاج :

ولقد أوجب الاسلام إتقان العمــل والانتاج ، واعتبر ذلك أمانــة ومسئولية ، فالله تعالى يقول : « وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »[9] ويقــول الــرسول : «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِــلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَــهُ» ، وهذا يستوجب اتباع أدق وأحدث الأساليب العلميــة فى الانتاج . وصدق الله العظيم : «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»[10].

كما أوجب الاسلام تَنَوُّعَ الانتاج بحيث يشمل كافة الحاجات البشرية : ذلك أن القاعدة فى الاسلام أن كل ما لا يتم الواجب إلا به يصير واجبا ، وما لا يقوم به الأفراد من النشاط الاقتصادي كالصناعات الثقيلة والمرافق العامة يصبح شرعا (فرضا) على الدولة القيام به .

---

(9) سورة النحل (93) • (10) سورة الزمر (9) •

وقد تكلم الاسلام عن الـزراعة وضرورتها فقال الرسول : «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلَ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[11].

ولكن حين سئل الرسول : (أَيُّ الكَسْبِ أَطْيَبُ) قال : «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ» . وفى ذلك إشارة الى الصناعة والتجارة ، والى أنهما أطيب الكسب وأهم أوجه النشاط الاقتصادي .

ونهى الرسول عن احتكار السلـع : فيقول الرسول : «مَنِ احْتَكَرَ حِكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى المُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ» . ويقول : «الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ»[12] ويقول : «الْجَالِبُ فِي سُوقِنَا كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَالْمُحْتَكِرُ فِي سُوقِنَا كَالْمُلْحِدِ فِي كِتَابِ اللهِ» .

كما نهي الاسلام عن اكتناز المال وحبسه عن الانتاج فالله تعالى يقول : «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»[13] ويقول الرسول : «مَنْ جَمَعَ دِينَارًا أَوْ تِبْرًا أَوْ فِضَّةً وَلَا يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَهُوَ كَنْزٌ يُكْوَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ» ومن ثم يقول الـرسـول : «اتَّجِرُوا فِي مَالِ الْيَتِيمِ حَتَّى لَا تَأْكُلَهُ الزَّكَاةُ» ، ويقول : «لَيْسَ لِمُحْتَجِزٍ حَقٌّ بَعْـدَ ثَلَاثِ سِنِينَ» فتنـزع الأرض ولو كانت مَوَاتـًا أو بُورًا من مالكها اذا انقضت عليها ثلاث سنوات بدون استثمار وهو ما دعا عمر بن الخطاب أن يقول لبلال وقد أعطاه الرسول أرض العتيق : «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُقْطِعك لتحجز عن الناس وإنما أقطعك لتعمل ، فخذ ما قدرت على عمارته ورُدّ الباقي» بل لقد بلغ حرص الاسلام على الانتاج وتعمير الدنيا ، أن قال الرسول : «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ـــ أَيْ شَتْلَة ـــ فَاسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا ، فَلْيَغْرِسْهَا فَلَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ»[14].

11) رواه البخاري ومسلم . 12) رواه ابن ماجه . 13) سورة التوبة (34) .
14) أخرجه ابن حجر العسقلاني .

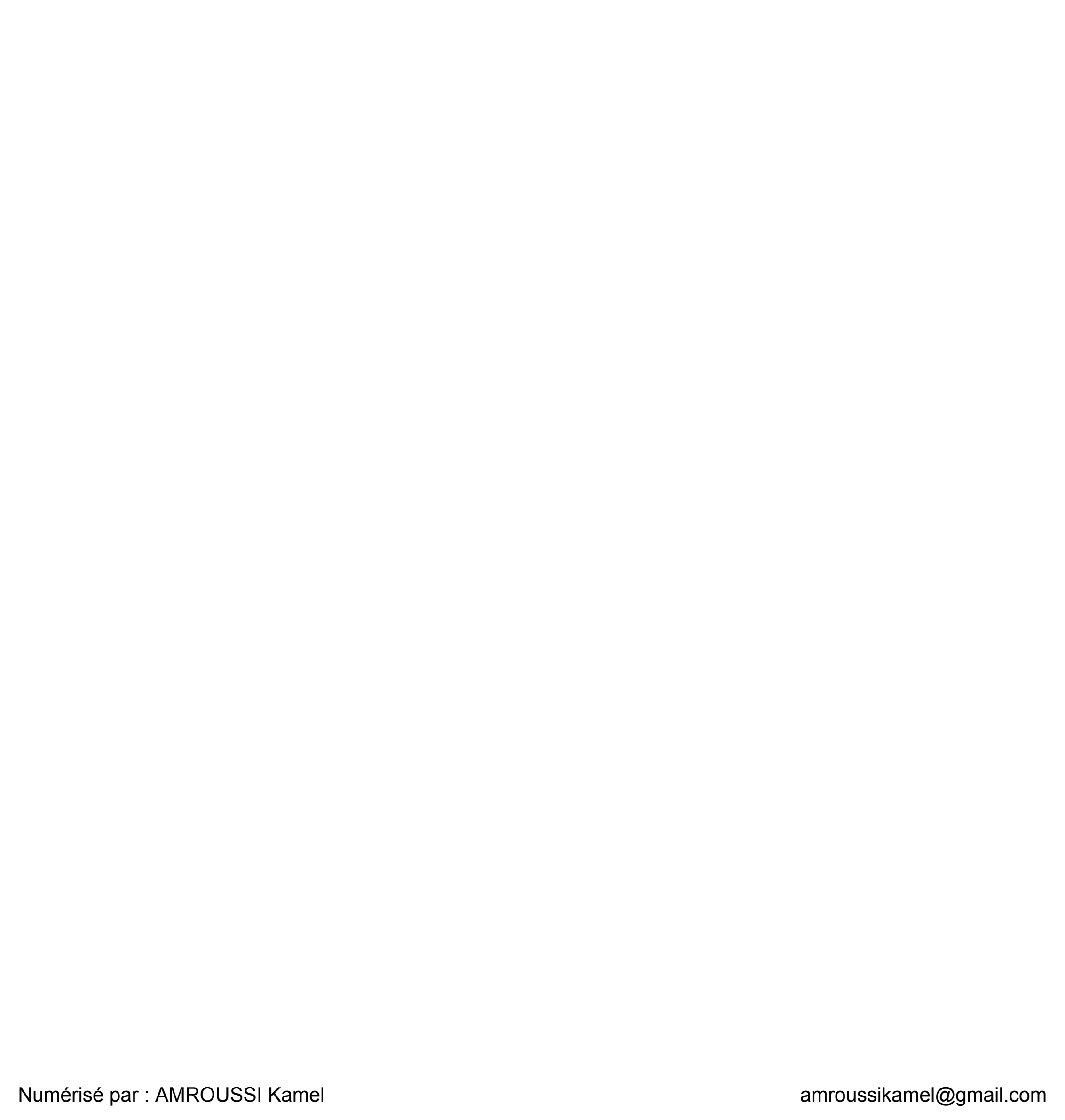
اسئــلة حول المحور :

1) العلاقة وثيقة بين : تنمية الاقتصاد ، واهمية العمل والانتاج ، وحل المشكلة الغذائية فى الوطن العربي ، فإلى اي حد أوضحت نصوص المحور هذه العلاقة ؟ بين رأيك فيما تقول .

2) تناول النص الاول ، والثاني : بيان أهمية العامل المادي فى حياة الفرد والمجتمع . وازن بينهما.في هذا المجال موضحا وجهة نظرك .

3) التحدي الذي يواجه الدول النامية ، يكمن فى كيفية استثمار الطاقات البشرية ، واستغلال الموارد الطبيعية ، ومعالجة المشكلات الاجتماعية وضح ذلك على ضوء هذا المحور ، مستعينا بمطالعاتك ومعارفك فى هذه الميــادين .





« و »

العلوم والاكتشافات

فى هذا الباب يطالعك موقف الاسلام من العلم ، وحثه عليه ، وجعله ميزانا للتفاضل بين الناس ، واثره فى التنمية ودعم استقلال الشعوب ، وتدرس ظاهرة التضخم المالى التي ما فتئت تزعزع قواعد الاقتصاد فى كثير من الدول بين الحين والحين ، لتقدم الدليل على اختلال معايير المدنية الغربية المعاصرة ، وفى الختام تقرا نصا يدعو كاتبه الى الاستفادة من « الحاسب الالكتروني » فى خدمة الحديث النبوي الشريف جمعا وتصنيفا وتحقيقا .

25 الاســلام والعلــم (*)

تمهيــد :

مجد الاسلام العلم ، وحث على تحصيله والتوسع فيه ، وكرم اصحابه ، وهيا لهم أسبابه ، وزاد على ذلك أن عد تعلم المسلم ثم تعليم أخيه المسلم افضل صدقة ، وتلقى بعد ذلك من ينكر هذه الحقيقة او يتنكر لها ، متعلقا بسبب واه هو ما يراه من تخلف المسلمين فى حاضرهم ، متعاميا عما بلغوه فى ماضيهم من تقدم مبعثه اتباعهم ما هداهم اليه دينهم من العلم ، وما حثهم عليه من المعرفة ، فهم مدعوون اليوم الى تدارك ما فات ، ووصل ما انقطع . . . فكيف السبيل الى بلوغ هذا الهدف ؟

النــص :

الاسلام رسالة إلهية دينية ، ولكنه فى الوقت نفسه رسالة عقلية فكرية، أي إنه يساير العقل ، ويوافق العلم ، ويوائم التفكـير السليم . والقرآن كتاب العقل ، فهو يحتكم الى هذا العقل ، ويثيره للبحث فى كل مناسبة . واذا كانت هناك أمور يستعصي على عقولنا فهمها فى أول الأمر وإدراك وجه الحكمة فيها ، فليس ذلك راجعا الى تناقض بين الاسلام والعقل ، بل لأن الوسائل قليلة ، أو لأن الجهود ضئيلة ، واتســاع البحث كفيل بتحقيق التوفيق .

والاسلام يمجد العلم فى كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وهناك فريق من الناس جهلاء يحسبون أن المراد بالعلم فى القرآن والحديث هو العلم الـديني فقط ، وبعض المستشرقين قد حاولــوا بَثّ هذا الفهم الخاطىء ، ولكن العلم فى الاسلام بمفهومه العام يشمل علوم الدين وعلوم الدنيا ، وفى القرآن والحديث مواضع جاء فيها ذكر العلم مرادا به علم الحياة الدنيا ، وذلك كقوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ

(*) د. أحمد الشرباصي . من كتابه : وسائل تقدم المسلمين ـ سبق التعريف بالكــاتب .

إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ» (*) فالعلماء هنا هم العلماء بأمور الماء والنبات والجبال والانسان والحيوان وألوان الأحياء ، كما يفهم ذلك من السياق .

وكذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «أُطْلُبُوا العِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ» . والمسلم لا يطلب من الصين علما دينيا ، فعنده من هذا العلم الديني ما يكفيه ويشفيه ، فلابد أن يطلب من الصين علما آخر له صلة بالحياة ، وماذا كان فى الصين يوم قال الرسول ذلك من علم الدين وهي وثنية يوم ذلك ؟

ومن هذا نفهم أننا مأمورون باسم الاسلام أن نَعُبّ من العلم ما نستطيع ، وأن نطلبه فى كل مكان نستطيع الوصول اليه ، ومن أي شخص نستطيع الأخذ عنه ، لأن **الحكمة ضالة المؤمن** كما يقول الحديث ، فأينما وجدها فهو أَوْلَى بها وأحق .

لن يكون المسلمون أقوياء سعداء إلا اذا فتحوا أبوابهم للعلوم على اختلاف أنواعها ، وفتحوا أذهانهم لهذه العلوم كلها ، ونافسوا غيرهم فى البحث العلمي والتنقيب فى آفاق الكون . ولقد مضى ذلك الزمن الكئيب الذي كان يقال فيه : إن طلب العلوم الدنيوية أمر لا يليق بالمتدين ، أو إنه يلفت الانسان عن العبادة وعلوم الدين ، فان التوسع فى العلم يؤدي الى تقوية الايمان وتأكيد الاحساس بأن للكون خالقا سبحانه ! . .

على أن هناك من يحاول تحميل آيات القرآن الكريم مالا تطيق من النظريات العلمية ، بدعوى أن القرآن قد تحدث عن كل مسائل العلم ، وهذه خطة غير قويمة ، لأن القرآن فى أساسه كتاب هداية وتشريع ، وليس هو فى أساسه كتاب علم وفكر ، وان كان هذا لا يتعارض مع ما جاء فى القرآن

(*) ـ «سورة فاطر» : (27 ـ 28) .

الكريم من حقائق علمية ، أو مع أنه لا يناقض العلم الثابت . . ومن الواجب علينا فى هذا الباب أن نجنب تعريض القرآن الكريم للتأويل العلمي المسرف، لأن هذا يؤدي الى الاغراب فى التأويل من جهة ، والى إخضاع النص القرآني لتطور النظريات العلمية والى إخراج الكتاب الالهي عن مداره الأساسي ، وهو مدار الهداية والارشاد .

ويجب علينا فى طلبنا العلم أن نكون شرهين منهومين ، ففي الأثر : «منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب مال». ويجب ألا يكون علمنا علما مبتورا أو قشورا ، لأن الجهل مع صفاء الفطرة قد يكون خيرا من المعرفة المشوهة التي تجعل من صاحبها مسخا معوجا متأرجحا فلا هو مع الجاهلين قد بقي ، ولا هو بين العلماء قد صار . .

والحديث عن العلم يجرنا الى الحديث عن التعليم والى الحديث عن المعلم . فمن واجب المسلمين أن يُعْنَوْا كل العناية بنشر التعليم فى أرجاء بلادهم ، لأن المؤسف المخزي أن بلاد المسلمين مازالت آخر بلاد الدنيا فى نسبة التعليم .

ومن واجب المسلمين كذلك أن يعنوا باعداد المعلم المثقف الواعي ، البصير الرشيد ، لأن هذا المعلم هو الذي يبني العقول ويشيد النفوس ، ورحم الله أمير الشعراء حين أشار الى ضعف المعلم ، وأنه سبب الضياع ، وأن قوة الحياة تكون بقوة العقول ، فيقول :

يَا أَرْضُ مُذْ فَقَدَ المُعَلِّمُ نَفْسَهُ ... بَيْنَ الشُّمُوسِ وَبَيْنَ شَرْقِكِ حِيلا

ذَهَبَ الَّذِينَ حَمَوْا حَقِيقَةَ عِلْمِهِمْ ... وَاسْتَعْذَبُوا فِيهَا العَذَابَ وَبِيلا

فِي عَالِمٍ صَحِبَ الحَيَاةَ مُقَيَّدًا ... بِالْفَرْدِ ، مَخْزُومًا بِهِ ، مَغْلُولا

صَرَعَتْهُ دُنْيَا المُسْتَبِدِّ كَمَا هَوَتْ ... مِنْ ضَرْبَةِ الشَّمْسِ الرُّءُوسُ ذُهُولا

سُقْرَاطُ أَعْطَى الكَأْسَ ، وَهِيَ مَنِيَّةٌ ، ... شَفَتَيْ مُحِبٍّ يَشْتَهِي التَّقْبِيلا

عَرَضُوا الحَيَاةَ عَلَيْهِ وَهِيَ غَبَاوَةٌ ... فَأَبَى ، وَآثَرَ أَنْ يَمُوتَ نَبِيلا

إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي القُلُوبِ كَثِيرَةٌ ... وَوَجَدْتُ شُجْعَانَ العُقُولِ قَلِيلا

وحين نَوَّهَ بخطورة التَّبِعة التي ينهض بها المعلم ، فقال فيما قال :

وَإِذَا المُعَلِّـمُ لَمْ يَكُنْ عَـدْلاً مَشَى ... رُوحُ العَدَالَةِ فِي الشَّبَـابِ ضَئِيلاَ
وَإِذَا المُعَـلِّمُ سَاءَ لَحْظَ بَصِـيرَةٍ ... جَـاءَتْ عَلَى يَـدِهِ البَصَائِرُ حُولاَ
وَإِذَا أَتَى الإِرْشَادُ مِنْ سَبَبِ الهَوَى ... وَمِنَ الغُـرُورِ فَسَمِّـهِ التَّضْلِـيلاَ
وَإِذَا النِّسَـاءُ نَشَـأْنَ فِي أُمِّيَّـةٍ ... رَضَـعَ الـرِّجَالُ جَهَالَـةً وَخُمُولاَ
لَيْسَ اليَتِيـمُ مَنِ انْتَهَى أَبَوَاهُ مِنْ ... هَـمِّ الحَيَـاةِ ، وَخَلَّفَـاهُ ذَلِـيلاَ
فَأَصَـابَ بِالدُّنْيَا الحَكِيمَـةِ مِنْهُمَا ... وَبِحُسْـنِ تَـرْبِيَةِ الحَيَـاةِ بَـدِيلاَ
إِنَّ اليَتِيـمَ هُـوَ الَّـذِي تَلْقَى لَهُ ... أُمًّـا تَخَلَّتْ ، أَوْ أَبًـا مَشْغُـولاَ

ـ وأبيات شوقي هذه تذكرنا بـأن بعض البلاد الاسلامية ما زالت تقف حجر عثرة فى سبيل تعليم المرأة ، وهذا ضـلال فى الرأي كبير ، وتعطيل لقوة هائلة فى الأمة وهي قوة المرأة ، ولست أدري كيف صُمّت آذان هؤلاء عن قول حافظ وقد مضى عليه حين طويل من الزمن :

الأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدْتَهَا ... أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ

لا يمكن للمسلمين أن ينهضوا ويتقدموا إلا اذا انتشر تعليم المرأة فى سائر بلادهم ، لأن تعليم الفتاة أهم فى النهضة والتقدم من تعليم الفتى . . .

لقد كانت المرأة المسلمة فى عصورها الزاهرة واسعة العلم والثقافة ، ولذلك استطاعت أن تلد الـرجال ، وأن تُخرّج الأبطال ، وأن تسابق فى ميادين المنافسة القويمة الحكيمة ، ولابد للمرأة المسلمة المعاصرة أن تسير على سَنَنَ أختها فى عصورها الناضرة ، وليس من العقل ولا من الحكمة أن نقتصر على ترديد ما كان عليه أسلافنا من مجد وعزة ، ظانين أن ترديد مفاخر السابقين وحدَه يكفي ، بل لابد أن يكون لنا من العمل والأثر مثل ما كان لهم أو أكثر ، ورحم الله الشاعر الذي قال :

وَإِذَا افْتَخَـرْتَ بِأَعْظُمٍ مَقْبُـورَةٍ ... فَالنَّـاسُ بَيْنَ مُكَـذِّبٍ وَمُصَدِّقِ
فَأَقِمْ لِنَفْسِكَ فِي انْتِسَابِكَ شَاهِدًا ... بِحَـدِيثِ مَجْـدٍ لِلْقَـدِيمِ مُحَقِّقِ

مع النــص

1 ــ ما الفكرة العامة التي يشتمل عليها النص ؟

2 ــ ما موقف الاسلام من العلم ؟ وإلام يرجع الكاتب استعصاء بعض الأمور على افهامنا بادئ الأمر ؟

3 ــ ما المراد بالعلم فى القرآن الكريم والحديث الشريف كما وضحه الكاتب ؟ استشهد ببعض محفوظك منهما فى دعم إجابتك .

4 ــ ما المدى الذي وصل اليه الاسلام فى الحث على طلب العلم ، والسعي اليه ؟

5 ــ ما النتائج التي تتحقق من تفتحنا لكل انواع العلم ؟ وما جدوى التوسع العلمي بالقياس الى الإيمان والمعتقد الديني ؟

6 ــ ما راي الكاتب فى محاولات التأويل العلمي المسرف لآيات الذكر الحكيم ؟

7 ــ هل ثمة حدود يكتفي بها العالم فى طلب العلم ؟ وضح مضمون ما جاء فى الأثر: «منهومان لا يشبعان . .» فى هذا الشأن .

8 ــ ما واجب المسلمين إزاء تأخر نسبة التعليم فى اقطارهم ؟ وضح رأي «شوقي» فى اسباب هذا التأخر ، وفى خطورة التبعة الملقاة على عاتق المعلم فى هذا السبيل .

9 ــ ما الآثار المترتبة على إهمال تعليم المراة فى راي «شوقي» والكاتب ؟ وما الدور الذي قامت به المراة المسلمة فى الماضي ؟

تقويم النــص

أ ــ الأفكار :

1) القرآن كتاب توافقه العقول المستنيرة التى يحثها على البحث والاكتشاف.

ــ وضح هذا القول فى معرض إثبات موافقة الاسلام للعلم والعقل ، والكشف عن حقيقة الدوافع الكامنة وراء ما يزعم من وجود تناقض بين الاسلام والعقل .

2) ما رايك فيما يزعمه بعض المستشرقين من ان المراد بالعلم ، فى القرآن والحديث ، هو العلم الديني وحده ؟ وما غرضهم من هذا الادعاء ؟

3) يرى الكاتب أن قوة المسلمين وسعادتهم رهينتان بفتح أبوابهم للعلوم على اختلاف أنواعها .

ـ ناقش هذه الفكرة بالاستناد الى امثلــة من واقع المسلمين فى عهود قوتهم وضعفهم ، و بين رأيك .

4) ما منشأ الفكرة التي تــدعي ان طلب العلوم الدنيوية أمر لا يليق بالمتدينين ؟ وما الذي تستنتجه من اقتصار هذه الفكرة على العصور المتأخرة دون عصور الاسلام الأولى ؟

5) يقول حافظ ابراهيم :

الأم مدرســـــة إذا اعددتها   اعددت شعبا طيب الأعراق

استخرج من أبيات «شوقي» بيتا مشابها فى المعنى ، ثم اذكر ايهما اجمع واوقــع .

6) يقول الرصافي :

وَخَيْرُ النَّاسِ ذُو حَسَبٍ قَدِيمٍ   أَقَامَ لِنَفْسِـهِ حَسَبًا جَدِيدًا

فى النص بيتان يشير معناهما الى معنى هذا البيت . اذكرهما ، وبين موافقتهما له فى المعنى .

ب ـ الاسلوب :

1) فى بعض فقرات النص إجمال يليه تفصيل ، دُلّ عليه فى موضعه .

2) تعددت مجالات الأفكار فى النص ، خصوصا فى جزئه الثاني ، بحيث يمكن استقلال كل فكرة بموضوع خــاص . فهل ثمة من خيط عام يؤلف بينها ؟

وضح ما ترى بالاستناد الى مفهومك عن الكتابة ومقاييسـها المحددة .

3) اي الأساليب يغلب على مقال الكاتب ؟ وما مدى ملاءمته لمـوضوعــه ؟

4) وردت بعض الجمل المسجوعة فى النص ما هي ؟ وما هدف الكاتب منها ؟

5) اختر من النص اسلوبا إنشائيا ، وبين دلالته .

استثمار النص

أ ـ سجل فى كراسك الخاص :

ـ «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون».

ـ «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات».

ـ «أفضل الصدقة أن يتعلم المرء علما ثم يعلمه أخاه المسلم».

ـ يجب الا يكون علمنا علما مبتورا أو قشورا ، لأن الجهل مع صفاء الفطرة قد يكون خيرا من المعرفة المشوهة .

ـ إن الشجاعة فى القلوب كثيرة   ووجدت شجعان العقول قليلا

ب ـ لاحظ كلمة « فَتَحُوا » ـ الواردة فى النص ـ وما لها من وجوه استعمال متعددة :

فتحوا أبوابهم للعلوم على اختلاف انواعها ، وفتحوا اذهانهم لهذه العلوم كلها . فتح الله عليه : علمه وعرفه ونصره . فتح سره على فلان : باح له به . وفتح القناة : فجرها ليجري فيها الماء . وفتح القائد البلاد . وفتح الله عليهم فتوحا كثيرا : امطرهم امطارا . ويقال : فلان لا تفتح العين على مثله .

حـ ـ طبق :

1 ـ بين ما لـكلمة (تَنْهَض) ـ الواردة فى النص ـ من معان ووجوه استعمال اخرى فى جمل من عندك .

2 ـ انسج على منوال العبارتين الآتيتين :

ـ لن يكون المسلمون أقوياء سعداء الا اذا فتحوا أبوابهم للعلوم على اختلاف انواعها .

ـ لا هو مع الجاهلين قد بقي ، ولا هو بين العلماء قد صار .

3 ـ حرر : «أفضل الصدقة ان يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه اخاه المسلم».

اكتب موضوعا فى معنى هذا الحديث الشريف ، مستدلا به على مدى عناية الاسلام بالعلم والتعليم ، ومبرزا الجهود التي تبذلها الجزائر فى هذا السبيل .

26

البحث العلمي والتنمية [*]

النـــص :

ليس فى إمكان أي بلد من بلدان العالم الثالث خوض معركة التنمية بمجرد نقل المعلومات الفنية أو استيرادها ؛ إذ لابد من استقلال فعلي مدعم بتحرير اقتصادي ، وذلك بالقضاء على التبعية والاستغلال بكل أشكاله ، ثم تجنيد موارد الوطن جميعها فى مجال البحث العلمي الذي هو فى جوهره أداة التحرر الاقتصادي والتقدم الاجتماعي .

مكانة البحث العلمي فى التنمية الوطنية :

والتنمية هي اختيار سياسي قبل كل شيء ، وهي تجسد إرادة الشعب وعزمه على خوض معركة البناء والتخلص من التبعـية للخارج ، وإرادة المسئولين فى مـواجهة الحقائق الـوطنية . والتنمية تحـدد بأهـدافها ، وباستيراتيجية البلد فى بلوغها ، وأهداف الجزائر فى هذا المجال واضحة ، وهي ترمي الى رفع المستوى الاقتصـادي والثقافي والاجتماعي للشعب الجزائري كله . ولهذا لا يمكن أن توضع الاستراتيجية العامة للتنمية ، أو أن تحدد ، بصورة مجردة وعفوية ، لأن لها جذورا عميقة ترتبط بالمراحل التاريخية التي مرت بها دول العالم الثالث ، ومن بينها الجزائر ، لهذا يجب أن تجرى دراسة الأوضاع الراهنة وتحليلها على مستوى البلد ، فى جميع المجالات ، حتى تتضح الأولويات والأهداف .

والسؤال الذي يعرض فى هذا السياق هو : ما المكانة التي يحتلها العلم والتقنية فى «استراتيجية» التنمية ؟ فى الجواب عن هذا يعرض لنا

---

[*] للأستاذ مخلوف عبد الحميد . (مجلة الجيش مـارس 1977)

تساؤلان :

أولهما : مادور العلم والتقنية فى مسار التنمية ؟

وثانيهما : ما المكانة التي أوليت لمجهودات التنمية العلمية والتقنية فى الاستراتيجية العامة ؟

إن أية تنمية لا يمكن لها أن تتم من غير استغلال الاكتشافات العلمية الحديثة وتطبيقها ، فى اطار حل المشكلات التي تواجهها شعوب العالم الثالث ، أو أي شعب آخر ... وعلى هذا فان الاستعمال المكثف لمكتسبات العلم (والتكنولوجيا) ضروري لسير التنمية، أما كيفية استغلالها والاستفادة منها فتتطلب التفكير والتَّرَوِّي ، لأن المهم ليس هذه التقنيات أو تلك ، وإنما هو دلالتها وأبعادها المختلفة التي تتعدى الحدود الداخلية لترتبط بعدد من العناصر التي يمكن أن تؤثر فيها وتحدد نتائجها ، ذلك لأن العلم والتقنية غير محايدين فى أية تنمية ، ولهذا فان البحث العلمي فى الجزائر وفى الدول السائرة فى طريق النمو ، يتطلب تعبئة الموارد البشرية والمالية تعبئة واعية منظمة ، لتحقيق أهداف محددة ، ذلك لأن دلالتها تستمد من المشكلات التي يراد حلها ، والتي يواجهها المجتمع .

التعبئة التكنولوجية :

لا يخفى على أحد دور العلوم والبحث العلمي وأهمية ذلك فى حياة الأمم، وإن أهم العلامات التي يقاس على أساسها تقدم بلد من البلدان ، فى عصرنا الحاضر عدد الباحثين والمهندسين والفنيين فيه . . واذا كان العالم الرأسمالي وعدد كبير من البلدان الاشتراكية تتحكم بدرجات مختلفة فى العلم (والتكنولوجيا) فان شعوب العالم الثالث عامة ، وبينها الجزائر ، متخلفة كثيرا فى هذا الميدان، وما تزال حتى اليوم تستورد «التكنولوجيا» والعناصر الفنية التي تسير الآلات ، مما يجعلها فى «تبعية تكنولوجية» تعد أخطر

التبعيات ، وتتمثل هذه التبعية ، بالقياس الى الجزائر ، بالمبالغ الكبيرة التي تنفقها فى كثير من الأحيان بالعملة الصعبة لشراء العقود ، أو بمعنى آخر لاستيراد «التكنولوجيا». وقد كلف الجزائر عملية إنجاز بعض الدراسات حوالي 1600 مليون دينار خلال المخطط الـرباعي الأول ، وكانت حصة الدراسات الاقتصادية وحدها 500 مليون دينار .

والسؤال الذي يعرض فى هذا المجـال هو : كيف يمكن أن يكون موقف الدول السائرة فى طريق النمو ؟ أتـرضى بهذا الوضع وتستمر فى استيراد «التكنولوجيا» من الدول المتطورة ، أم تبذل مجهودا وطنيا لانشاء هذه التكنولوجيا فى الداخل أو تبنيها ؟ الحق أن المشكل ليس فى الخيار بين استيراد التكنولوجيا أو بذل جهد على الصعيد المحلي فى مجال البحث ، ذلك أن عملية نقل التكنولوجيا لا يمكن لها أن تحل المشكلات الزراعية وغيرها من المشكلات الكثيرة التي تعاني منها شعوب العالم الثالث . ولقد تأكد هذا فى عدد من الدراسات التي أجـريت بهذا الصدد ، إذ أن النقل الأفقي للتكنولوجيا لا يتم على أساس صحيح ما لم تحضر البلدان المستقبلة لها فِرَقاً وعناصر قادرة على توجيهها وجهة تتماشى وأهداف البلد ، والتصرف بها بكل كفاية . .

الفرق بين المعارف الفنية والقدرة التقنية :

ونقل «التكنولوجيا» ليس نقل فنيات فى مجال معين فحسب ، وإنما هو أيضا نقل المعارف والتجارب ، كما أن استيراد الآلات وتسييرها بعناصر وطنية لا يعني أن هـذه العملية أصبحت فى مجملها وطنـية بحتة ، إذا لم تستـوعب هذه العناصر الـوطنية التكنولوجيا وتعقـداتها ، لأن نقل التكنولوجيا لا يتم بصورة حقيقية إلا بعد أن تكون العناصر التي تستقبلها قد استوعبت الطرق الفنية التي تمكنها من صنع الآلات التي أعدت للعمل عليها وتسييرها ، وإلا فان العملية ستُعَدّ بكل بساطة كنقل معلومات ضرورية

لتسيير الآلات وتعلمها ، ولهذا يجب التمييـز بين المعارف الفنية والقدرة التقنية . زد على ذلك أن نقل التكنولوجيا الى دول العالم الثالث يكلف اقتصادياتها تكاليف باهظة ، فضلا عن أن إطاراتها ليست دائما فى المستوى الذي يؤهلها لاختيار التكنولوجيا التي تفيدها فى مجال التنمية الاقتصادية على الوجه المرجو ، مما أدى فى كثير من الأحيان وفى كثير من البلدان المستوردة لها ، الى زيادة تبعيتها للدول المصدرة للتكنولوجيا بدلا من أن تتحرر منها . والاخطر من ذلك أيضا أنها أدت بطائفة من البلدان النامية الى أن تستورد «تكنولوجيا» ذات صبغة استهلاكية ، متناسية المجالات الأساسية فى تنميتها الوطنية .



27 التضخم المـالي *

النـــص :

ليس حديث غلب على أحاديث الناس جميعا ، كالحديث عن الأسعار . كل شيء ارتفع سعره ارتفاعا بالغا ، إلا اثنين : الهواء والماء ، ومن فضل الله أن الهواء لا يزرع ولا يصنع ، ولا يزرع ولا يصنع الماء . . إنهما هبة الله المطلقة ، لا تكاد تمسها إرادة انسان .

أحس بهذا الغلاء قابعا فى وطنه ، وأحس به مرتادا لغير وطنه يطلب الراحة من عناء ، وأستمع لكل عائد فلا أجد منه إلا الشكوى .

لعبة الارجوحة :

تحدثت الى انكليزي ـــ فى لندن ـــ عن هذه اللعبة ، لعبة الأرجوحة ، التي شاعت فى هذا العصر الحديث . قلت : أي لعبة هذه ، وأي أرجوحة ؟ قال : أرجوحة الأسعار والأجور : تزيد الأسعار فيطالب العمال بزيادة الأجر. ويزيد أجرهم عن رضى أو غضب ، فيكثر المال فى السوق ، فتقل قيمته كما تقل دائما قيمة الكثير ، فتزيد الأسعـــار فى البلد (الحر) كبلدنا ، وترتفع الأسعار فوق ما ارتفعت الأجور فتشكو الأجور انخفاضها ، فلا تلبث أن ترتفع . . وهكذا ، رفع وخفض ، يتلوه خفض ورفع . أرجوحة !

---

* الدكتور احمد زكي كاتب مصري معاصر ، وعالم جـمل العلم فى حوزة الجمال ، تولى تدريس الكيمياء فى جامعة القاهرة ، ثم أصبح مديرا لتلك الجامعة ، وتولى تحرير مجلة «الهلال» واخيرا مديرا لمجلة «العربي» فى الكويت ، وكان فى جميع مواقفه رجل العلم والمعرفة الذي يُتّخَذ كلامه حجة وهديا . توفي سنة 1976 · من آثاره : «قصة المكروب وكيف كشفه رجـاله » و « مع الله فى السماء » والنص الذي بين يـديك مقتبس من مجلة العربي ـ العدد : 192 ·

العلة فى التضخم :

وتحدثت الى رجل آخر ، فقال : إن علة العلل التضخم . قلت : تضخم أسعار ، وتضخم أجور . قال : بل أعني التضخم الثالث . التضخم المالي . انه الورم الذي يحسبه الناس سمنا الى حين . . وهو داء الأمم جميعا .

وراح يقول : «إن حاجات الانسان لم تَغْلُ ، وإنما المال الذي نشتري به هذه الحاجات هو الـذي رَخُص ، الدولار الأمريكي ، والجنـيه الاسترليني وعملات أخرى كثيرة هبطت قيمتها . ولهذا أسباب كثيرة ، ومحاورات ومداورات بين الأمم كثيرة . . ».

ولم أجد بي حاجة الى أن أسأل صاحبنا عن التضخم المالي المفتوح ، ذلك المطلق الذي لا ينتهي عند حدود ، فقد عشناه أو عاشه منا بعض هذا الجيل الحاضر ، وعاصره معاصرة أليمة بعد الحرب العالمية الأولى ، ذلك التضخم الذي وقع فى المانيا عقب هذه الحرب .

القروض . أو زيادة صنع النقود :

إن الدولة ، فى الحرب وهي قائمة ، تتكلف نفقات باهظة لا تغطيها الضرائب المفروضة ، فتجنح الى القرض او زيادة صنع النقد . . وهي من بعد حرب تحتاج الى إصلاح ما افسدت الحرب ، ويصبح فرض الضرائب على الشعب أقسى بعد أن عانى فى الحرب ما عانى من الشدة والقحط . واذاً فلابد من وسائل هي القروض تواجه بها النفقات الزائدة ، ومع القروض زيادة النقد .

والنقد الذي كان متداوَلا فى ألمانيا قبل الحرب العالمية ، بلغ عام 1914 نحوا من ألفي مليون من (الماركات) ، وهي من ورق ، فما جاء عام 1923 حتى كان النقد المتـداول فيها خمسمائة مليار مـارك . . وعندئذ صـارت (القوة الشرائيـة) لكل مليون مارك من الورق تساوي قوة شراء

كانت للمارك الألماني الواحد من قبل الحرب ! وبلغ طابع البريد مائة ألف مليون مارك . وبسرعة تَقَلُّب الأسعار كان العاملون يتناولون مرتباتهم يوميا، ولا يمضي اليوم حتى يكونوا قد سبقوا الى شراء شيء تخلصا من التخفيض فى قيمة المارك فى الغد . وألغي المارك القديم ، وحل محله مارك جديد فى عام 1924 ، فأعاد الثقة جديدة فى اقتصاد البلاد !

وأذكر فيما أذكر أني فى ذلك العام ، وبعد التضخم الذي كان فى ألمانيا ، طلبت الذهاب صيفا ـ وأنا طالب فى انكلترا ـ الى ألمانيا فى أسرة لقضاء الصيف بها ، فجاءني خطاب من أستاذ جليل فى جامعة ألمانية ، يرحب بي أن أنزل فى أسرته ضيفا ، ضيفا يدفع ، وعلمت أن هذه الحال هي حال الكثير من الأساتذة ، ضاع ما اقتصدوا فى لمحة بصر ، وكانت هذه الدعوة من ذلك الأستاذ مزعجة لي أشد الازعاج .

الانتاج سبيل الخلاص

ان علاقة التضخم المالي بالانتاج علاقة وثيقة ، والانتاج هو سبيل الخلاص للأمة اذا استطاعت الزيادة فى إنتاجها . إنها كالرجل الذي وقع فى ضائقة من دَيْنٍ ، يستطيع أن يسُدّ دَيْنَه بزيادة غلة أرضه ، أو مردود مصنعه !

قال لي أحد العارفين فى حديث ، إنه مع الانتاج وزيادة الانتاج ، لا يبالي أن ترتفع الأسعار أو ترتفع الأجور ، فالانتاج يزيد غلة الدولة فتستطيع أن تغطي نفقاتها وتزيد حتما مدخولها .

ورحت أطبق هذا على الدول ذات التخلف ، فوجدت أكثرها دولا زراعية ، ليس لها غير الأرض مصدر إيراد . لا صناعة فيها ، والصناعة اليوم المورد الأكبر والأوثق لايراد الدول .

ويزيد الطين بِلّة فى الدول الزراعية المتخلفة أنها تطلب التَّرَقِّي ، وليس أمامها مثل تحتذيه للترقي غير الدول الصناعية ، وهي تهدف أول ما تهدف من الترقي الى ثمراته تقطف منها قبل أن يصبح الترقي عندها حقيقة ، وذلك

باستيراد ما صنعت الدول الصناعية من أشياء هذه الحياة الجميلة المريحة التي هي أزهى مظاهر المدنية الحاضرة . . تستورد السيارة ، وتستورد الطيارة وتستورد شتيت الأنسجة من قطنية وصوفية وحريرية كساء ، وشتى مواد البناء والمرافق مساكن وقصورا ، وتستورد من وسائل الرَّفَه وغير الرفه ما لم يكن لها نصيب ولو كان صغيرا فى صناعته ، وتدفع ثمن ذلك كله مما تبيع من قمح أو ذرة ، أو عدس أو سمسم ، فلا يفي بكل ذلك ما تدفع ، ولا يكون لها مخرج من مأزق هي فيه الا ممارسة التضخم فى داخل البلاد وخارجها على السواء .

أكاد أقول إن البلاد التي لم تتصنع ليس من حقها أن تشتري من هذه المدنية الصناعية ما تشاء بغير حساب ، لاسيما فى البلاد التي اذا اشتريت فيها سيارة ذهب ثمنها بطعام مائة أو ألف من الناس ، لاسيما سيارة لا يركبها راكبها إلا لينتمي ظاهرا الى المدنية الحاضرة ، وهو ليس منها ، وهي ليست منه . .

الانتاج ـ لا الذهب ـ هو الاساس

فى زيارة قمت بها لمطاحن الدقيق فى أنكلترا ، مَسّ الحديث ما كان من تضخم وقع عقب الحرب العالمية الثانية . . . قلت : إن اتخاذ الذهب أساسا للنقد خطأ فى رأيي بالغ ، فالذهب لا يؤكل ، وتفعل الحوادث فعلها فىالورق عامة رفعا وخفضا . والرأي عندي أنه مع تضخم النقد ورخصه ، تبقى مواد العيش ثابتة القيمة منسوبا بعضها الى بعض بوجه عام . وإذاً ، أقترح أن يُرَدّ الحساب كله الى مادة من مواد العيش ثابتة ، وأَوْلَى المواد بهذا مادة يُصْنَع منها الرغيف ، وذكرت لهم أنه فى بلادنا يدعى الرغيف (بالعيش) ، لأصالته فى تزويد الجسم بالطاقة ، فبالحياة . واذاً ترد كل الحسابات الى قيمة الطِّنّ من القمح . .

وابتسم أصحاب ضيافتي ابتسامة عريضة . . ولست أدري هل ابتسموا اقتناعا ، أم ابتسموا لتحية توجهت بها على غير قصد الى القمح وهم طاحنوه !

28

الحاسب الالكتروني
وعلم الحديث النبوي

النــص :

إن المشتغل بعلم الحديث الشريف تخريجا وتحقيقا وفقها واستنباطا تعترضه الكثير من الصعوبات لوعورة مسالك هذا العلم وتشعُّب خصائصه وفصوله ، من معرفة ترجمة الرواة (1) وعدالتهم (2) وضَبْطِهم (3) وخُلُوّ الأسانيد (4) من الشذوذ (5) والعلل (6) ومعرفة الناسخ (7) من الحديث من منسوخه،وجمع طرق الحديث من أمهات كُتُبِه ، وأقوال نَقَدَة الرجال جَرْحًا (8) وتعديلا،الى غير ذلك مما هناك من مصطلحات هذا العلم الزاخر . لذا فقد دفعت هذه الصعوبات وغيرها الى التفكير بالاستفادة من الحاسب الالكتروني فى ميدان هذا العلم الشاق لخدمة الحديث النبوي جمعا وتصنيفا وتحقيقا إن أمكن .

---

1) **الرواة ج رَاوٍ** : وهــو من يروي الحديث أو الخبر عن غيره .
2) **العدالة** : هي استقامة الراوي .
3) **الضبط** : ضبط الراوي : دقة ملاحظته ، وقوة ذاكرته ، وامانته فى الاداء ، وموافقتــه للثقات فى روايتهم !
4) **الاسناد** : أن يذكر كلُّ راوٍ اسم مَن رَوَى عنه حتى يبلـغ النبي صلى الله عليه وسلم
5) **الشذوذ** : الحديث الشاذ : هــو حديث ينفــرد بروايته ثقــة من الثقــات .
6) **العلل** ج عِلّة : وهي فى الحديث سبب غامض يَخفَى فى روايته .
7) **الناسخ والمنسوخ** : ما ثبت تقدمه من الاحاديث المتعارضــة يقال له منسوخ ، ومــا ثبت تأخره منها يقال له ناسخ !
8) **الجَرْح** : هو رَفْض روايــة راو لفقــده بعض الشروط الاربعــة وهي : الاسلام ، العدالة ، العقل، الضبط.

والحاسب الالكتروني هو مجموعة الآلات القادرة على استقبال البيانات واجراء عمليات محددة مُسْبَقًا على هذه البيانات ، واستخلاص نتائج مفيدة من ذلك في بضعة أجزاء من المليون من الثانية بدلا من بذل جهود مجموعة من العلماء المختصين طيلة سنوات عديدة . ولقد رأينا للحاسب الالكتروني أعمالا مدهشة في ميادينَ كثيرة من العلم والاقتصاد والزراعة والصناعة والقضاء بصورة خاصة . ولكن علينا أن لا ننسى أنه من صنع الانسان والانسان مخلوق لله عز وجل .

هناك مجموعة كبيرة من المجلدات المتنوعة ، التي تحوي الأحاديث النبوية مع أسانيدها ، وأسماء الرجال وطبقاتهم ، وقول المحققين فيهم وتاريخهم ، ومصطلح الحديث، وعلله، وشواذه، وغريبه[9] وآحاده[10] ومتواتره[11]، ومجموع كلمات هذه الكتب لا تصل الى خمس وعشرين مليون كلمة أي ما يعادل خمسين مليون «بايت» (البايت هو الرمز المستعمل لِسَعة ذاكرة الحاسب الالكتروني). وبذلك يلزمنا حاسب من الحجم المتوسط ، وهو يحتاج الى عامين لبرمجته وإدخال جميع المعلومات السابقة الى ذاكرته . واذا استطاع المسئولون تغذية ذاكرة الحاسب بجميع الكتب والمخطوطات . فسيكون أعظم وأثمن مكتبة في علم الحديث في العالم . ويمكن الاستفادة من الحاسب الالكتروني بفائدتين :

الأولى : أن نوجه له السؤال البسيط التالي : اذكر لنا أين نجد حديث «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (*) وما هي جميع أسانيده وألفاظه ، وما قاله العلماء في رواته جرحا وتعديلا واذكر لنا اسم كل رجل

---

9) **الغريب** : الحديث الذي اشتهرت روايته في موضع .

10) **الآحاد** : ما رواه واحد فقط .

11) **المتواتر** : هو ما رواه جمع من الناس يمتنع اتفاقهم وتواطؤهم على الكذب

(*) رواه مسلم .

ورد فى أسانيده . وإنْ هي الا لحظات حتى نرى الاجابة قد ظهرت مطبوعة أمام عيني السائل ، عندها يأتي دور السائل فى التحقيق والاستنتاج .

ويمكن أن نطرح عليه السؤال التالي : ما هي الأحاديث التي رواها الامام البخاري عن شيخه علي بن المديني فنجد الجواب بعد لحظات. ونوجه له سؤالا آخر : ما هي الأحاديث التي رُوِيَتْ من طريق ابن شهاب الزهري ؟

وبذلك يستطيع طالب العلم والمشتغل بالسنة أن يوفر الوقت والجهد والمال وأن يصل الى الحق والصواب مطمئنا الى النتائج والمعلومات المعطاة له من الحاسب ، فيحكم بها على الحديث من خلال مناقشة أحوال سَنَدِهِ ورجاله .

الثانية : واذا أدخلنا معلومات أصول علم الحديث الى ذاكرة الحاسب وأدخلنا آراء أئمة الحديث فى المسائل مع نسبة كل رأي الى قائله لأمكننا أخذ الجواب من صحة أو ضعف الحديث من الحاسب اعتمادا على ما أُمْلِيَ عليه من معلومات ، وبذلك يتحقق نصر كبير طالما حلم به الناس قديما وحديثا لمعرفة صحة الآثار من ضعفها .

ويمكن للحاسب أن يذكر اتفاق المحَدِّثين على حديث ، أو اختلافهم بحديث . واذا كان علماء الحديث يتخوفون من الحكم على الأحاديث بواسطة الحاسب الالكتروني بحجة أنه ربما يخطىء فان نسبة خطأ الحاسب أقل من خطأ الانسان ، بل تكاد تكون معدومة ، وعلى فرض أنه أخطأ فان هناك أجهزة إنذار تنبه عند حدوث الخلل والخطأ فهو يعترف بذلك بل يحدد النقطة التي أخطأ فيها ، ويمكن عندئذ محو المنطقة المشكوك فيها ، والحصول على الجواب الصحيح . وفوق هذا كله ، فان سهولة استعمال

الحاسب تُغْرِي طلبة العلم المسلمين فى أنحاء الدنيا كلها ، لأن ينادوا بصوت واحد على وجوب إيجاد مثل هذا الحاسب فى بلد مثل المدينة المنورة أو مكة المكرمة ، ويمكن لأي طالب علم أو عالم أو فقيه أو محَدِّث أن يرسل سؤاله بواسطة البريد ويرسَل له الجواب بالبريد ، وهذا عمل فى غاية السهولة ، وهو من الأهمية بمكان .

وقد آن للمسلمين أن يخدموا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم باستخدام مثل هذا الجهاز خاصة أنه لا يزال بين الأحياء من المسلمين بقية من علماء الحديث والمختصين به وحُفّاظه يستطيعون الاشراف على برمجة هذا الحاسب ، وبوفاتهم يضعف الأمل جدا بالاستفادة من هذا العلم وتخسر الأمة خسارة لا تعوض .

إن فكرة الحاسب الالكتروني والاستفادة منه فى علم الحديث فكرة رائعة حقا وهي فكرة واقعية ممكنة التطبيق ، نرجو من المولى جل وعلا أن يهيىء لها الرجال والمال والمكان والزمان اللازم ، وأن يؤجر العاملين على تنفيذ هذه الفكرة خير الأجر والجزاء إنه خير مسئول ، والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

[خالد كزيرة]

عن «مجلة : العلم والايمان» العدد 22 و 23

أسئـلة حول المحور

1 ـ لكي نجني الثمار الصحيحة من العلم ينبغي أن يكون اخذنا منه كاملا غير مبتور ، وأن نعنى باللباب دون القشور .

ـ وردت هذه الفكرة فى اكثر من نص من نصوص هذا الباب ، اجمع شتات ما تفرق منها فى هذا الموضوع ، وناقشها موضحا ذلك بالأمثلة .

2 ـ متى يكون الانتماء الى المدنية ظاهرا ـ كما يفهم من مقالي «البحث العلمي» و «التضخم المالي» ؟ وكيف يكون الانتماء الى المدنية حقيقة وواقعا ؟

3 ـ تحدث اكثر من كاتب ، فى هذا الباب ، عن البحث العلمي ، بين موقف الاسلام من ذلك ، مستشهدا ببعض الآيات الكريمة الداعية الى الأخذ بأسباب العلم والتدبر والبحث .

4 ـ تناول كل من الكاتبين (مخلوف عبد الحميد) (والدكتور احمد زكي) موضوع استيراد الأشياء الاستهلاكية ، ما النتيجة التي خلص اليها كل منهما ؟ وما الأضرار التي تنجم عن هذا النوع من الاستيراد ؟

5 ـ هل تجد فى الموضوعات العلمية سعة لتقبل قسط مقدور من التعبير على نحو ما رايت فى مقال « التضخم المالي » للدكتور أحمد زكي ؟ وضح ما ترى من خلال ما قرات من نصوص علمية مختلفة فى هذا المحور .



« ز »

الوطن العــربي والاسلامي

لقــد عــانت امتــنا ـ بالمشرق وبالمغرب ـ مآسي الاستعمار الغربي الحديث حقبة طويلة من الزمن منذ اوائل القرن السادس عشر . حيث سلبت حقها في العيش ، وحرمت نعمة الحرية . فاصيبت في جميع مقوماتها المادية والروحية ، حتى كادت تفقد احســاسها بالعزة والكرامة .

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجــرح بميت ايــلام

ولكن الله سلم ، فقيض لها من ابنائــها من ينفخ فيها روح الجــهاد ويبعثها من مرقدها ، حتى تحررت شعوبها الواحد تلو الآخر . ولم يبق الا جزء غال عزيز عليها ، هو فلسطين التي يخوض شعبها منذ ثلاثين سنة كفاحا مريرا ، سيتوج باذن الله بالنصر المبين .

واذا كانت مشاكل وطنك الكبير مشتركة ، ومصيره واحــدا ، فمن الضروري ان تطلع على ما يجري في ارجائه ، من حركات فكرية ، واحداث سياسية .

29 الجزائر والقومية العربية (*)

تمهـــــيد :

يعمد بعض الكتاب الاجانب ـ حين يتناولون قضية الثورة الجزائرية وعلاقتها بالقومية العربية ـ الى التضليل وطمس الحقائق ، قصد ابعاد الجزائر عن ساحة النضال العربي ، واغفال دورها التاريخي فى حركة التحرر العربي فى المنطقة .

فقد روج الغربيون على الصعيدين : التاريخي والسياسي فكرة : ان الثورة الجزائرية (اقليمية) لا صلة لها بعروبة او اسلام . وقد نسي هؤلاء بل تجاهلوا : ان الجزائر عام 1830 كانت جزءا من العالم العربي الاسلامي ، وان احتلال الجزائر كان بداية استعمار الغرب للعرب ، وان المقاومة فى الجزائر حركة قومية رائدة نابعة من اصالتها فى العروبة والاسلام :

النـــص :

سببان دعواني الى كتابة هذا البحث : الاول : هو الخطأ الكبير الذي وقع فيه مؤرخو القومية العربية من عرب وأجانب ، حين تناولوا أسباب ظهور هذه الحركة وزمانها ومكانها . والثاني : هو النزعة الغريبة التي تروج الآن فى الجزائر لأقلمة الثورة الجزائرية .

فى المنطق التاريخي :

يقوم هذا البحث أساسا على المقدمات والنتيجة التالية :

1) ان الوطن العربي كان دائما يمثل وحدة متكاملة .

2) ان هذا الوطن كان الى عام 1830 يخضع للنفوذ الروحي للخلافة الاسلامية .

3) وانه الى ذلك التاريخ لم تظهر أية حـركة قومية عربية بالمفهوم الحديث للقومية .

4) ان قومية أية أمة هي رد فعل ضد خطر أجنبي سواء كان حقيقيا أو تصوريا .

(*) من كتاب : منطلقات فكرية للاستاذ أبو القاسم سعد الله ـ صـ 109 وما بعدها ـ بتصرف

5) ان الجزائر كانت أول جزء من الوطن العربي يتعرض لمثل هذا الخطر الأجنبي .

والنتيجة : هي أن مقاومة الشعب العربي فى الجزائر منذ 1830 تعتبر أول مظهر من مظاهر القومية العربية بمعناها الحديث .

وهكذا يمكن التوصل الى هاتين المعادلتين :

المعادلة الاولى :

أ ــ كانت الجزائر عام 1830 جزءا من الوطن العربي .

ب ــ كل اعتداء على جزء من هذا الوطن يعتبر اعتداء عليه كله .

ج ــ إذن فالاعتداء على الجزائر اعتداء على الوطن العربي .

المعادلة الثانية :

أ ــ المقاومة فى الجزائر التي تلت الاحتلال الفرنسي كانت رد فعل ضد الخطر الأجنبي .

ب ــ كل حركة مقاومة عربية ضد الخطر الأجنبي هي حركة قومية .

ج ــ إذن فالمقاومة العربية فى الجزائر حركة قومية .

ومن هنا يظهر أن الجزائر كانت مركز ميلاد القومية العربية وأن عام 1830 كان عاما حاسما فى التاريخ العربي الحديث . ذلك أن المقاومة العنيفة المستمرة التي واجهها الاحتلال ، كانت مقاومة عقائدية وشعبية . فمن الناحية العقائدية كانت تمثل الصراع بين حضارتين مختلفتين وقوميتين لا يمكن التعايش بينهما . ومن الناحية الشعبية كانت مقاومة الشعب العربي فى الجزائر تمثل القمة العاطفية (الوطن ، الشرف ، الملكية ، الكرامة) للنضال. وهكذا يمكن اعتبار أفكار حمدان خوجة ، وكفاح الأمير عبد القادر تمثل الاتجاه العقائدي ، بينما تمثل ثورات الفلاحين ، والأدب الشعبي الاتجاه العاطفي .

ولكن لابد من تحذير حول هذه النقطة . ان المقاومة العربية فى الجزائر كانت تعبيرا عن **القومية الاسلامية والعربية معا** . فبالنظر الى أن الدين قد أَدَّى دَوْرًا هاما فى توجيهها وأن قادتها قد نادوا بالتضامن الاسلامي لصد العدوان ، تعتبر حركة رائدة للجامعة الاسلامية ، وبالنظر الى أن من قاموا بها كانوا عربا ، وأن هدفها كان تحرير جزء من الوطن العربي ، تعتبر حركة رائدة للقومية العربية . والحقيقة أن هذا الدور الثنائي للمقاومة الجزائرية قد استمر الى أن انفصلت القوميتان الاسلامية والعربية بعد الحرب العالمية الأولى . بل من الممكن القول بأنه استمر الى يومنا هذا حيث يصعب الآن الفصل بين القوميتين فى الوثائق الجزائرية التي صدرت بعد الاستقلال .

معنى القومية العربية :

من الممكن تعريف القومية العربية بأنها حركة ايديولوجية ، وعاطفية وثقافية وسياسية ، تستهدف توحيد جميع العرب باعتبارهم ينتمون الى أمة واحدة تشترك فى التاريخ واللغة والحضارة والمصالح والمصير .

إنها حركة «ايديولوجية» لأن لها مضمونا فلسفيا وانسانيا ، وهي حركة عاطفية لأنها تقوم على رد فعل جماهيري ، وغيرة على التراث القومي ، وحماس روحي لتحقيق رسالتها . وهي حركة ثقافية لأنها تؤمن بايجابية الحضارة العربية ماضيا ومستقبلا ، وتعتمد على لغة أثبتت قدرتها على ترجمة الأفكار الانسانية فى شتى صورها وعصورها . وأخيرا فهي حركة سياسية لأنها ترمي الى الوحدة الشاملة بين أجزاء الوطن العربي ، وتدافع بكل قوة عن تراث وشخصية وحدود الأمة العربية. ومن الواضح أن القومية العربية بهذا المعنى ، ليست حركة عنصرية ولا طائفية . إنها ببساطة واختصار : حركة ، قومية ، دفاعية ، إنسانية .

ولكن ما الوطن العربي ؟ انه ليس المنطقة الجغرافية التي حددها السياسيون فقط ، وليس الحدود التي تظهر فى الشعار (من الخليج الى

المحيط) فحسب ، ولكنه يشمل جميع المناطق (الناطقة بالضاد) التي يؤمن أهلها بالقومية العربية ، بناء على التعريف السابق ، باعتبارها حركة قومية نضالية إنسانية .

غير أنه من الواضح أن القومية بمفهومها الحديث ، لم تظهر الا بعد الثورة الفرنسية ولم تنتشر وتتقو فى أوربا الا بعد وحدتي ألمانيا ، وإيطاليا ، ولم تتخذ شكلا إيجابيا فى العالم الثالث الا بعد الحرب العالمية الأولى . أما القومية العربية فقد ظهرت على الأقل ، بناء على التعريف السابق ، فى مقاومة الشعب العربي فى الجزائر للاحتلال الفرنسي ، أي منذ سنة 1830 .

إن أهم نتائج هذا البحث تتلخص فى النقاط التالية :

1) ضرورة مراجعة النظرية الشائعة عن تاريخ القومية العربية .

2) وجوب بحث القضايا العربية بطريقة شاملة متكاملة ، سواء حدثت فى المشرق أو فى المغرب العربي .

3) حتمية تفسير القومية العربية على أنها رد فعل عربي ضد الخطر الأجنبي سواء كان هذا الخطر شرقيا أو غربيا .

4) ما دامت الجزائر أول جزء يقتطعه الأجانب من جسم الأمة العربية فان مقاومة الشعب العربي هنا تعتبر أول مظهر من مظاهر القومية العربية بمفهومها الحديث .

5) ضرورة وضع حركة النضال السياسي لحمدان خوجة ، والنضال العسكري للأمير عبد القادر فى مكانهما من تاريخ القومية العربية ، على أساس أن حركة كل منهما رائدة على الصعيدين : العقائدي والجماهيري .

بذلك تتطهر الحركات العربية الثورية من زيف الاستعمار الذي أعطى لكل حركة لونا ، وتلتقي جميعا على المستوى القومي مجتازة كل الحواجز المكانية والزمانية المصطنعة لكي تساهم فى بناء الأمة العربية الموحدة وتؤدي رسالتها الانسانية الخالدة .

مع النـــص

1 ــ ما الفكرة العامة التي يعالجها النص ؟

2 ــ ما دور الثورة الجزائرية فى نشـــأة القومية العربية كما وضحهـــا الكـــاتب ؟

3 ــ متى ظهرت فكرة القومية بمفهومها الحديث فى أوربا والعالم الثالث ؟

4 ــ ما مفهوم القومية العربية فى الجزائر ، فى نظر الكاتب ، والأسس التي تقوم عليها ؟

5 ــ عرض الكاتب تعاريف للوطن العربي . ما هي ؟

6 ــ يرى الكاتب : ان المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال مظهر من مظاهر القومية العربية . وضح ذلك من النص .

تقويم النـــص

ا ــ الأفــكار :

1 ــ أورد الكاتب (معادلة) لاثبات : ان الجزائر جزء لا يتجزأ من الوطن العربي .

ــ ما عناصر هذه المعادلة ؟ وما رايك فيها ؟

2 ــ ما الفرق بين (الاقليمية) و (القومـــية) وايهما انفع للأمة العربية فى نضالها ضد الاستعمار والتخلف ؟

3 ــ يرى الكاتب : ان عام 1830 كان حاسما فى التاريخ العربي الحديث كيف ذلك ؟

4 ــ ما مركز ميلاد القومية العربية من وجهة نظر الكاتب ؟ أتوافقه ؟

5 ــ ما الطابع الذي كان يسود الثورة الجزائرية ؟ أعقائدي ام شعبي ؟ وضح ذلك .

6 ــ ما الحقائق التاريخية التي تناولها الكاتب ؟ وما الهدف الذي يرمي اليه .

7 ــ ما عوامل الوحدة العربية ؟ أهناك عوامل أخرى تضيفها ؟ بين وناقش .

ب ــ الاسلــوب :

1 ــ بم يتسم أسلوب الكاتب فى هذا النص ؟ وما رايك فيه ؟

2 ــ فى اي لون من الوان الأدب يندرج هذا النص ؟ ولماذا ؟

استثمار النص

ا ـ سجل فى كراسك الخاص :

1 ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَيْسَتِ العَرَبِيَّةُ بِأَبٍ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ أَوْ أُمٍّ ، وَإِنَّمَا هِيَ اللِّسَانُ ، فَمَنْ تَكَلَّمَ العَرَبِيَّةَ فَهُوَ عَرَبِيٌّ».

2 ـ (ان الوطن العربي كان دائما وحدة متكاملة).

3 ـ (ان هذا الوطن كان فى عام 1830 يخضع للنفوذ الروحي للخلافة الاسلامية).

4 ـ (ومن الواضح ان القومية العربية ليست حركة عنصرية ولا طائفية . انها ببساطة واختصار : حركة قومية دفاعية . انسانية).

ب ـ لاحظ : كلمة (وحدة) وانها تستعمل لأوجه مختلفة منها :

الانفرادية : ضد الكثرة . الوحدة الفلكية او النظام الشمسي : معدل بعد الأرض عن الشمس .

التماسك والترابط والاتحاد بين اثنين أو جماعة أو امة .

ومنه : وحدة القصيد . وحدة الانتاج . وحدة الصف . الوحدة العمالية . الوحدة السكنية . الوحدة الحرارية .

ج ـ طبق :

1 ـ بين : الملكية ـ النفوذ ـ الشرف ـ الكرامة ـ النضال .
استخرج من هذه الكلمات افعالها . واذكر ما لهذه المصادر من أوجه استعمال ، مستعينا فى ذلك بخبرتك اللغوية وبالقاموس .

2 ـ انسج على منوال العبارة الآتية :

مادامت الجزائر اول جزء يقتطعه الاجانب من جسم الامة العربية ، فان مقاومة الجزائريين تعتبر اول مظاهر القومية العربية بمفهومها الحديث .

3 ـ حرر :

أكتب موضوعا تبين فيه مدى ارتباط الجزائر وعلاقاتها بالوطن العربي والاسلامي : تاريخيا وحضاريا وسياسيا .

30	حــوار إســلامي

تمهيـــــد :

عقد السيد عبد الرحمن الكواكبي(*) فصلا فى كتابه « ام القرى » عالج فيه اسباب ضعف المسلمين وتاخرهم ، فتحدث فيه عن جمعية من المسلمين عقدت فى مكة ، حضرها ممثل او اكثر لكل قطر اسلامي . ويتلخص برنامج المؤتمر ، فى بحث موضع الداء فى المسلمين واعراضه وجراثيمه ودوائه وكيفية استعماله .. الخ ..

النـــص :

قال الرئيس : إن أوضح عَرَض من أعراض مرض المسلمين فُتورُهم ، وهو فتور عام شامل لجميع المسلمين فى جميع أقطار الأرض ، لا يسلم منه إلا أفراد شذاذ ، حتى لا يَكاد يوجد إقليمان متجاوران ، أو ناحيتان فى إقليم ، أو قريتان فى ناحية ، أو بيتان فى قرية ، أهل أحدهما مسلمون وأهل الآخر غير مسلمين ، الا والمسلمون أقل من جيرانهم نشاطا وانتظاما ، وأقل إتقانا من نظرائهم فى كل فن وصنعة ـ مع أن المسلمين فى جميع الحواضر متميزون عن غيرهم من جيرانهم فى المزايا الخلقية ، مثل الأمانة والشجاعة والسخاء ـ حتى توهم كثير من الحكماء ، أنّ الاسلام والنظام لا يجتمعان ، فما هو السبب ؟

وقد لفت نظره العضو الهندي الى أنه مع تسليمه بما قال الرئيس ، يود أن يستثنى بعض حـالات فيها المسلمون خير من جـيرانهم ، كبعض الوثنيين فى الهند ، والصابئة فى العراق ، فوافقه الرئيس وشكره على دقة ملاحظتة .

(*) مفكر سوري ورائد من رواد النهضة العربية الحديثة . توفي سنة 1902 م . ومن آثاره : «غادة أم القرى» و «طبائع الاستبداد».

ثم أخذوا ــ بعد التسليم بوجود ــ العرض ــ يبحثون فى الأسباب . وذهبوا فى ذلك كل مذهب ، **فالشامي** رأى أن سبب الفتور يرجع الى ما أصاب المسلمين من عقيدة جبرية ، فهذه العقيدة فى القضاء والقدر على هذا النحو آلت الى الزهد فى الدنيا ، والقناعة باليسير والكفاف من الرزق ، وإماتة المطالب النفسية كحب المجد والرياسة ، والاقدام على عظائم الأمور ، فأصبح المسلم كميت قبل أن يموت . والعقيدة بهذا الشكل مثبطة معطلة لا يرضاها عقل ، ولم يأت بها شرع .

والمقدسي رأى أن السبب تَحوُّل نوع السياسة الاسلامية من ديمقراطية الى استبدادية فأفسدت العقول وأماتت الأخلاق .

ورد **التونسي** بأن بعض الأمم الأوربية محكومة بحكومة استبدادية ولم يمنع ذلك من تقدمها وإنما السبب فى نظره الأمراء المترفون الذين لم يرعوا للأمة حقوقها .

وقال الروسي : ان تحميل الأمراء التبعة كلها غير سديد ، فما هم الا نفر قليل من الأمة . والسبب الحقيقي فى نظره فقدان المسلمين الحرية بجميع أنواعها : من حرية التعليم ، وحرية الخطابة ، وحرية البحث العلمي ، فبفقد الحرية تفقد الآمال ، وتبطل الأعمال وتموت النفوس ، وتختل القوانين وتسأم الأمة حياتها فيستولى عليها الفتور .

ورأى **التبريزي** أن السبب تَرْكُ المسلمين أَصْلَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاسترسل الأمراء فى أهوائهم وشهواتهم ، وعدمت المراقبة عليهم.

وقال **الفاسي** : إن السبب هو إهمال الناس الاهتمام بالدين ، حتى لم يبق له أثر الا على أطراف الألسن ، وأمراؤهم مثلهم لا يتراءون بالدين الا بقصد تمكين سلطانهم على البسطاء من الأمة ، هذا الى ظلمهم وجَوْرِهم . وقد كان المسلمون أعزاء يوم توثقت بينهم الرابطة الدينية ، فلما انحلت ضاعت الأخلاق ففتروا وخمدوا .

وأجاب المدني بأن فقد الرابطة الدينية والوحدة الخلقية لا يكفي سببا لهذا الفتور العام ، وعنده أن السبب تدليس رجال الدين وغُلَاة المتصوفين الذين لَوَّنوا الدين بلون سيئ فأضاعوه وأضاعوا أهله ، وذلك أن العلماء العاملين أهل لكل تَجِلّة واحترام ، فلما حسدهم مَن لا يستحق هذه المنزلة سلكوا مسلك الزاهدين . ومن العادة أن يلجأ ضعيف المقدرة الى التصوّف كما يلجأ فاقد المجد الى الكِبْر،وقليلُ المال الى التظاهر بزينة اللباس والأثاث، فأفسد هؤلاء الدين بما أدخلوا فيه ما ليس منه ، كالعلم اللَّدُنِّي [1] وترتيب المقامات ، ووراثة السر ، والرهبنة [2] والتظاهر بالعِفّة ، والتبرك بالآثار ، والكرامة على الله ، والتصرف فى القدر . فسحروا عقول الجهلاء ، واختلبوا قلوب الضعفاء كالنساء ، والنساء بَذَرْن هذه البذور الضارّة فى أبنائهن وبناتهن ، فماتت النفوس وَخَرِفت العقول . وهؤلاء المدَلِّسون وجدوا فى بغداد ومصر والشام وغمروا السوق فى الآستانة ، وسَرَى التدليس من هذه العواصم الى جميع الآفاق فأصبح المرض عاما .

وانضم الرومي الى هذا الرأي وزاده إيضاحا ، فقال : ان داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين والجهال المتعممين ، وبلغ أمرهم فى البلاد العثمانية أن صارت الألقاب العلمية منحة رسمية تُعطَى للجهال ، حتى للأميين والأطفال (كمشيخة الطرق عندنا). فقد يكون طفلا ويُمْنَح بالوراثة لقب «أعلم العلماء المحققين» ، ثم «أفضل الفضلاء المدققين» ، ثم و ثم .... حتى يوصف بأنه «أعلم العلماء المتبحرين ، وأفضل الفضلاء المتوَرِّعين ، وينبوع الفضل واليقين» وأكثرهم لا يحسنون حتى قراءة ألقابهم . وطبيعيّ أن هؤلاء يقابلون السلطان بالمِثْل ، فهو صاحب العظمة والاجلال ، المنزه عن النظير والمثال مهبط الالهامات ، مصدر الكرامات ، سلطان السلاطين ، مالك رقاب العالمين . وأصبح التدريس والارشاد والوعظ والخطابة والامامة

1) **العلم اللدني** : العلم الرباني عن طريق الالهام .
2) **الرهبنة** : الزهد فى الدنيا .

وسائر الخدم الدينية سلعا تباع وتشترى ، وتوهب وتورث . وتسلط هؤلاء المتعممون على المجالس والادارات واتخذ الأمراء من ذلك وسيلة يعتذرون بها عند الدول الأجنبية بأن الرأي العام ــ وعلى رأسه المعممون لا يقبلون الاصلاح المدني .

أجاب **الكردي** بأن هذا الداء خاص ببعض الولايات : ولكن عَرَض الفتور عام فى الولايات الاسلامية التي فيها هذا الشأن وغيره ، فلابد أن يكون السبب شيئا أعم من ذلك . وعندي أن السبب هو أن المسلمين أصيبوا باقتصارهم على العلوم الدينية واهمالهم العلوم الدنيوية ، كالرياضة والطبيعة والكيمياء ، على حين أن هذه العلوم نَمَت فى الغرب وتَرَقّت وظهر لها ثمرات عظيمة فى جميع الشئون المادية والأدبية ، حتى صارت عندهم كالشمس ، لا حياة لهم إلا بنورها ، وأصبح المسلمون فى أشد الحاجة اليها فى جميع أمورهم : من تربية الطفل الى سياسة الدولة ، ومن عمل الابرة الى عمل المدافع والبوارج ، ومن استخدام اليد الى استخدام الأسلاك والبخار ــ فابتعاد المسلمين الى الآن عن هذه العلوم النافعة الحيوية ، جعلهم أحط من غيرهم من الأمم ، وكلما تمادت الأيام بَعُدت النسبة بينهم وبين جيرانهم .

أجاب **الاسكندري** : ان هذا يصلح سببا ، ولكن ليس كل السبب ، لأن فقد العلوم لا يصلح سببا لفَقْد الاحساس الشريف والأخلاق العالية ، وإنما السبب نومنا ويأسنا .

قال **التتري** : ان هذا شكاية حال لا شرح أسباب . إنما السبب عندي فِقْدَان القادة والزعماء ، فلا أمير حازم يسوق الأمة طوعا أو كرها الى الرشاد ، ولا زعيم مخلص تنقاد له الأمراء والناس ، ولا رأي عام يجمع الناس على غرض نبيل .

والافغاني يرى أن سبب الفتور الفقر ، وهو قائد كل شر ، ورائد كل فساد ، فمنه الجهل ، ومنه الانحطاط الخلقي ، ومنه تشتت الآراء حتى فى الدين ، فليس ينقصنا عن الأمم الحية الا القوة المالية ، ولكن المال لا يأتي الا بالعلوم والفنون العالية ، وهــذه لا تنتشر فى الأمة الا بالمال . وبهذا تحدث مشكلة الدَّوَر ، ويجب أن نبحث عن حلها .

• أجاب المسلم الأنجليزي : إن الفقر فى المملكة الاسلامية ليس طبيعيا ، فهي بلاد غنية ، لو نفذت تعاليم الاسلام فيها من تحصيل الزكاة والكَفَّارَات[3]. وما الى ذلك وصُرِفَت فى وجوهها لَخَفّت وَطْأَة الفقر وإنما سبب الفتور فى نظره فَقْد الاجتماعات والمفاوضات وتبادُل الآراء ، فنَسِيَ المسلمون حكمة تشريع الجمعة والجماعات والحج ، وصارت الخطب التي تُلْقَى تافهة لا قيمة لها ، وكان الغرض منها التحدث فى الأحوال الطارئة . وبلغ من سوء رأيهم أنهم عدوا التحدث فى الأمور العامة فضولا ، والكلام فيها فى المساجد لَغْوًا ، فلما انعدم الكلام فى المصالح العامة أصبح كل شخص لا يهتم الا بنفسه ، ولا اهتمام له بالصالح العام ولا بغير ذلك من الشئون ، حتى لو بلغهم خبر تخريب الكعبة ــ لا قدّر الله ــ ما زادوا على أن يُقَطِّبوا جَبِينهم لحظة وينتهي الأمر . والأمم الحية فى الوقت الحاضر تهيىء الفرص للاجتماعات ومبادلة الآراء ما أمكن ، بكثرة النوادي والمجتمعات ، وتنظيم الرِّحَلات والسياحات، وكثرة الخطب والمحاضرات حتى فى المتنزهات ، وعقد المؤتمرات للمناسبات، وتذكيرهم بتاريخهم وأهم أحداثهم ، وبثهم فى الأغاني والأناشيد ما يبعث على حب البلاد والحرية ويحمس للخير العام .

---

[3] **الكفارات** : ج . مفرده كَفّارة : وهي ما يستغفر به الآثم من صدقة وصوم ونحو ذلك .

ورأى **الصيني** أن السبب هو تَكَبُّرُ الأمراء وميلهم للعلماء المتملقين المنافقين ، الذين يتصاغرون لديهم ، ويتذللون لهم ، ويحرفون أحكام الدين ليوافقوهم على أهوائهم ، فماذا يُرْجَى من علماء دِين يشترون بدينهم دنياهم ، وَيُقَبِّلون يد الأمير لِتُقَبِّل العامّة أيديهم ، ويحقرون أنفسهم للعظماء ليتعاظموا على ألوف من الضعفاء ، فأفضل الجهاد عند الله الحط من قدر العلماء المنافقين عند العامة ، وتحويل وجهتهم لاحترام العلماء العاملين ، وعندنا فى الصين رجال حكماء نبلاء ، لهم نوع من السيادة حتى على العلماء ، وهؤلاء هم الذين يُسَمّوْن فى الاسلام **أهل الحل والعقد**[4] ، وهم خواصّ الطبقة العليا فى الأمة الذين أمر الله نبيه بمشاورتهم .

وتاريخ المسلمين يدل على ارتباط القوة والضعف بمنزلة أهل الحل والعقد فى الأمة . والخلاصة أن سبب الفتور استحكام الاستبداد فى الأمراء، وانعدام أهل الحل والعقد من الأمة » .

[عبد الرحمن الكواكبي]

---

(4) **أهل الحل والعقد** : أهل الشورى من العلماء وغيرهم .

31 الكفايات العربية فى الوطن العربي

النـــص :

مرحلة ما بعد الاستقلال هي أصعب مراحل الاتتقال ، والوطن العربي جزء من العالم الثالث الـذي واجه التخلـف والفقر والاستغلال بسبب الاستعمار فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وعلى الرغم من انحسار الاستعمار الغربي فى القرن العشرين ، فان مشكلات التخلف ما تزال التحدي الأساسي أمام المجتمع العربي . فهل ستتمكن الأمة العربية من التغلب على هذه المشكلات والانطلاق الى مرحلة البناء الجديد ؟

إن أهم مصادر قوة الوطن العربي الطاقة البشـرية ، فبالاضافة الى النفط والمال ، فان الطاقة البشرية أهم المصادر التي لم تستغل بعد فى مرحلة البناء الجديدة . ولقد أثبتت تجـارب بعض شعوب العالم الثالث وخاصة الصين وفييتنام وكمبوديا ، أن الطاقـة البشرية هي أساس مرحلة التحرر والتحول الجذري فى المجتمع .

ويضخم بعض الكتاب الغربيين والعرب دور التقنية الغربية فى حل مشكلات الوطن العربي ، ويعدها بعضهم العامل الأساسي لحل مشكلات التخلف ، ولكن القوة الاساسية فى الوطن العربي هي الطاقة البشرية ، وهي اليوم مبعثرة ، مقيـدة ومضطهدة ، ولو نظمت وعبئت لكـانت البديل للمساعدات الأمريكية والخبرة الغربية .

إن الارادة البشريـة هي التي توجه الآلة الغـربية لا العكس ، فان انعدمت الارادة العربية والتنظيم الجماهيري فلا يمكن الاستفادة من التقنية الغربية .

ومن هنا تأتي أهمية دور المثقفين والعلماء العرب ، فهم جزء أساسي من الطاقة البشرية ، بل أهم مقوماتها ، وهم يمثلون الفئة المدربة والخبيرة التي ستتحمل عبئا رئيسيا فى عملية البناء الجديد .

ان العالم الثالث والعالم العربي فى أَمَسّ الحاجة الى مثقفيه وعلمائه ولقد صرفت الاقطار العربية ملايين الدولارات على بعثاتها العلمية،لذلك تُعَدّ هجرة الكفايات العربية خسارة مزدوجة ، فهي ضياع لاستثمارات هامة ، كما أنها خسارة لطاقات مطلوبة فى المجتمع النامي .

لا شك أن (الكفايات العربية) مهملة فى الوطن العربي ، ولكن الكتاب يطلقون تعبير «الكفايات العربية» على العلماء العرب فى الخارج ، بينما يجب أن يشمل هذا التعبير العلماء والكفايات خارج الوطن العربي وداخله .

إن الكفايات العربية داخل الوطن العربي طاقات هامة أيضا ، ولعل إهمال هذه الطاقات والكفايات فى الداخل هو أحد الاسباب الرئيسية لهجرتها . والانسان العربي هو الطاقة الأساسية فى المجتمع واهمال هذا الانسان هو أحد الأسباب الرئيسية لعدم تمكن الوطن العربي من مواجهة مشكلاته الحاضرة ، فالفلاح والعامل العربي هما جزء من الطاقات العربية المهملة ، ولا يمكن للمثقف أو العالم ان يؤدي دورا فعالا فى مجتمع يضطهد فيه الفلاح والعامل .

كما أن المرأة العربية التي تمثل نصف الطاقة البشرية فى الوطن العربي، ما تزال محرومة من المشاركة فى عملية البناء الجديد . وفى بعض الأقطار العربية تمنع المرأة من العمل .

فالمسألة اذا ليست كيفية استعادة الكفايات العربية من الخارج فقط ، وإنما هي كيفية توفير الظروف الملائمة للاستفادة من الطاقات والكفايات البشرية فى الداخل ، وما يتبع ذلك من القضاء على أسباب هجرة الكفايات العربية الى الخارج .

وقد ركزت بعض الدراسات على العـوامل الخارجية التي تؤثر فى هجرة هذه الكفـايات ، ولكن العوامل الداخلية أهم كثيرا من العـوامل الخارجية ، ولو استطاع الوطن العربي حل بعض مشكلاته الداخلية وتوفير الجو السيـاسي والاقتصادي والاجتمـاعي المناسب ، لما هاجـرت هذه الكفايات مهما كان اغراء العوامل الخارجية .

فما العوامل الداخلية التي تعوق الاستفادة من الطاقات البشرية فى العالم العربي ؟

العوامل السياسية (والبيروقراطية) :

إن الوضع السياسي هو الاطار الأساسي لعملية الاستفادة من الطاقات البشرية ، ففي المراحـل التي تزدهر فيها الديمقراطية والحرية والاستقرار السياسي ، يزدهر فيها أيضا العقل البشري ، ويشارك فى عملية بناء مجتمعه ..

ويواجه المثقفون العرب أجهزة مكتبيـة (بيروقراطية) خلفتها عصور الحكم العثماني والاستعمار الغربي. تقف هذه المكتبية الحكومية ـ بقوانينها وأحكامها ومؤسساتها ـ عائقا رئيسيا فى وجه التغيير الجذري المطلوب فى المجتمع العربي ، ويجـد العالم والمثقف العـربي نفسه مقيدا لـدى هذه المؤسسات الحكومية ، ويفقد القدرة على الانتاج والابداع فى مجاله العلمي والثقافي .

لذلك يحتاج الوطن العربي الى تغيير جذري يقتلع هذه المؤسسـات القديمة ، ويعيد بناء المؤسسات الحكومية بشكل يتلاءم مع متطلبات المجتمع الجديد ، ويفتح المجال أمام العقل والفكر العربي للقيام بدوره المطلوب . كما أنه لابد من إنشاء مؤسسات علمية وثقافية جديدة بعيدة عن المكتبية الحكومية ، لتكون مراكز بعث للنهضة العربية الجديدة .

العوامل الثقافية والاجتماعية :

يواجه الوطن العربي ، بسبب مروره بمرحلة تطور انتقالية مشكلات وأزمات ثقافية واجتماعية عديدة تؤثر تأثيرا مباشرا فى المثقفين العرب ، وفى دورهم فى المجتمع العربي .

إن أشد هذه الازمات ما يواجهه المثقف والعالم الذي قضى فترة فى المجتمع الغربي ، واستمد ثقافته وعمله من هذا المجتمع .. فهو يواجه لدى عودته الى الوطن العربي مجتمعا له تقاليده وعاداته التي تصطدم بالتربية والتنشئة الغربية للمثقف . وتزداد حدة هذه الأزمة بسبب الصراع الدائر فى الوطن العربي حول هذه القضيــة خصوصا فى مرحلة الانتقال التي لم تتضح فيها معالم (الهوية) [1] العربية المعاصرة ، أو الانتماء [2] العربي .

وأزمة الهوية مرتبطة بأزمة أساسية أخرى هي أزمة الفكر العربي .. تؤثر هذه الأزمة على العالم العربي ، فلابد أن يوضح موقفه من التيارات الفكرية المطروحة ولكنه فى الوقت نفسه يــرغب فى التفرغ لعمله العلمي الموضوعي ، لذلك يقف العقل العربي مشتتا بسبب هذه الأزمة الفكرية ..

إن إعادة بناء المعاهد التربوية العربية ، وإعطاءها الأولوية فى خطة التنمية، جزء أساسي من عملية حل مسألة الهوية، ولابد أن تلتزم المؤسسات التعليمية بالبرنامج المرتبط بعملية التغيير والبناء الجديد فى المجتمع العربي . إن ربط المدارس والجامعات العربية بمشكلات المجتمع العربي يساعد على توجيه الفكر والعقل العربي نحو الاهتمام بحل مشكلات المجتمع الجديدة ، عن طريق البحث العلمي والموضوعي .

---

(1) **الهوية** : مميزات الشخصية .
(2) **الانتماء** : الانتساب .

ويواجه المثقفون العرب مشكلات ذاتية عديدة تؤثر فى مشاركتهم فى العمل بالوطن العربي ، فمن واقع ثقافته الغربية المادية يتطلع المثقف الى التقدم السريع فى المجتمع ، فالشهادة بالنسبة اليه هي وسيلة للوصول الى المناصب العالية ، لذلك يلجأ بعض المثقفين الى التقرب من السلطة والتخلي عن المبادىء والقيم العلمية ، فى سبيل الوصول الى المناصب الكبيرة ..

العوامل الاقتصادية :

يعتقد بعض الكتاب العرب أن توفير المكافآت المالية المغرية يساعد على عودة الكفايات (3) العربية واستقرارها فى الوطن العربي . ان توفير الموارد المالية هام ولكنه ليس فى أهمية العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية . ان المشكلات المالية ثانوية بالقياس الى العوامل الأخرى التي سبق بحثها ، والمثقف الملتزم مستعد للتضحية المالية اذا توافرت الظروف الأخرى المذكورة .

والخلاصة أن العقل البشري وطاقة الانسان العربي هما الباعثان الأساسيان للنهضة العربية ، فلا يمكن بعث حضارة ونهضة جديدة بدون تحرير الانسان العربي ، وتمكينه من المشاركة الفعالة فى بناء مجتمعه الجديد ، ولا يمكن تحرير العقل العربي الا عن طريق تحرير الانسان العربي ، لأن العقل هو جزء من الانسان .

[الدكتور حاتم الحسيني]
«مجلة الشورى ـ ماي 1977»

---

(3) **الكفايات** : القدرات .

32

فلسطينية كانت .. ولم تزل [*]

النــص :

كلامكِ كان أغنية
وكنتُ أحاول الانشاد
ولكن الشّقاء أحاط بالشّفَة الربيعيه .
كلامك ، كالبنونو ، طار من بيتي
فهاجر باب منزلنا [1] ، وعتبتنا الخريفيه
وراءكِ .. حيث شاء الشّوْقُ ..
وانكسرت مَرَايَانَا [2]
فصار الحزن ألفين
ولَمْلَمْنَا شظايا الصّوْت ..
لم تُتْقِن سوى مَرْثِيَّةِ الوطن !
سنزرعها معًا فى صدر قيثار
وفوق سطوح نَكْبَتِنَا ، سَنَعْزِفُهَا
لأقمار مُشَوَّهَة ، وأحجار
ولكني نَسِيتُ .. نسيت يا مجهولةَ الصوت
رحيلُك أَصْدَأَ القيثارَ .. أَمْ صَمْتِي ؟
رأيتكِ أمْسِ فى الميناء [3]

(*) **محمود درويش** : شاعر فلسطيني معاصر .

1) **هاجر باب منزلنا** : اي آل منزله

2) **انكسرت مرايانا** : فقدنا حياة الامن والطمأنينة

3) **الميناء** : رمز الغربة .

مسافرةً ، بلا أهلٍ . . بِلاَ زَادِ
رَكَضْتُ اليكِ كالأيتام . .
أسأل حكمة الأجداد . . :
« لماذا تُسْحَبُ البَيَّارَة الخضراء » (4)
الى سجن ، الى مَنْفى ، الى ميناء ؟
وتبقَى ، رغم رحلتها
ورغم روائح الأملاح والأشواق (5)
تبقى دائما خضراء ؟
وأكتب في مفكرتي :
أحب البرتقال ، وأكره الميناء
وأُرْدِفُ في مفكرتي . .
وقفتُ . . وكانت الدنيا عيونَ شتاء (6)
وقِشْرُ البرتقال لنا . . وخَلْفِي كانت الصحراء ! (7)
رأيتكِ في جبال الشَوْكْ (8)
راعيةً بلا أغنام (9)
مطارَدةً ، وفي الأطلال . .
وكنتِ صديقتي ، وأنا غريب الدار
أَدُقّ الباب يا قلبي
على قلبي . .
يقوم البابُ والشّبّاك ، والأسمنت والأحجار !

---

4) اشارة الى اغتصاب الارض .
5) **الاملاح** : رمز العذاب والآلام
6) **عيون شتاء** : عيون باكية .
7) **قشر البرتقال لنا** : اشارة الى نهب الصهيونيين للارض .
8) يقصد الاهوال التي تقاسي منها
9) **راعية بلا اغنام** : اي ارض بلا اهل

رأيتكِ فى خوابي الماء والقمح [10]
محطمة . . رأيتكِ فى مقاهي الليل خادمةً [11]
رأيتك فى شعاع الدمع والجُرح . . [12]
وأنتِ الرئة الأخرى بصدري . . [13]
أَنْتِ أنتِ الصَّوْتُ فى شَفَتِي
وأنت الماء ، أنت النار ! [14]
رأيتك عند باب الكَهْفِ . . عند الغار
مُعَلَّقَةً على حَبْلِ الغسيل ثيابَ أيتامك
رأيتك فى المواقِد . . فى الشوارع . .
فى الزرائب [15] . . فى دم الشمس
رأيتك فى أغاني اليُتْمِ والبؤس !
رأيتك مِلْءَ ملح البحر والرمل
وكنتِ جميلة كالأرض . . كالأطفال . . كالفُلّ !
وأُقْسِم :
من رموش العين ، سوف أَخِيط مِنْدِيلا [16]
وَأَنْقُشُ فوقه شِعْرًا لعينيك ،
واسما حين أسقيه فؤادًا ذابَ ترتيلا . .
سأكتب جملة أَغْلَى من الشهداء والقُبَلِ :
« فلسطينية كانت . . ولم تزل » !

---

10) يقصد الآثار الباقية من أرضه .

11) اشارة الى حياة البؤس والتشرد والحرمان

12) شعاع الدمع : الامل الذي يلمع من وراء الدمع .

13 ، 14) اي لا حياة له الا بأرضه التي هي بمثابة الرئة والماء

15) يرمز الى حياة البؤس والشقاء .

16) اشارة الى تعلقه بأرضه وحبه لها

اسئـلة حول المحور

1 ــ نجحت الثورة الجزائرية فى صراعها مع الاستعمار الفرنسي .
ما أثر ذلك على الحركات التحرريـة فى العالم الثالث ؟ وكيف يمكن للثورة الفلسطينية أن تحقق أهدافها فتحرر الأرض المحتلة ؟

2 ــ إننا فى عصر التكتلات : سياسيا واقتصاديا وعسكريا .
فما على العرب والمسلمين أن يفعلوا ليكون لهم مكانهم فى الوجود ؟



« ح »

نوابغ وشخصيات

ان تـاريخ الامة الاسـلامية ، حافل بالامجاد التي حققها عظماء الرجال ، في مختلف المجـالات : العلميـة ، والادبية ، والدينية ، والحربية ، وفيمايلي نماذج لشخصيات يجد فيها شبابنا القـدوة والمثـل .

34	قــوة رجــل

تمهيــــــد :

هذه فقرة أولى من فصل كامل عن « الأمير عبد القادر » من كتاب « الفرنسيون فى الجزائر » للكاتب « لوي فويو » الذي زار الجزائر والحرب الجزائرية الفرنسية على أشدها سنة 1841 م ، وقد أشار اليه الأمير محمد ، فى كتاب « تحفة الزائر » وتولت طبع الكتاب « مكتبة الشبيبة المسيحية » بموافقة اسقف مدينة « تور » بفرنسا . وقد قال مؤلف الكتاب عن هدفه من تاليفه : « ان تثقيف الناس قليلا والتوجه بالدعاء والصلاة الى الله أحيانا هو الهدف الوحيد الذي ارسمه لنفسي كلما امسكت القلم بين اصابعي ووضعت ورقة بيضاء امامي » وليس فى نيتي أن أنقل هنا هذا الفصل برمته ، رغم اهميته وامتاعه . لان الكتاب كله يستحق ان ينقل الى العربية لمايلقيه من الأضواء على فترة خصبة من التاريخ دقت فيها يد «المدنية» الأوربية على باب المغرب العربي وافريقيا بيد حمراء . وهذه بعض فقرات من الفصل المذكور .

النــــص :

« ان فرنسا هي التي خلقت هذا الرجل الذي وجدت فيه العدو الشريف . وهذا صحيح لأنكل عــدو عندما يغزو بلادا أجنبية يجدها قد تجمعت فى رجل ووقفت على رجليــها تدفع العدو عن الأرض التي يجتاحها ومع ذلك فان العدو الغازي لا يخلق الرجال. بهذه الصورة الا عندما يكونون هم جديرين بطبعهم أن يكونوا رجالا وأن يكونوا عظماء .

والحق أن نصيب فرنسا فى عظمة الأمير عبد القادر نصيب ضئيل لا يكاد يذكر ! انه نال عظمته ليس فقط بوقوفه فى وجه فرنسا وصدها عن غزو بلاده ، بل لقد اكتسب عظمته من شجاعته ومهارته معا . نالها بتلك المهارة التي جمع بها حوله القبائل المتنافرة . ليجابه بها دولة كبرى وهو ما يزال فى الثالثة والعشرين من عمره ' بل كان هو فى تلك السن قد فرض نفسه بأنه هو الممثل الوحيد للأمة العربيه فى الجزائر . ولم نستطع نحن الا أن نعترف به كذلك .

لقد عرف كيف يحول الخصومات الداخلية بين القبائل والعروش الى حرب ضارية ضد المسيحيين ! والواقع أن المهارة وحدها لم تكن لتكفي فى هذا المجال وإنما أضيفت الى خصـــال أخرى هي ثقافته وطهره ، وبلاغته وسحر بيانه ، وفروسيته التي بلغت حـــد الكمال ، والشجاعة التي كانت أقرب الى الجسارة .

بدأ حياته كقائد لشعب بداية بسيطة متواضعة . ولكنه ظل دائما بسيطا متواضعا فى حياته ! بدأها بأن بايعته بعض القبائل ، ثم توجه الى معسكر فطلب من أهلها محلا فقط يستقبل فيه الوفود . وبعد بضعة أيام أشعرهم بأنه من المناسب أن يكون هذا المحل مؤثثا بأثاث بسيط . فكان له ذلك ! ثم أخذ يهتم بالمشايخ ورجال الـــدين فيفاوضهم فى حالة البلاد ، فكانوا يصغون اليه وهم مأخوذون بصدق لهجته . ثم أخذوا يأتون جموعا الى بيته ، وعندما يدخلون عليه يجدونه جالسا على سجادة بسيطة والمسبحة فى يده فلا تبدو عليه أي علامة من علامات التعاظم ، أو القيادة والحكم ، أو البذخ والمال. ويجلسون اليه فيحدثهم طويلا عن ضرورة توحيد الصفوف للجهاد ، مستشهدا فى كل مناسبة بالآيات القرآنية .

ثم يتطرق بعد ذلك الى وضعيته هو شخصيا ، فيصارحهم بأنه بويع للامارة لأن مواطنيه أقنعوه بأنه أخلص رجل للدفـــاع عن الدين ، وأنه شخصيا لا يبغي شيئا لنفسه . كان يحرص بالخصوص على تذكيرهم بأنه لا يفهم السلطة كما يفهمها الحكام الأتراك فى البلاد ، وبأنه لم يقبل بهذه الامارة الا للقيام بواجب الجهاد ، وأنه سيخرج منها فور ما تسترجع البلاد حريتها . فكان رجال الدين يخرجون من عنده وهم مقتنعون بحماس أن هذا الأمير الشاب هو الذي سيحكم بالكتاب والسنة حقا .

ولكنه اذا كان يستولي على رجـــال الدين بهذه الصورة فانه كان يسيطر على الرجال الشجعان بشجاعته . كما يسيطر على أصحاب المطامح

والأهواء بذكائه ورقة حاشيته ، وعلى المثقفين بعلمه وسعة اطلاعه ، وعلى بقية الشعب بطهارة أخلاقه التي لا يستطيع أحد أن يلوثها حتى بالدعاية المغرضة .

يضاف الى هذه الخصال كلها أنه كان شابا جميل الطلعة تزيده الفروسية فتوة وهيبة ، وهذه الخصال فى الرجل جعلت الطبقات الشعبية البسيطة تتناقل بشأنه قصص المعجزات . والمعجزات عند العرب كثيرا ما تختلط بالتاريخ أما الأذكياء من الناس الذين اتصلت بهم واستقيت منهم أخباره وصفاته بدقة فيتفقون كلهم فى هذه الملاحظة وهي :

أن الأمير عبد القادر رجل تستطيع بسهولة أن تفهم منه ما يقول . ولكنك لا تستطيع أبدا أن تدرك ماذا يفكر .

وكل من الطبقات الشعبية ، ورجال الدين ، والمثقفين ورجال العرب كانوا يتحدثون فى البوادي والمدن عن أميرهم بهذه الكلمات : الله أكبر الله أكبر !

أيها العرب ، اعلموا أن الحاج عبد القادر بن سيدي محيى الدين هو إمامنا فى الجهاد ضد أعدائنا النصارى . إنه لن يفعل مثل الأتراك . انه لن يستخلص الضرائب لنفسه ، هو أخوكم ، عربي مثلكم ! إنه منكم واليكم . الله أكبر الله أكبر» . والمستمعون يردون عليهم بهذه الكلمة : «الحمد لله يا رب» انهم يشعرون بالفخر والاعتزاز عندما يعلمون أن العرب أصبح يحكمهم رجل عربي بواسطة مبايعة قام بها العرب أنفسهم . إن شيئا من ذلك لم يقع منذ أن قدم الأتراك .

كل هذه العوامل يدرك الأمير عبد القادر أهميتها بالنسبة للمعركة . فلا يترك فرصة تمر دون أن يثيرها فى المساجد والاجتماعات ويجعل منها مذهبا عقائديا ودستورا لسياسته ولكنه يفعل ذلك بمهارة تثير حماس

الجماهير . يستشهد بمهارة أيضا بالآيات القـرآنية الداعية الى الجهاد ؛ ويكتب بنفس اللهجة الى القبائل البعيدة، ويذهب بنفسه لزيارتهم، وأثناء كل ذلك لا ينقطع عن مطالعة الكتب. الكتاب هو رفيقه الدائم. واذا تخلى عنه أحيانا فالى المسبحة مع الدقة المدهشة فى المحافظة على أوقات الصلاة . وهكذا استطاع أن يستولي على شعبه . إنهم يَفِدُونَ عليه من جميع أنحاء البلاد لمبايعته وهم محتارون بين شخصيته الدينية كولي صالح وشخصيته السياسية كملك أو سلطان . لقد كوّن الشعور الوطني عند الجماهير دون أن يجرح شعورهم باستقلال شخصيتهم وميلهم الى الفردية ، فيتحدث الى الفلاحين الفقراء من الشعب ويقربهم اليه ويتقرب منهم ويقول لهم : «إنني أنا أشدكم فقرا».

والحق أنه كان كذلك . كأنه رجل يعيش دون احتياج الى شيء . لأن حياته فى منتهى البساطة . بل أي حياة عنده لنفسه ؟ إن لباسه هو لباس الفقراء . فلم يشاهَد يوما لابسا برنسا مُطَرَّزًا . بل رأى أحد أقاربه لابسا هذا النوع من البرانيس فأصدر ضده عقوبة لأنه يعتبر أن الذهب ينبغي أن ينفق فى الحرب لا فى التزين. ولا يملك شيئا جميلا ما عدا فرسه وسلاحه.

وعندما يفصل فى الخصومات بين النـاس يُظْهِر من الحكمة والطهر والضمير الحي ما يُقنِع كُلَّ المتخاصمين بأحكامه فلا يخرجون من عنده الا وهم يردّدون «أن هذا الرجل مبعوث من الله».

وهو يحرص على أن يطيعه الأقوياء قبل الضعفاء . فأنت لا تجد قويا يجرؤ على عصيانـه وان وجد من بين هؤلاء الأقوياء الأغنيـاء من يشعر بالمهانة من جراء ذلك فيحاولون أن يتألبوا أو يتآمروا . ويعلم هو ذلك فلا يتردد فى قطع الرؤوس الكبيرة ، فيعلم الآخرون أن ليس هناك مائة سلطان فى البلاد ، بل يوجد واحد فقط يقوم بالحرب ضد المسيحيين ، وبالسلم بين الجزائريين . والقوة التي أصبحت عنده اليوم حقيقية لا ننسى أن صاحبها بذل عاما كاملا فى إعدادها وصيانتها والعناية بها آناء الليل وأطراف النهار .

ان الجنرال دي ميشال عسكري شجاع . ولكنه ديبلوماسي رديء . قواتنا في وهران لا تستطيع مغادرتها . فلا نجد مناصا من الاتصال بالعدو . ولكن عبد القادر يعرف وضعيتنا . نطلب منه التصالح فلا يظهر أي استعجال في إجابتنا . ثم عندما يجيب لا يجد الجنرال دي ميشال في جوابه ما يرضيه ، بل يجد ما يَسْحَره . والواقع أننا ما زلنا نجهل خصال الديبلوماسية العربية . ولقد قيل إن العرب يولَدون فُرْسَانًا ، وكان يجب أن يضاف ويولَدون ديبلوماسيين أيضا . أضف الى ذلك أن اليهود الذين يحيطون بالجنرال يهولون له قوة الأمير الجزائري ويزعمون أنها لا تقل عن سبعةَ عشرَ ألف رجل . والأمير عبد القادر يُحْسِن إيفاد الرجل : يرسل الينا العرب المهذبين الديبلوماسيين المتفتحين ليفاوضونا ، ويرسل المتعصبين المتشددين الى الجزائريين الذين هم في منطقتنا ليثيروهم ضد سلطتنا . وعندما يعودون اليه يسألهم عن كل الدقائق والتفاصيل . وتأتيه الوفود من المغرب الأقصى فيرجعون من عنده متحمسين لأفكاره مأخوذين بكرم طباعه وشجاعته وطهر أخلاقه .

والحق أنه رجل تنطبق طباعه وتصرفاته على معتقداته . لا بل أعتقد أن أخلاقه وتصرفاته أروع من معتقداته . فهو وَفِيٌّ في حياته الزوجية ، وفي حياته الدينية، وفيّ حتى لأعدائه . فاذا توصلنا الى القضاء على هذا الرجل، فان جيشنا يكون قد أحرز على مجد حقيقي ، ولكن الاسلام يكون قد أصيب في الصميم ».

[د. عبد الله شريط]
«معركة المفاهيم»

مـع النـص

1 ـ ما الظروف التي ابرزت عظمة الأمير عبد القـادر في رأي الـكاتب ؟
2 ـ كيف بدأ حياته قائدا وزعيما ؟ وما الصفات التي رشحته للسلطـة والامارة ؟ وكيف كان مفهومه لهما ؟
3 ـ مـا الاسلوب الـذي اتبعه في الاعداد للمعركة ، وفي تـكوين الشعور الوطني للجمـاهير ؟
4 ـ كيف كان تعـامله مع الضعفـاء والاقوياء من الناس ؟
5 ـ كيف كان منهـاجه السيـاسي مع الاعـداء ؟
6 ـ لخص جوانبالعظمة في شخصية الأمير عبد القادر على ضوء ما قرات

تقـويم النـص

أ ـ الأفـكار :

1 ـ مـا العوامل التي تـسهم في تكوين عظمة الرجل ؟ وما رأيك فيما ذهب اليه الكـاتب في هذا الشأن ؟

2 ـ اتكفي المهارة وحدها في قيادة الأمة ، ام ثمة عناصر ومقومات اساسية اخرى تضاف اليها في نظرك ؟ وما هي ؟

3 ـ تتجلى عظمة الامير عبد القادر في عدة جوانب استطاع ان يوفق بينها جميعا ، الام ترد ذلك ؟ وما تعليله في نظرك ؟

4 ـ يقول الكاتب في نهاية الفصل : « فاذا توصلنا الى القضاء على هـذا الرجل فان جيشنا يكون قد احرز على مجد حقيقي ، ولكن الاسلام يكون قد اصيب في الصميم » . ما رايك في هذا القول على ضوء ما جرت به الأحداث بعد ذلك ؟

ب ـ الأسـلوب :

1 ـ هل استطاع الكاتب ، في اسلوبه ، أن يوفق بين ترجمة النص ، والغاية السـياسية التي يهدف اليها ؟ وضح ذلك ؟

2 ـ دعـا الأمير الى الجهاد في سبـيل الله . اذكر شيـئا من محفوظك في الجهـاد ، مبـتدئا بآيات من الذكر الحكيم .

استثمار النص

ا ـ سجل في كراسك الخاص :

- «ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا انفسكم ، أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم » (قرآن كريم)
- ان كل عدوّ عندما يغزو بلادا أجنبية يجدها قد تجمّعت في رجل ووقفت على رجليها تدفع العدو عن الارض التي يجتاحها .

ب ـ لاحظ :

كلمة (**يَفْصِل**) الواردة في النص ، وما لها من أوجه استعمال متعددة :
فَصَل الشيء : قطعه وابانه . و **فصَل بينهما** : حجَزَ . و **الولدَ عن الرّضاع** : فطمَه . و **الرجل عن البلَد** : خرج منه . و **فصّل الكلام** : بيّنه . و **منه الفيصل** : الحاكم والقاضي . و **الفاصِلَة** : العلامة التي تفصل بين جملتين . و **الفصل** ج **مفاصل** : كل ملتقى عظمين من الجسد .

ج ـ طبق :

1 ـ بين ما لكلمة (يُنْفِق) الواردة في النص ، من معان ووجوه استعمال في جمل من عندك .

2 ـ انسج على منوال العبارة الآتية :

- إنك تستطيع بسهولة ان تفهم منه ما يقول ، ولكنك لا تستطيع ابدا ان تدرك فيما يفكر .

3 ـ حرر :

من خطبة للامام علي في الجهاد : « **أما بعد : فان الجهاد باب من ابواب الجنة ، فمن تركه البسه الله ثوب الذل واشمله البلاء ، والزمه الصّغار وسامه الخَسف** » .

اكتب في هذا القول مبينا قيمة الجهاد ودلالته على أصالة الأمة ، واثره في الحفاظ على وجودها وبقائها .

35

مسلمة بن عبد الملك (*)

النـــــص :

ذات مساء والخليفــة «هشام بن عبد الملك» عاشر أمــراء بني أمية جالس فى داره ، واذا ببريد الثغور يُورِدُ الى الخليفة نبأ أثار فيه الجزع والغضب والغَيْرة على مقام الاسلام والمسلمين .

لقد اقتحمت جيوش «الترك والديلم» حصونَ المسلمين فى «أرمينية» و «اذربيجان» وأزاحوهم عنها ، وحاصروا الامير «الجراح بن عبد الملك الحكمي» الذي لم يَقْوَ على صَدِّهم ، ودَحْــرِهم ، فانْزَوَى فى داخل قلعة صغيرة مترامية ريثما يأتيه المدد . .

يومئذ . . ذكر «هشام» أخاه «مَسْلَمة» القابع فى عُقْر داره بأطراف دمشق يَجْتَرّ أحزانه ، ويسترجع أيامه المجيدة محارِبا فى سبيل الله ، من أجل دِينه وعروبته ومجاهدا فى الذّوْد عن قوميته . .

. . دخل الخادم على «مسلمة» مهرولا ينبئه بقدوم الخليفة من قصر الخلافة لزيارة سيده . .

وهبّ مسلمة من جلسته وخرج مسرعا الى ساحة الدار يستقبل أمير المؤمنين أكرم استقبال . . ونسي مسلمة ساعتئذ ما كان بينه وبين أخيه ، وبادره فاتحا ذراعيه فى عناق حار وهو يقول :

ــ مرحبا بأخي أمير المؤمنين متفضلا بالزيارة .

ــ قال هشام مترددا :

(*) عن مجلة «منار الاسلام» عدد 9 رمضان المعظم 1396 هـ الموافق شهر سبتمبر 1976 (دولة الامارات العربية المتحدة).

ـ إنني والله أدّخرك ذخرا للملمات ولدفع الشدائد عن الاسلام والمسلمين .
ـ قال مسلمة والدموع تطفر من عينيه :
ـ إنني وما أملك من جهد ومال وقوة فداء لله ولدينه ولخليفة المسلمين .
ـ قال هشام وقد غلبه التأثر :

ـ حفظ الله أخي ، وجعله درعا لدينه وعروبته . إنها والله محنة لن يقدر على دفعها سواك . غدا يا مسلمة تسير على بركة الله الى «أرمينية» لنجدة جيوش المسلمين هناك ، وإغاثة أميرها «الجراح» الذي دهمته جيوش الترك وحاصرته في القلعة الصغيرة ، والله أسأل أن يأتينا نبأ دَحْرِهم على يديك .

انصرف «هشام» من دار أخيه ، وعاد الى قصر الخلافة بعد أن سكن جأشه ، وهدأ خاطره . لكن مسلمة بات ساهر الطـرف في تلك الليلة نهبا لخواطر مزعجة أرّقت نومه وأقضّت مضجعه . .

حدثته النفس قائلة : ها هو ذا أخوه خليفة المسلمين وأمير المؤمنين يسعى اليه ويناشده مروءته وصلابة عزمه بعد أن كان بالأمس القريب موضع لومه ومؤاخذته بسبب كيد الوشاة حتى ألزمه داره شهورا طويلة لا يبرحها إلا بإذن الخليفة بعد أن أقام عليه الحراس والعيون والأرصاد . .

ترى هلْ يَغمِد «مسلمة» وقد واتتـه الفرصة ، فيثأر لكرامته التي جُرِحَت ، ويترك أخاه مخذولا ليواجه الموقف وحده ؟

هل يغادر دمشق قبل انبلاج الصباح الى حيث لا يعلم أحد ، لتدور الدائرة على أخيه فيعرف قيمة الرجال ويقدرهم حق قدرهم .

وسوس الشيطان لمسلمة في تلك الليلة وزَيّن له الخروج من عاصمة الخلافة متسترا بغلائل الليل الى أرض الحجاز ليقيم فيها خَلِيّ القلب من كل ما يزعج عيشه أو يؤرّق حياته ، وهشام لن يعدم العثور على قائد سواه لهذه الحملة . .

وطوح مسلمة بناظريه الى خارج نافذته ، فأبصر ظلمة الليل تجلوها خيوط الفجر الزاحف فأحس بِرِغْدَة تسري فى عروقه، ونسي ساعتها وساوس الشيطان التي اصطخب بها قلبه طيلة ساعات الليل، ورأى بعين خياله جيوش المسلمين هناك وقد أحاطت بها جيوش الترك والديلم وأحدقت بهم لتكسر شوكتهم وتأسر منهم الرجال ، وتَسْبِي النساء والاطفال .

وساعتئذ أحس «مسلمة» بدماء حارة تلهب عروقه ، فلم يلبث العرق الغزير أن سال على جبهته العـريضة ، وتهيأ له أن هذا العرق إن هو إلا وخزات الحرب المصوبة الى صدور المسلمين .

وهَرْوَلَ مسلمة الى قصر الخلافة وطرق الباب طرقات شديدة بعصا غليظة فهب رئيس الحرس يستطلع الأمر بنفسه، ومن خلال الفرجة الصغيرة، أبصر بالأمير «مسلمة» يتعجل فتح الباب فأمر الحراس بفتح مصاريعه على الفور .

ومضت لحظات . . ثم جاء الخليفة من داخل القصر مسرعا ليستقبل أخاه ولما رآه ، احتواه فى أحضانه ، وأخذ يقبل وجنتيه ويهش فى وجهه ، ولما انجابت عنه روعة اللقاء المبكر قال مبهورا :

ـ كل شيء قد أُعِدّ لمسيرتك وقتما تحب . تحت إمرتك اليوم عشرة آلاف مقاتل من أشداء العرب فى كامل عدتهم وآلاتهم ومئونتهم ، على أن يلحق بك بعد مسيرتك عشرون ألفا آخرون والله ناصرك . .

لم يكن «مسلمة بن عبد الملك» من طراز عادي يتلقى الأمر بالمسير والقتال انصياعا لرغبة خليفة المسلمين المتربع فوق عرشه هناك فى دمشق ، إنما كان «مسلمة» محاربا من طراز آخر فريد . كان انسانا عربيا يحمل بين جنبيه روحا شحنت بأجَلّ فضائل الاسلام ، عزوفا عن بهرج الدنيا وزخرفها، قانعا من حياته بكسرة خبز وشربة ماء ، لا يرتكب معصية نهى الله عنها ، مع

ما تيسر له ليحوز ما فى الدنيا من نعيم وترف وأبهة . ولطالما سنحت له فرصة الملك والخلافة بعد موت أبيه «عبد الملك بن مروان» وكانت الطريق معبدة سالكة الدروب حاشدة بالانصـار والمحبين ومَن يملكون القدرة العسكرية التي تحقق وصوله الى مركز الخلافة ، لكن «مسلمة» كان يملك روحا زاهدة فى كل شيء الا إرضاء خالقه فيما يُسِرّ أو يعلن ، وكان ينهر كل من يحدثه فى شئون الملك وأمور الخلافة .

نعم . . كان «مسلمة» يملك قلبا أبيا ونفسا ذات كبرياء ؛ ترفض الاغتصاب والعنف ، وطبيعة جُبِلَت على القناعة ببساطة العيش وأَخْذ الحياة بأيسر الوسائل . على أنه اذا جد الجد ، ونودي عليه للـدفاع عن دينه ، والذود عن صرح الاسلام الشامخ ، وبنيانه الراسخ ، هب كالليث الغضوب، ملتهب الحس والشعور . .

بدأ جيش المسلمين مسيرته ذات صباح باكر من أرباض دمشق ، قاصدا الى ولاية «أرمينيـة» وكانت روح القائد الكبير تحـرك فى عروق جنده نبضات النصر والعزة والفخار . . وسبقت جيشَ مسلمة ، عيونُه وأرصاده تتحسس مواقع العدو ، وتتلمس مكامن الضعف فى صفوفهم ، لينفذ منها جيش المسلمين حتى يتحقق الهدف الكبير . .

وعلمت جيوش الترك والروم بزحـف مسلمة ، فأحكموا خططهم ، وأقاموا سدودا وتحصينات بالغة المنعة ، حتى بات عسيرا على المهاجمين أن يجدوا ثغرة أو يتقدموا الى الأمام خطوة . . أمر مسلمة أن يتوقف الزحف أمام حصن كبير للأعداء بعد أن أطبقت ظلمة الغروب على الكون ، وأفضَى الى قواده أن ينال الرجال حظا من الراحة حتى مطلع الفجر . .

وانعقد مجلس الحرب داخل الخيمة الكبيرة فى تلك الليلة وتداول «مسلمة» مع قواده خطة الهجوم ، وانتهى الرأي بأن يتقدم محارب فدائي ليحدث نقبا فى جدار الحصن الكبير .

صوّب «مسلمة» أنظاره الى الجـالسين معه ، فأشاروا على أسماء خمسة رجال يختار القائد الأعلى أحدهم ، بيد أن مسلمة لم يرض بأن يكون صاحب الرأي ، وأشار باجراء قرعة تحدد اسم من ينقب الجدار . .

وأمر «مسلمة» باستدعاء مَن وقعت عليه القرعة ، فغاب رئيس الحرس لحظة عاد بعدها ليعلن أن الرجل يعـاني من وطء حمى عاجلته منذ يومين والطبيب يقف على رأسه ويقوم بعلاجه . .

وقبل أن تجرى القرعة بين الأربعة الآخرين ، اقتحم المجلس جندي يلهث ، وطلب أن يتحدث الى مسلمة على الفور، قال الرجل اللاهث : إنه شاهد أحد زملاء فرقته ينقب جدار الأعداء حتى أحدث فيه ثغرة كبيرة ، ولما اقترب منه نهره وطلب اليه الابتعاد حتى لا يراهما الأعداء .

سأل «مسلمة» الجندي فى دهشة : ما اسم زميلك يا أخا العرب الذي أحدث هذا النقب ؟ قال الجندي : الليلة ظلماء أيها الأمير ولم أستطع تمييزه ومعرفته . .

وأصدر «مسلمة» أوامره على الفور بالتجهز لاقتحام الحصن ، وإقامة المجانيق . .

وفى لحظات محمومة ، كان جيش «مسلمة» قد أحاط بالحصن من كل جانب ، ومئات من المحاربين يقتحمونه من خلال الثغرة ، ولم يلبث الذعر وهول المفاجأة أن أحالا معسكر التـرك الى أتون يغلي بصيحات الجزع والانتصار مختلطة ، بيد أنه كان يعلو عليها بين لحظة وأخرى صيحة عذبة مدوية . . الله أكبر . . العزة لله وللمسلمين . . الله أكبر . .

طلع الفجر كالبسمة الوضاءة فى جبين السماء ، فأرسل مسلمة ناظريه من موقعه القريب ، فأبصر راية جيشه الظافر تخفق فوق أعلى أبراج الحصن، ولم يلبث بابه الكبير أن فتح على مصراعيـه وآلاف الأسرى تتدفق منه وتساق الى موقع مسلمة ليرى فيهم رأيه . .

كانت لحظة رائعة من لحظات النصر التي اعتادها «مسلمة» فى كل حملة تحركت بقيادته ، بيد أنه كان يفكر فى أمر آخر . .

كان ذهنه مشغولا بأمر ذلك الفــارس المجهول الذي لم يَدْعُه أحد لاحداث النقب ، وإنما تطوّع حاملا روحــه على كفه مؤثرا الاستشهاد فى سبيل الله ، وفى سبيل نصرة دينه الحق المبين . .

جمع مسلمة رجال جيشه فى الساحة الكبيرة للحصن الذي سقط بين أيدي المسلمين ، ووقف الى جواره قادة الفرق يقرأون عليه أسماء الشهداء من رجال الحملة ، وكان عددهم قليلا الى جانب النصر الكبير . .

وفجأة صاح مسلمة : أقسمت بالله رب العالمين على الفارس المجهول صاحب النقب أن يتقدم إلينا ويعرفنا بنفسه . .

مضت لحظات مهيبة قبل أن يشق الصفوف رجل قصير القامة يسير متعثرا فى خجله ولا يكاد يرى جزء من وجهــه الدقيق ، ولما وقف بإزاء مسلمة قال يخاطبه :

ـ ماذا تبتغي منه أيها الأمير وقد قام بواجبه ولا يبغي جزاء ولا شكورا ؟

ـ قال مسلمة : أأنت صاحب النقب يا أخي ؟

ـ قال الرجل : إن أردت أن تعرفه وان تقــف على أمره ، فان له شروطا ثلاثــة :

ـ قال مسلمة : هات شروطه يا أخي .

ـ قال الرجل : لا تذكروا اسمه فى صحيفــة الى الخليفة ، ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسألوه ممن هو من قبائل العرب .

ـ قال «مسلمة» وقد بهره حديث الرجل : ذلك له .

ـ قال الرجل : أنا هو صاحب النقب أيها الأمير .

وأذن لصلاة الظهر جماعة ، فأقسم مسلمـــة أن يكون إمامه صاحب النقب .

ولم يعد «مسلمة» يُرَى بعد ذلك مصليا ، أو غازيا ، أو محاربا إلا ويكون إمامه ذلك الفارس المجهول . .

[حسين الطوخي]



36 عند الجاحظ (*)

تمهيـد :

الجاحظ : يبدو في وسط الحجرة شيخا متهدما مقعدا ، لا تفارقه روح البشاشة والمرح . يشير بيده الى رفوف الكتب التي تملأ الحجرة من حوله ..

النـص :

زَحَمَتْنِي . . فما أُطِيقُ حَرَاكًا في مكاني ، ولا أُسِيغُ قُعودا
أَثْقَلَتْ كاهِلَ الجِدار ، فَبيْتِي يَتَشَكَّى رُكَامَهَا مَكْدُودا
الرُّفُوفُ الحُبْلَى ، وَأَخْشَى إذا مَا لَتْ ، وُقِيتَ الأذى، أكُون الشّهيدا
وَرَقٌ قِصَّتِي هنا . . ومِدَادٌ وَرَقٌ يأكلُ الحياةَ نَضِيدا
كتُبِي . . لو أبيعها بنَشِيدٍ قِمَّةُ الحُلْمِ أنْ تكون نَشِيدا
بحديث حُلْوٍ تُقَهْقِهُ فيه طُرْفَةٌ لا أَمَلُّهَا تَرْدِيدا
الرفوف الحبلى . . تَجَنَّبْ أَذَاهَا والْتَمِس ، إن وجدتَ ، رُكْنًا بَعِيدا
هذه حُجْرَتي . . وَأَهْلاً وَسَهْلاً قَتَلَ الحرفُ عمرَنا تَفْنِيدا

الشاعر : أنا ضَيفُ التاريخ .

الجاحظ : دَعْكَ مِنَ التا ريخ ، لا تَقْتَحِمْ سُكونَ الظلام
أنا تَوْقٌ إليكم وحَنِينٌ وانتظارٌ مُرٌّ وراءَ الرُّكام
أنا تَوْقٌ أَمُدّ طَرْفِي الى الآ تي ، وحَسْبِي مما أَرَاهُ أمَامي
إدفن التّوقَ في الفَلاَة وخُذْني مرّة في الأثير . . فوق الغَمام
أنتَ آتٍ على قَوَادِم « عِفْرِيـ ـتٍ » يَجُوز الفضاءَ كالأحلام
بجميع الذي كتبتُ نَهَارٌ ، أَمْتَطِي الريحَ فيه ، من أيامي

(*) قصيدة للشاعر سليمان العيسى من مجموعته الشعرية « اغنية في جزيرة السندباد » .

آه . . ما أَرْوَعَ السّحَائِبَ يَشْمَخْــنَ لِيَلْحَقْنَ ظِلَّكَ المُتَرَامِي
سَبَقَ الفِكْرُ يا صديقي رُؤَانَا طَــارَ خَلْفَ الظنون والأَوْهام
أَنْبَؤُونِي أنّ المــراكب في الجوّ (م) تَشُقّ السّمــاء مِثْــلَ السّهام
تَصِلُ الأرضَ مثلما تصل الهُدْبَيْــنِ نَجْوَى أو خَطْــرَةٌ فى مَنام
أَنْبَؤُونِي أن السماواتِ صــارتْــ قَدّسَ الرَّبُّ ــ مَوْطِىءَ الأَقْدَام
واذا الــكَوْكَبُ المنــيرُ ظَلَامٌ وفَرَاغٌ كالمــوت ، كَالْإِعْدام
سَرَقَتْ عُمْرَنَا الأَساطيرُ ، ما جَدْوَى قُعُــودي فى كَهْفِها وقِيامي ؟
لو تَحَــرَّرْتُ ساعــةً من قُيُودي بالتَّحَدِّي صَرَخْتُ : هَاكَ زِمَامِي !
مَرْحَبًا أَيُّهَا الصّديق . . وقُلْ لِي كيف أَنْجُــو مِنْ هَذِهِ الأَصْنَامِ ؟

الشاعر «فى صوت هادئ واجلال» :

أَيُّهَا الكَوْكَبُ المُشِعُّ على أَرْضِي ، يُضِيءُ الأَقْلَامَ جِيلاً فَجِيلاً
مَا نَزَلْتُ التَّارِيخَ إِلاّ لِأَلْقَاكَ عِنَادًا يُــرَوِّضُ المُسْتَحِيلاَ
أنتَ بَوّابَــةُ العُصور تَقَحَّمْــتَ على العقل بُرْجَــهُ المَجْهولا
عالَمٌ أَنْتَ مِنْ مِدَادٍ وَضَوْءٍ عالَمٌ لا يَمُــوت . فاهْدَأْ قَلِيــلا
أنا آتٍ على قَوَادِمِ عِفْرِيــتٍ أَجُرُّ الــدّمارَ والتّنْكِيلا
ليس لِي مِنْ رَوَائِــعِ العَصْرِ إلا ما تَــرَاهُ ضَرَاعَــةً وخُمُولا
القَنَادِيلُ فِى يَــدَيْكَ ، فَعَلِّمْ جِيلَنا كَيْفَ يُشْعِــلُ القِنْدِيلا
القَنَادِيلُ نَحْنُ تَذْكَــارُهَا المُرّ (م) لَوَ انّ التّذْكَارَ يُجْدِي فَتِيلاَ
قَدْ حَمَلْتُمْ عِبْءَ الحَضَــارَةِ يَوْمًا وَحَمَلْنَــا ضَرِيحَهَــا إِكْلِيلاَ

الجاحظ «يرسل زَفْرَةً عميقة» :

هَــدَّنِي اللّيْلُ ، هَــدَّنِي ، فَــوْقَ أَوْرَاقِيَ ، السَّهَــر
أَنَــا جِــذْعٌ مُهَشَّــمٌ فِي فَــمِ الــدّاء يُحْتَــضَر
كُــلُّ شــيء الــى البِــلَى إنهَّــا دَوْرَةُ الفَــلَــك
لَيْتَنِي عُــدْتُ سِيــرَتِي بَــائِــعَ الخُبْــزِ والسَّمَــك [1]

(1) كان الجاحظ فى حداثته يبيع الخبز والسمك فى البصرة ليكسب قوت يومه ، ويكتري دكاكين الوراقين ليلا ويبيت فيها للمطالعة والكتابة .

الشاعر : مِنْ هُنَا يَبْدَأُ السُّرَى كُلُّ صَادٍ الَى الشَّفَق

من غَيَابَاتِ شَارِعٍ وَحَوَانِيتَ لِلْوَرَق

سُنَّةُ المُبْدِعِينَ ، فِي كُلِّ آنٍ ومَكَانٍ ، مَا بدّلتْ تَبْدِيلا

يَنْسِجُونَ الغُبَارَ تاجًا على الدّهْـ ـرِ ، وظِلاًّ لِلْقَادِمِينَ ظَلِيلاَ

سُنَّةُ المُبْدِعِينَ . تأخُذُ مَا أَعْـ ـطَوْا ، وَيَنْسَى المُقَلِّدُونَ الأَصِيلاَ

تَتَمَطَّى ، نَشُدُّ قَامَاتِنَا الكَسْـ لَى ، وَنَبْقَى فى السَّفْحِ شَيْئًا ضَئِيلاَ

أَنْتَ أَقْوَى مُهَشَّمًا فى فَمِ الدّا ءِ ، وأَعْتَى مُهَدَّمًا مَشْلُولاَ

الجاحظ : «يَبْتَسِم كَأَنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يُغَيِّرَ الحديث» :

بُخَلاَئِي فى عَصْرِكُمْ كَيْفَ أَمْسَوْا

الشاعر «بعد لحظة صَمْت» : ضَخُمُوا جُثَّةً ، وزَادُوا ثَرَاءَ

وَلَغَتْ فى دَمِ الملايينِ أَيْدِيـ ـهِمْ ، فَمَا يَحْصُدُونَ إِلاَّ الدِّمَاءَ.[2]

مَلَكُوا الأرضَ غَاصِبِينَ وكانوا ثُلَّةً تُشْبِعُونَهَا اسْتِهْزَاءَ

الجاحظ : مُفْزِعٌ ما تقولُ . . كَيْفَ سَكَتُّمْ

الشاعر : مَا سَكَتْنَا

الجاحظ : أَتَرْهَبُونَ اللِّقَاءَ

الشاعر : بَعْضُنَا آثَرَ السَّلاَمَةَ والصَّمْتَ ،

الجاحظ : وَبَعْضٌ ؟

الشاعر : تَكَلَّمُوا شُهَدَاءَ

الصِّرَاعُ العَنِيدُ . . فِي كُلِّ رُكْنٍ سَاحَةٌ فُجِّرَتْ ، وَصُبْحٌ أَضَاءَ

عَرَفَتْ لعْبَةَ السِّلاَحِ الملاييـ ـنُ، وَثَارَتْ .. لَوْ تَسْمَعُ الأَنْبَاءَ !

الجاحظ : عَجَبٌ ما أَرَى . . تَبَدَّلَتِ الدّنيا ،

الشاعر : ولَبَّى فِيهَا سِوَانَا النِّدَاءَ

---

(2) يتصور الشاعر بخلاء الجاحظ وقد انقلبوا الى أصحاب الاموال الذين يستغلون البشرية . ويلعبون بمصيرها فى العصر الحديث .

37

البيروني
اشهر عباقرة زمانه

النـــص :

نشاته : هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني مَوْلِدًا ، العَرَبِيّ ثقافةً وتفكيرًا «الغَزْنَوِيّ» نشأةً ، ويعتبر من أشهر عباقرة المسلمين الذين عاشوا بين أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهِجْرِيَّيْن ، حيث بَزَّ العلماء الآخرين من العرب وغيرهم فى شتى العلوم .

وُلِدَ فى «خِيوَة» ، وهي إحدى ضواحي «خَوارَزْم» ، فى اليوم الثاني من ذي الحجة عام 362 هـ 4 سبتمبر 973 م .

حيــاته : نشأ عَلاَّمَتُنَا يتيما فَتَرَبَّى فى كَنَــفِ ورِعاية العالم الفَلَكِيّ والرِّيَاضِيّ أبي نصر منصور الذي كان يَنْتَمي الى الأسرة الحاكمة فى مدينة خوارزم ، ويمكن تقسيم حياته الى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى من حياته : اكتسب البيروني شهرته كباحث إبَّانَ هذه المرحلة فعندما بَلَغَ الثامنةَ عشرةَ من عمره بدأ فى بحوثه الفلكية بمرصده الذي أقامه فى قرية جَبَلِيّة صغيرة من وطنه ، واجتهد فى تطبيق ما حققه من الارصادات الشمسية التي قام بها أبو الوفاء أستاذ أبي نصر فى ذلك العصر .

ثم التحق سنة 390 هـ ببلاط أمير جُرْجَان وطبرستان شمس المعالى قابوس الذي كان بلاطه يَحْفِل بالعلماء كابن سينا الذي تُبُودِلَتْ بينه وبين البيروني مجموعةُ رسائل ، وعمِل أستاذا فى مَجمع العلوم الذي أسّسَه أمير خوارزم أبو العباس مأمون ، وكان يزامله فى نفس المجمع الشيخ الرئيس ابن سينا ، وإبّانَ هذا الدّوْر من حياتــه اهتم أبو الرَّيْحَان بدراسة الفَلَك

والجغرافية الطبيعية كما أقام مَـرْصَدا فى القصر الملكي ، ووضع نَموذجا مجسّما لنصف الكرة الأرضية بقُطـْـر 15 قدما رسم عليه أطوال البلدان وعروضها ، واشتغل بحساب مساحة الكرة الأرضية ، واتجه الى البت فى ميل دائرة البروج .

المرحلة الثانية من حياته : قَبَضَ السلطان محمـود الغزنوي على البيروني ، وكان عمره حينذاك 46 سنة واتّهَمَـه بالكفر والقَرْمَطَة . وظل معتقلا مع عـدد من العلماء ومنهم أستاذه عبد الصمـد الحكيم . وقيل للسلطان : «ان البيروني إمامُ زمانه فى علم النجوم ، وان الملوك لا يَسْتَغْنُون عن مثله فأَطْلَقَ سَراحه وأخَذه معه عند دخوله بلاد الهند . وهناك اقتبس علومَهم وتعلّم لُغـاتِهم ، وقيل : إنـه مكَث نحو 40 سنة فى الهند . ويعتبر البيروني أَقْدَمَ مَن دَوّن ملاحظاته . وكانت حصيلة دراساته ورِحْلاتِه إخراج كتاب الهند الذي يُعَدّ أهـم كتب ذلك العصر فى حقل الجغرافية الاقليمية وعالج فيه تأثير العوامل الجغرافية فى الظواهر البشرية .

المرحلة الثالثة : وتعد من أهم مراحل حياته العلمية ، وقد قَضّاهَا فى غَزْنَةَ منصرفا كُلّيًا الى بحوثه العلمية . حتى وافته المنية بعد عمر نَيَّفَ على الثمانين . وفى هذه المرحلة ألف كتبـه : القانون المسعودي ، والتفهيم ، والجماهير ، والصَّيْدَنة أو الصيدلة .

صلته (بالعروبة) : والبيروني فارسي الأصل ، ولكنه كان عربي الثقافة والتفكير ، يَعْتَزُّ بالعُرُوبَة ويَفْخَر أن يُنْسَب إليها ولا يَقْبَل غيرَها بَدِيلاً . وقد عشق العربية واختارها دون اللغات الأخرى لتدوين بحوثه العلمية . فهو يقول فى مقدمة كتابه (الصيدنة) : «الهَجْوُ بالعربية أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ المَـدْحِ بالفَارِسِيّة» وذلك لحُسْن أدائها للمعاني. وفى هذا الخصوص يقول المستشرق (ماسينيون) : «لقـد فَهِم البيروني تَمَامَ الفَهْم الدَّوْرَ العالِمِيَّ للغـة العربية بوصفها ــ بين اللغات السامية ــ أَهَمّ لغة حضارة ، وأدرك مقدرتها على

التركيز والتجريد،وتراكيبها عن طريق الاشتقاق بدلا من الزوائد،وقيمتها فى توحيد المتكلمين بها» .

وعلى الرغم من أن **البيروني عربي النشاة واللغة والتفكير**، فاننا نرى الفرس والازبكستانيين والترك يحتفلون بذكراه ، ويصر كل منهم على أن البيروني يَمُتّ بالصلة اليه . فالفرس يَحْتَجّون بنسبه الفارسي وبأنه عاش فى إيران ردحا من الزمن، بينما يذهب الازبكستانيون الى أن مولده فى (خيوة) من خوارزم ، وهي الآن فى جمهورية أزبكستان السوفيتية . أما الاتراك فان البيروني فى اعتقادهم كان تركيا من أواسط آسيا .

مؤلفاته : لإحاطة البيروني بشتى العلوم ، عُدّ جمهرة فريدة فيها . كما امتاز بدقة تجاربه ، وصواب آرائه لِحِدّة ذكائه ، وكثرة مُؤَلّفَاته وأصالتها وابتكاره إياها ويَدِينُ له الغربيون فى أكثر علومهم وخاصة الرياضيات الطبيعيات والفلك . فكان (مُكِبًّا على تحصيل العلوم ، مُنْصَبًّا عَلَى تصنيف الكتب . ولا تكاد تُفارِق يَدُه القَلَم ، وعينُه النّظَر ، وقَلْبُه الفكر). قال البيهقي : «زادت تصانيفه على حَمْلِ بَعِير ، صَنّفَ كتبا كثيرة ، رأيت أكثرها بخطه» . وسطر العالم الالماني (سخَاو) فى مقدمته لكتاب البيروني الموسوم بـ (الآثار الباقية) العشرات من مؤلفاته ومقالاته ورسائله . وقَدّرَ الأب (جاك بوالو الدومنكي) عَـدَدَ مُؤَلّفاته ــ بين موجود ومفقـود ، وبين مطبوع ومخطوط ــ بـ (180) مؤلفا . ضاع الكثير منها والباقي موزع فى مكتبات العالم . وفى ما يلي أبرز مؤلفاته .

الآثار الباقية عن القرون الخالية : وهو أول كتاب يبحث عن التقاويم والشهور عند مختلف الأمم ، مع بحوث رياضية وطبيعية وفلكية عديدة . كما يحوي معلومات تاريخية عن ملـوك أشور وبابل والكلدان والقبط والروم واليونان . وعُنِيَ (سخاو) بنشر نَصّ هذا الكتاب وطبعه فى (ليبزك) عام 1878 . كما ترجمه الى الأنكليزية ونشره فى لندن سنة 1879 ، وطبع طبعة جديدة مع شرح سنة 1923 .

القانون المسعودي : مُصَنَّفٌ ضَخْم يحتوي على 143 بابا فى 11 مقالة ، أَلَّفَه فى غُزْنَة، وأهداه الى سلطانها ، مسعود بن محمود سنة 421 هـ، فمنحه السلطان أموالا طائلة ولكنه رَدّها الى الخزينة بحجة أنه إنما يَخْدُمُ العِلْم لِلْعِلْم ، لا للمال . والكتاب يبحث فى علم الفلك والهندسة والجغرافية . طبعته مطبعة دار المعارف العثمانية فى ثلاثة أجزاء .

التفهيم لأوائل صناعة التنجيم : ألفه فى غزنة ، بالعربية والفارسية ، سنة 420 هـ 1029 م ، على طريقة السؤال والجواب فى الفلك والرياضيات ، وقَدَّمَه لريحانة بنت الحسن الخوارزمية . نشره (رمزي رايت) مع ترجمة أنكليزية فى لندن سنة 1934 عن مخطوط محفوظ فى المتحف البريطاني .

الصيدنة : استقصى فيه معرفة مَاهِيَّاتِ الأدوية ، وأسمائها واختلاف آراء المتقدمين، وما تكلم كل واحد من الاطباء وغيرهم فيها، وقد رتبه على حروف المعجم . نشره مع ترجمة مقدمتـــه فى برلين عام 1932 «ماكس ما يرهوف» ويقوم الآن بتحقيقه المستشرق السوفيتي الكيميائي «عبد الله كاد يموف» من «كلية الدراسات الشرقية» «بجامعة البيروني» وقد أطلق عليها الروس اسم البيروني تمجيدا له .

الجماهر فى معرفة الجواهر : وهو يبحث فى علم الجيولوجيا والمعادن والأحجار الكريمة ، قام بتحقيقه المستشرق السوفيتي (كرموكوف) ، كما طبعته دائرة المعارف العثمانية .

تحديد نهايات الاماكن : يحوي معلومات دقيقة فى علم الجيولوجيـــا أيضا ، تُوجَد منه نسخة مكتوبة بخط المؤلف فى مكتبة استانبول ، ويعود تاريخها الى سنة 416 هـ وقد نشر (زكي وليدي) بعض أقسام هذا الكتاب فى مجلة مسح الآثار القديمة الهندية (مذكرة رقم 93 ، ص 58 وما بعدها). وطبع النص الكامل سنة 1962 فى أنقرة بتحقيق محمد بن تازيت الطنجي وقام المستشرق السوفيتي (د. بوكاكوف) بتحقيقه حديثا .

رسائل البيروني : طُبِعَتْ بمطبعة دار المعارف العثمانية بحِيدَر أباد سنة 1948 . وتتكون من رسائل فى الرياضيات ، وعلى الأخص الهندسة ، وهي :

1 ــ استخراج الأوتار فى الدائرة .

2 ــ افراد المقال فى أمر الظلال .

3 ــ تمهيد المستقر لمعني الممر .

ومن مؤلفاته الأخرى (مقالة فى النسب) ويتضمن خلاصة أبحاثه فى الوزن النوعي و (الاسطرلاب) وقد وردت فيــه نظرية لاستخراج محيط الأرض (وتقاسيم الاقاليم) الذي كتبه بخطه سنة 422 هـ .

عبقريته : كان البيروني شعلة من ذكاء ، فاقت عبقريته عباقرة المسلمين فى عصره . وهو قوي الذاكرة غزير العلم ، وفير الانتاج . برز فى مختلف العلوم والفنون حتى لُقِّبَ بالاستاذ . وهو لقب لا يحصل عليه الا المتعمقون فى شتى العلوم . وكان هَمّ البيروني التَّحَرّي عن الحقيقة ، فَالْتَزَمَ بالمذهب التجريبي العلمي ، ولم يكن يُسَلِّمُ بمــا يقال من آراء ، بل كان يَعْمِد الى إجراء التجارب بنفسه . وبعــد أن يطمئن الى صحتها يَعْكُفُ على تثبيتها وتدوينها . لذا فاننا نجده دائما (يَدْعَمُ أَقْوَالَــه بالبراهين المادية والحجج المنطقية) . وفيما يلي خلاصة بالميادين التي برز فيها أبو الريحان :

اللغات والفلسفة : ومن مظاهر ذكائه اتقانــه عدة لغات كالسريانية والخوارزمية واليونانية والهندية والفارسية والعبرية والسنسكريتية اضافة الى العربية . وأشاد بالفلسفة اليونانية ، ورَأَى أن العلم اليقيني يحصل من احساسات مختلفة يؤلف بينها العقل تأليــفا منطقيا ، وأن الحيلة تقتضينا فلسفة علمية نميز بها العدو من الصديق . وكان له الفضل الأكبر فى تغيير المفهوم الاغريقي الاستاتيكي للكون الى المفهوم الاسلامي الديناميكي .

الرياضيات : والبيروني من الذين بحثوا فى تقسيم الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية . وكان مُلِمًّا بعلم المثلثات ، وتدل كتبه على أنه عرَف قانون تناسب الجيوب . وقيل : إنه وبعض معاصريه عملوا الجداول الرياضية للجيب والظل .

ومن ابتكاراته فى الرياضيات : المتواليات الهندسية ، وتثليث الزوايا ، وحل كثير من مسائل الهندسة، والتي أصبحت تعرف «بالمسائل البيرونية». ووضع نظرية لاستخراج محيط الأرض أسماها العلماء الغربيون بـ (قاعدة البيروني) . وقد نشر معهد الدومنيكان للدراسات الشرقية بالقاهرة فى السنوات الأخيرة بحثا بلغ ما يخص الرياضيات (24) مؤلفا ، منها :

الفلك : واهتم بالفلك وعمل الجداول الفلكية وصحح الجداول التي وضعها سابقوه ، وصنع الاسطرلاب الاسطواني لرصد الكواكب .

الطبيعيات : وفى ميدان العلوم الطبيعية ، أدرك البيروني : أن سرعة الضوء تفوق سرعة الصوت بمقدار هائل . وقام بتجربة لاستخراج الوزن النوعي ، واستطاع ايجاد الوزن النوعي لـ (18) عنصرا ومركبا ذكرها فى كتابه الموسوم بـ (مقالة فى النسب التي بين الفلزات والجواهر فى الحجج) . واستعمل فى تجاربه العلمية ، لاستخراج الوزن النوعي آلته المخروطية التي صنعها . والبيروني وابن سينا من الذين شاركوا ابن الهيثم فى رأيه بأن شعاع النور يأتي من الجسم المرئي الى العين . وشرح أبو الريحان بعض الظواهر الطبيعية التي تتعلق بضغط السوائل وتوازنها، وتفسير صعود مياه الفوارات والعيون الى الأعلى ، وتجمع مياه الآبار بالرشح من الجوانب حيث يكون مأخذها من المياه القريبة اليها . ومن هنا يستدل ـ كما يقول قدري طوقان ـ على أنه من الذين وضعوا بعض القواعد الأساسية فى علم «الميكانيكا والايدروستاتيكا».

علم الاحياء : وفى مجال علم الأحياء شرح بعض حالات شذوذ الخلقة فى النبات والحيوان بما فيها حالة التوائم.

الجيولوجيا : وفى ميدان علم الجيولوجيا جمع الأحجار والمعادن وصنفها وفحصها ووصفها وصفا دقيقا معتمدا على التجربة . وقد تنبأ بمعلومات لم تكن معروفة فى زمانه ، كاعتقاده بحدوث التطورات الأرضية البطيئة . وكان يعتقد بأن وادي السند (مهران) كان فى العصور الماضية حوض بحر قديم ملأته الرواسب التي حملها النهر .

المفكرون العالميون وآراؤهم فى البيروني : لا شك أن عبقريا فذا ، وعالما جليلا ، ومفكرا كبيرا كالبيروني لابد أن يتطرق الى ذكر مآثره عدد كبير من المفكرين والعلماء ، من العرب والمستشرقين قديما وحديثا . ذكر أحمد أمين : أنه كان دُرّة فى تاج الدولة الغزنوية كابن سينا فى الدولة السامانية . وأشار «فيليب حتى» الى عظمته حينما قال : (إنه يعد أعظم بحاثة وعالم فى الاسلام ، فى العلوم الطبيعية والرياضية). وقال علي أحمد الشحات عنه : (عالم متبحر فى علومه وثقافته ، موسوعي فى مؤلفاته ، متعمق فى أبحاثه، ساهمت قريحته الوضاءة فى تقديم علوم الفلك والرياضة. والجيولوجيا والطبيعة ، كما أَضْفَى على علوم التاريخ والجغرافيا والطب مآثر لا تنكر ومجهودا يشكر) . أما المستشرقون فقد أَعْطَوْه حقه إذ نشروا مآثره وذكروا فضله عليهم واقتبسوا نتائج تجاربه واستفادوا من مبتكراته ومؤلفاته . فالعلامة «أدوارد سخا» وصفه قائلا : (انه أكبر عقلية عرفها التاريخ . . وانه أعظم علماء عصره ومن أعظم العلماء فى كل العصور) . والعالم «مايرهوف» يقول : اسم البيروني أبرز اسم فى موكب العلماء الكبار واسعي الافق الذين يمتاز بهم العصر الذهبي للاسلام) . كما أشاد به العالم سمت وقال : «إنه كان ألمع علماء زمانه فى الرياضيات وإن الغربيين مدينون له بمعلوماتهم عن الهند ومآثرها فى العلوم» .

وقال فيه كراتشكوفسكي : «فالبيروني هو تلك الشخصية الفذة التي طغت على شرقي العالم الاسلامي فى القرن الحادي عشر فى ميدان العلوم المتصلة بالجغرافيا ، وخاصة الجغرافيا الرياضية» . وذكره العلامة جورج سارتون فى كتابه (المدخل الى تاريخ العلم) بقوله : «ان النصف الأول من القرن الحادي عشر يمثله من وجهة العلم العالمي البيروني أكثر مما يمثله ابن سينا» . وقا أيضا : «كان البيروني باحثا فيلسوفا رياضيا جغرافيا ومن أصحاب الثقافة الواسعة بل ومن أعظم عظماء الاسلام ومن أكابر علماء العالم» . أما المستشرق الأميريكي «أرثر بوب» فيقول : «فى أية قائمة تحوي أسماء أكابر علماء الدنيا يجب أن يكون لاسم البيروني مكانه الرفيع . .

لقد كان من أبرز العقول المفكرة فى جميع العصور . وأخيرا فان شخصية البيروني الفذة ، ومكانته الرفيعة ، وخدماته الجلى تستوجب منا أن نحقق ونطبع مؤلفاته المخطوطة ، وأَنْ نُشَيِّدَ له تِمْثَالاً يرمز الى عظمته .. منه نَسْتَلِهِم نهضتنا وعليه نُشَيِّدُ بُنْيانَنَا، وبه نُذَكِّرُ العالَم أننا كنا ثم كانوا بنا.

[عباس فاضل السعدي]
بغداد
محلة العربي عـدد 162

38	# الحسن بن الهيثم

النـص :

أحد علماء ثلاثة يَزْدَهِي بهم تـاريخ العلم ، وهم : ابن سينا ، وابن الهيثم ، والبيروني ، بلغت الحضارة العلمية الاسلامية فى عهدهم الذروة ، ذلك من منتصف القرن العاشر الى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ، أو منتصف القرن الرابع الى منتصف القرن الخامس الهجري . وهو كأحد علماء الطبيعة (الفيـزياء) الاسلاميين . يعتبر الأرفـع شأنا والأعلى كعبا والأرسخ قدما . ولعله فى مقدمة علماء الطبيعة فى جميع العصور والأحقاب .

1 ــ حياته : جلاه لنا أبدع تجلية ، الأستاذ مصطفى نظيف ، فى كتابه الرائع «الحسن بن الهيثم» الذي نُشِرَ منذ نحو ثلاثين عاما ، وقد عرفته أوربا باسم : «الهازن»، وهو تحريف لكلمة الحسن ، وهو الحسن بن الهيثم. وُلِدَ فى منتصَف القرن الرابع الهجري (حوالي سنة 354 هـ ــ 965 م) . وعاش أول أمره فى البصرة ثم انتقـل الى القاهرة بدعوة من الحاكم بأمر الله ، وخرج الحاكم نفسُه لاستقباله خارجَ مدينة القاهرة . وفيها عاش أغلب عمره وألف معظم كتبه ، وظلت كتبه المرجع الذي يعتمد عليه أهل الصناعة فى علم الضوء ، حتى القرن السابع عشر الميلادي ، وكان يسمى **علم المناظر** .

2 ــ أخلاقه : وعظمة ابن الهيثم لم تَشُبْهَا قَطّ شائبة من الغموض أو يمسها ضعف من الخلق ، بل زادها الخلق وجمال التواضع جلالا وبهاء . فكان فاضل النفس وافر التزهد ، محبا للخير ، وفوق حبه عمل الخير لذاته ، وفوق زهده عن المال وترف العيش ، متواضعا ، مقدرا السابقين من العلماء حق التقدير ، يذكرهم بالفضل والاحسان ، وينصفهم ، وهو إن ابتكر فكرة جديدة ، أو تناول بحثا لم يسبقه اليه أحد ، قنع بالأشارة الى ذلك بمثل

قوله : «ولا نعرف أحدا من المتقدمين ولا من المتأخرين بَيَّنَ هذا المعنى ولا وجدناه فى شيء من الكتب» .

أما عيوف ابن الهيثم عن الصغائر وزهده فى الترف والمال والسلطان ، فيؤكده انكبابه المنقطع النظير على العمل العلمي ، وقصته مع الأمير الذي دفع له أجر تعليمه ، فردها قائلا : «خذ أموالك بأسرها ، فأنت أحوج اليها مني ، عندما تعود الى ملكك ومسقط رأسك ، واعلم أنه لا أجرة ولا رشوة، ولا هدية ، فى نشر العلم وإقامة الخير» . وقوله : « يكفيني قوت يوم . فما زاد على ذلك إن أمسكتُه كنتُ خازِنَك ، وإن أنفقتُه كنتُ قَهْرَ مَانَك ، فاذا اشتغلتُ بهذين فمَنْ يَشْتَغِلُ بِعِلْمِي وأَمْرِي ؟ »،

3 ــ مؤلفاته : دأب «ابن الهيثم» على تحصيل العلوم الفلسفية والطبية والفلكية ، والرياضية ، قرأ كتب من تقدمه من العلماء ، قراءة تدبر وتفكر ودراسة ، وعني بتلخيصها وشرحها ، ثم جعل يؤلف فيها .

بلغت عدة ما ألفه فى العلوم الفلسفية والطبية ثلاثة وأربعين كتابا ، وفى العلوم الرياضية والتعليمية خمسة وعشرين ، وفى الهندسة واحدا وعشرين كتابا ، وفى الفلك سبعةَ عشرَ ، وفى الحساب ثلاثة كتب . لقد نَيَّفَتْ مصنفاته، وكتبه ورسائله على المائتين ، ذاعت بين الناس فى عصره ، ضاع كثير منها بل لم يصل إلينا علمه ، فقد ذُكِرَ أنه ألف فى الهندسة ثمانية وخمسين مصنفا، لا نجد منها فى مكاتب العالم سوى واحد وعشرين ، وفى الطبيعة أربعة وعشرين لا نجد منها الا اثني عشر ، وفى الفلك أربعة وعشرين ، لا نعرف منها سوى سبعةَ عشرَ ، وفى الطب كتابين ، وفى الفلسفة والمنطق وعلم النفس والالهيات ، والأخلاق واللغة ما يزيد على أربعين مؤلفا

4 ــ منهجه العلمي : إن ابن الهيثم فى أخْذه بالاستقراء ، واعتماده على المشاهدة والاعتبار فى مقدمة علماء الطبيعة النظرية ، بما وَضَع فى ظواهر الضوء من نظريات فى الأبصار وقوس قُزَح ، وانعكاس الضوء وانعطافه ،

كما هو فى المقدمة بين علماء الطبيعة التجريبية ، بما أَجْرَى من تجاربَ عن كيفية امتداد الأضواء الذاتية ، التي تنبعث من الأجسام المضيئة بذاتها (كضوء الشمس وضوء النهار ، والأضواء العرضية ، التي تشرق من سطوح الأجسام الكثيفة التي تستضيء بضوء الأجسام المضيئة بذاتها ، أو التي تستضيء بضوء عرضي ، يشرق من سطح جسم كثيف آخر ، هو نفسه يستضيء بضوء ذاتي) . وقد تناولت تجاربه ضوء القمر ، وضوء الكواكب والضوء المشرق من ضوء أبيض يستضيء بضوء القمر أو ضوء النهار ، واستقصى أحوال الاضاءة الشديدة والاضاءة الضعيفة .

وقام ابن الهيثم على رأس بعثة هندسية ، وتتبع مجرى النيل من القاهرة الى جنوبي أسوان ، يدرسه ويعاينه ، إلا أنه لم يجد الأمر متفقا وفكرته الهندسية .

واذا كانت دائرة المعارف البريطانية تقول : إنه بعد «بطليموس» لم يظهر من يجاريه فى علم الضوء الا ابن الهيثم ، فبحوثه ودراساته ومقالاته لا تعد مجرد زيادة اتسعت بها دائرة المعلومات فحسب بل تعد أحداثا قلبت أوضاع هذا العلم وعدلت مجراه ، ولا يكفي فيها نشر ما لم يطبع من مخطوطات بل هي جديرة بعمل أبعد غورا وأشد جهدا .

5 ــ كتابه المناظر : نشر «رزنر» سنة 1572 ترجمة لاتينية للكتاب بعنوان «الذخيرة فى الاوبطيقي» للهازن ، ولبث هذا الكتاب المنقول عن العربية مرجع أهل أوروبا فى علم الضوء خلال القرون الوسطى ، «ولقد تبين على التحقيق أن جُلَّ البحوث والكشوف الضوئية التي تنسب الى علماء أوروبا حتى عصر النهضة قد وردت فيه وأن كثيرين من علماء أوروبا المشهورين فى تلك العصور لم يصلوا الى مستوى الآراء والفِكَر الاساسية التي ذكرها ابن الهيثم . وأنه كان للكاتب أثر عميق فى توجيه ودراسة علم الضوء الى الوجهة الصحيحة ، إن مستواه العلمي بوجه عام قد سما سموا

رفيعا فوق مستوى كثير من الكتب العلمية التي ألفها الغربيون في تلك العصور ، بما فيها مؤلفات «كبلر» في الضوء ، وثبت أن كتاب «الذخيرة اللاتيني» إنما هو ترجمة لكتاب «المناظر» لابن الهيثم .

ولا مِرَاء في أن ابن الهيثم قد سبق «باكون» في الأخذ بالطريقة العلمية والأخذ بأسبابها ، ان هذه الطريقة التي تعد من مبتكرات العصر الحديث ، هي الطريقة التي لا نتردد في أن نقول إن ابن الهيثم اتبعها في بحوثه وكشوفه الضوئية . وهذه الناحية من نواحي ابن الهيثم لم يتناول بيانَها على ما نعلم أحد، وهي جديرة بالاشارة والتقدير، فابن الهيثم أخذ في بحوثه بالاستقراء، وأخذ بالقياس ، وعني بالتمثيل وأخذ بهذه العناصر على المنوال المتبع في البحوث الحديثة ، وهو في ذلك لم يسبق «فرانسس باكون» فحسب ، بل سما عليه سموا ، وكان أوسع أفقا ، وأعمق تفكيرا .

6 ـــ نظريات الضوء : ليس معــروفا الآن أن أحدا من الاسلاميين المتقدمين على ابن الهيثم قد أضاف الى علم الضوء شيئا جديدا لم يكن معروفا من قبل ، فهم لا شك قد أصلحوا الكتب التي نقلت عن اليونانية ، وشرحوا غوامضها ، وصححوا أغلاط بــراهينها الهندسية ولكن ظل علم الضوء عند المستوى الذي وصل اليه ، وبقي كذلك حتى تناول ابن الهيثم دراسته ، وقارنها بالآراء السائدة في عصره ، شرح آراءه في الأضواء الذاتية والعرضية ، والمنعكسة ، والفجر ، والشفق ، ونقد رأي أصحاب الشعاع وألوان الأجسام الكثيفة ، والأجسام المضيئة بذواتها ، وأثبت أن انتقال الضوء لا يكون إلا في زمان ، معارضا السرعة الآنية التي قال بها ابن سيناء ، وقام بتجارب لاثبات سرعة الضوء ، والناحيــة الميكانيكية من نظرية ابن الهيثم في الانعكاس والانعطاف والهالة وقوس قزح والكسوف والخسوف تعد عملا تجريبيا ذا قيمة علمية كبيرة .

7 ـ آراء العلماء فيه : إن ابن الهيثم أبطل «علم المناظر» الذي وضعه اليونان ، وأنشأ «علم الضوء» بالمعنى الحديث . وان أثره فى هذا العلم لا يقل عن أثر «نيوتن» فى «علم الميكانيكا» ، فان عد «نيوتن» رائدا لعلم الميكانيكا فى القرن السابع عشر فان ابن الهيثم رائد علم الضوء فى القرن الحادي عشر .

فابن الهيثم فى ميدان علم الطبيعة ، إن لم يكن من طراز المحدَثين فى الجيل الحاضر ، فإنه من غير شك من طراز علماء الطبيعة فى القرن التاسع عشر . وبحوثه المبتكرة فى علم الضوء تجعله فى مقدمة الأعلام الأفذاذ فى تاريخ هذا العلم .

وقد استحق ابن الهيثم شهادة سارتون مؤرخ العلم فى العصر الحديث «بأن ابن الهيثم أكبر عالم طبيعي مسلم فى جميع العصور والأزمان».

ولقد تبحر ابن الهيثم كذلك فى العلوم الرياضية والفلكية ، وان رسائله فى الحساب والجبر وحساب المثلثات والهندسة الاقليدية المستوية والمجسمة لتدل دلالة أكيدة على تضلعه فى الرياضيات البحتة وعلو كعبه فيها .

يقول المرحوم الدكتور علي شرفة « ان المطلع على كتاب ابن الهيثم فى حل شكوك اقليدس يلمس دقتـه فى التفكير ، وتعمقـه فى البحث ، واستقلاله فى الحكم ، كما تتضح له صحـة مكان الهندسة الاقليدية من العلوم الرياضية فهو فى هذا الكتاب رياضي بحت ، بأدق ما يدل عليه الوصف من معنى ، وأبلغ ما يصل اليه من حدود .

لقد أقام ابن الهيثم فى القاهرة الى أن أدركته الوفاة سنة 430 هـ بعد أن عاش ستا وسبعين سنة ، قضاها فى شظف من العيش وسَعة من العلم .

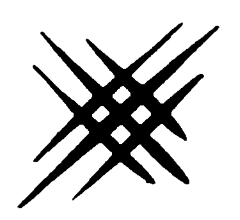
[عبد الحليم منتصر]

اسئلة حول المحور

1 ـ أبرز الجوانب التي تتجلى فيها صفات الشهامة والمروءة ونكران الذات لدى كل من الامير عبد القادر ومسلمه بن عبد الملك ، كما تراها فى النص ، واذكر نظائر لها فى تاريخنا القديم والحديث موضحا اثر ذلك فى جهاد الامة الاسلامية .

2 ـ وُصِف البيروني (بالموسوعية) فى علمه ومعارفه ، وبمنهجه العلمي والمنطقي . هل تجد مثل هذه الصفات عند ابن الهيثم ؟
وضح ذلك من خلال الموازنة بينهما .

3 ـ تعدّدت جوانب العلم والمعرفة والاختصاص لدى عدد من العلماء والفلاسفة المسلمين . ما مصدر هذا التعدد ؟
وهل تجد له مثيلا فى عصرنا الحاضر ؟ ولماذا ؟



((ط))

الطبيعة والسياحة

قرات فيما مضى نصوصا شتى فى الطبيعة . . ونقدم فى هذا الباب نصوصا اخرى تتناول الطبيعة ومشاهدها ، ويعرض بعضها للسياحة التى غدت فى ايامنا هذه موضع اهتمام وعناية زائدين لما تتيحه للسياح ـ على اختلاف اجناسهم ومشاربهم ـ من تنقل بين مشاهد الطبيعة وشواهد الآثار ، فيبصرون ، وينظرون ويتاملون ويجدون الى ذلك فرصا للراحة بعد تعب ، وللفرجة بعد ضيق ٠

وفى الجزائر مجال رحب للسياحة ، يتمثل فى طبيعتها الجميلة وآثارها الجليلة . . تجد فيها المتعة ان شئت ، والعبرة ان اردت ونزهة العين والفكر جميعا اذا تاقت لذلك نفسك ، واجتمع له خاطرك وحسك .

39 الحيـاة جميلـة

تمهيــــــد :

الحياة جميلة ، واجمل منها ان ندرك جمالها ونستوعبه . . وللطبيعة جمالها ، فلماذا يحسه قوم ويعمى عنه آخرون ؟

انها معهم فى كل مغدى ورواح ، وكل ممسى وصباح ، تضحك اذا ضحكوا ، فتفتر منها البراعم ، وتنتشي الغدران ، وتالم اذا الموا ، فتتلبد السحب ويكفهر وجه السماء ، وتبكي اذا بكوا ، فتتناوح الريح وتنهمر دموع الغمام مدرارا . . تتلون بالوان فرحهم وحزنهم ، وتصطبغ باصباغ رضاهم وسخطهم ، فتارة صافية مشرقة ، واخرى عابسة مطرقة ، فكيف ونحن ابناء الحياة ، نمقها ونعرض عنها وهي بنا بارة وعلينا حانية ؟ .

النــــص :

الحياة جميلة ، وما يُشَوِّه جمالَها غيرُ هذا الحيوان المسمى بالانسان . لم يعش فيها كما تعيش سائر الأنــواع على رسم الفطرة وهدى الطبيعة ووحي الله ، وإنما عاش على قوانينَ من وضْعه استمدّها من أثَرته وكبريائه وهواه فكان شرا على نفسه وحربا على غيره .

ربما اقتتل الوحش والوحش أو الطير والطير فى سبيــل القوت أو النَّسْل ، ولكنه اقتتال الساعة لا يسبقه تدبير ولا يصحبه حقد ولا تلحقه جريرة[1]. أما الانسان فهو وحدَه كَدَرُ السلام وقَذَى[2] الحياة . أحيا لنفسه بفضل ذاكرته ماضيا يحفظ الثأر ، وخلق لنفســه بفضل بصيرته مستقبلا يحمل الخوف ، فكان حاضره بينهما قتالا مستحِرا[3] لا ينقطع ولا يفتُر، إمَّا دَرْكًا لثأر الأمس الذي يتذكّره ، واما كَسْبًا لقُوت اليوم الذي يتبصّره ، واما درءا لخوف الغد الذي يتصوره .

---

1 ـ **جريرة** : ذنب ، جنايــة .

2 ـ **القذى** : مايقع فى العين أو الشراب من تبنة ونحوها ، ويريد ان الانسان مصدر كدر وتنغيص .

3 ـ **مستحرا** : شــديدا .

الحياة جميلة وأجمل منها الحي الذي يدرك هذا الجمال ويتذوقه ويستوعبه ويكتسيه فالطائر أجمل من الروض لأنه عرَف كيف ينقل ألوانه على ريشه ، ويجمع ألحانه فى صوته . والأسد أجمل من الغابة لأنه استطاع أن يجعل رهبتها حية فى رهبته ، وعظمتها ماثلة فى عظمته . والجمل أجمل من الصحراء لأنه اندمج فيها فسير جلبها فى هيكله وصور رملها على أديمه ،[4] والحوت أجمل من البحر ، لأنه قطعة من الحياة صيغت من لين مائه وشدة موجه وسرعة تياره .

وكأنما يدرك الطبيعة ويسايرها ويتأثر بها كل شيء من ناطق وصامت إلا هذا الانسان فقد خرج عن سنة الله فى خلقه حتى اختصه بالانبياء والرسل والمدارس والكتب وهيهات أن يدخل النور عين الضرير ، ويبلغ الصوت أذن الأصم .

الحياة جميلة . وليس جمالها قصرا على قوم دون قوم ، ولا على طبقة دون طبقة . إنما الجمال وَضَاءة الفن الالهي أشاعه الله فى الأرض والسماء ، وهيأ المدارك للاستغراق فيه والاستمتاع به . فمن كان ذا سمع وبصر وقلب وجده فى كل منظر وأحسه فى كل حالة .

فهؤلاء الذين يمرون عليه وهم معرضون عنه قد فسدت فيهم طبيعة الحياة ، وتبلدت فيهم ملكة الحس ، فانقطع ما بينهم وبين الوجود الحق والوجدان الصحيح .

ان الجمال وسيلة الطبيعة لحفظ الحيــاة وبقاء النوع ، تجمع به ما شتّ ، وتؤلف به ما نفَر . وهو بعد ذلك سرور النفس ونور القلب وسلام الروح ، فمن تملّاه[5] فى صوره الحسية والمعنوية فى الكون كان له منه فى كل زمان شباب وفى كل مكان ربيع .

---

4 ـ الاديم : الجلد .

5 ـ تملاه : تمتع به .

الحياة جميلة ومظهر الشعور بجمالها المرح والبهجة ، فأينما ترى الخمود والكآبة ترى الشعور الذي أدركه الكلام أو أصدأه القبح أو أفسده الشر ، فيموت فيه الوعي ، أو ينعكس فيه الجمال ، أو ينقلب فيه الخير ، فالجمال في الطبيعة لابد أن يجاوبه جمال في النفس . والصفاء في العيش لابد أن يعادله صفاء في القلب . ومن هنا استسر[6] الجمال والصفو على ذوي الحس المظلم والضمير الخامد .

كن جميلا ترى الجمال في كل شيء حتى في الدَّمَامَة . ومتى امتلأت قواك المدركة بمفاتنه ومباهجه حلي الوجود في صدرك ، وساغ المر في فمك ، وسعيت الى مجالي الجمال في النيل والجزيرة والريف والجبل ، فشَدَوْتَ مع الطير ، وطرت مع الفراش ، وسبحت مع السمك ، واستطعت أن تطاول الأغنياء في العز وتشآهم[7] في الغبطة ، وتقول لهم : ان السعادة بالجمال أضعاف السعادة بالمال ، والمال لكم فجدواه عليكم ، ولكن الجمال لله فجدواه على الناس .

الحياة جميلة ، وأنت يا ابن الحياة وارث هذا الجمال . فلم تزوي عنه وجهك وترسل عينيك بالحسد والحقد الى المترفين الخافضين[8] وهم يَتَلَهَّوْن بالقَنْص ، أو يتزحلقون على الجليد ، أو يتمتعون بالسياحة ؟ ان في بلادك من الجمال المبذول والنعيم المشاع ما يكفكف ثورتك على الغنى ويلحف سخطك على الحياة .

الحياة جميلة . ولكن جمالها يقتضي أن يكون لنا زعماء يصححون إدراكنا للحياة ، ويرهفون أذواقنا للجمال ، ويهيئون قلوبنا للسرور ، ويشغلون أوقات فراغنا بالمسابقات الرياضية ، والمهرجانات الوطنية والسباحات النهرية ، والملاهي الفنية ، والمواكب الشعبية .

[احمد حسن الزيات] من : وحي الرسالة

---

6 ـ **استسر** : خَفِيَ واستتر . 7 ـ **تشآهم** : تسبقهم .

8 ـ **الخافضون** : الهانئون في عيشهم ، وخفض العيش : لينه وسعته

مع النــــص

1 ـ ما الفكرة العامة التي يشتمل عليها النص ؟

2 ـ ما الذي يُشَوِّه جمال الحياة ، فى نظر الكاتب ؟ ولماذا ؟

3 ـ ما الفرق عنده بين اقتتال الوحوش واقتتال البشر ؟

4 ـ لماذا اعتبر الكاتب الحيَّ أجمل من الحياة نفسها ؟ وما الامثلة التي اعتمدها لدعم رأيه ؟

5 ـ بم عرف الكاتب الجمال ؟ وأي الناس يحسونه ، وأيهم يعرضون عنه ؟

6 ـ ما أثر الجمال فى نفس مَن يحبه ويقبل عليه ؟

7 ـ كيف نستطيع أن نميز بين من يتمتعون بنعمة الشعور بالجمال ، وبين من حُرِموا هذه النعمة ؟ .

8 ـ متى يحلو الوجود فى نظر الانسان ؟ وما الذي يلطف سخطه على الحياة فى نظر الكاتب ؟

9 ـ ما النتيجة التي يخلص اليها الكاتب فى خاتمة مقاله ؟ وماذا يقترح ؟

تقويم النــــص

ا ـ الأفكار :

1 ـ كيف يشوه الانسان جمال الحياة ؟ هل تجد فى ظروف الحرب العالمية الثانية التي كتب فيها المقال ، مسوغا لاطلاق هذا الحكم على الجنس البشري كله ؟ ولماذا ؟

2 ـ اذا كان الجمال (يلطف السخط على الحياة) ، فكيف يمكنه أن (يكفكف الثورة على الغنى) ـ حسب رأي الكاتب ؟
ناقش هذا القول ، وابسط رأيك . .

3 ـ ما السر فى تعبير الكاتب بقوله : (يا ابن الحياة) ؟ .

4 ـ علام يدل ترديد عبارة (الحياة الجميلة) فى عدد من فقرات النص ؟

5 ـ يقول الكاتب : « كن جميلا تر الجمال فى كل شئ حتى فى الدمامة » . كيف يكون الجمال فى الدمامة والقبح ؟ وهل ترى لفكرته هذه صلة بما عناه ابن المعتز فى قوله :

قلبيَ وَثّابٌ إلى ذا وذا ... ليس يرى شيئا فيأباه
يَهيمُ بالحسن إذا شامَهُ ... ويَرْحَمُ القبح فيَهْواه

ب ـ **الاسـلوب :**

1 ـ « الجمال وسيلة الطبيعة لحفظ الحيـاة وبقـاء النـوع » .
فى هذه العبارة إيجاز ، ومن شروط الإيجاز الدلالة علىالمعنى الواسع بأقصر لفظ . فهل تجد فى العبارة حظا كافيا من الدلالة والوضوح ؟ عبّرْ عما فهمت بأسلوبك ، و وازن لاستخلاص اجابتك .

2 ـ فى بعض فقرات النص إجمال يتلوه تفصيل ، دُلّ عليه فى مواضعه ، واذكر علام يدل ذلك من أسلوب صاحبه .

3 ـ اختر من النص فقرة اعجبتك ، ووضح سبب إعجابك .

4 ـ وضح الصورة التي رسمها الكاتب للطير فى روضه ، وللأسد فى غابته ، وللجمل فى صحرائه ، والحوت فى مائه ..وبين المدى الذي بلغه الكاتب فيها من عمق الفكرة والخيال والشعور جميعا .

5 ـ يقال : « إن الاسلوب هو الأديب » فهل ينطبق هذا القول على الكاتب : « الزيات » ؟ وإلى اي مدرسة أدبية ينتمي : مدرسة المقلّدين ، ام المحافظين ، أم المجدِّدين ؟

استثمـار النـص

ا ـ سجل فى كراسك الخاص :

ـ انما الجمال وضاءة الفن الإلهيّ ، أشاعه الله فى الارض والسماء ، وهيّأ المدارك للاستغراق فيه والاستمتاع به .

ـ الجمال فى الطبيعة لا بد أن يجاوبه جمال فى النفس ، والصفاء فى العيش لابد أن يعادله صفاء فى القلب .

ـ إن السعادة بالجمال اضعاف السعادة بالمـال .

ب ـ **لاحظ :** كلمة « تَشُقّ »الواردة فى النص ، ومالَها من وجوه استعمال مختلفة : شَقَّ الأمرُ : صَعُب . شقّ عليه أوقعه فى المَشَقّة . شَقّ النّبْتُ : بَدَا وظَهَر ، وذلك أول ماتَنْفَطِر عنه الارض . شقّ البرقُ : رُئِيَ مستطيلا بين السحاب . شقّ نهراً : حفره . شقّ الارض : حرثها . شقّ الشيءَ : صدَعَه . شقّ عصا الطاعة : خالَف وتَمَرّدَ .

ج ـ طبق :

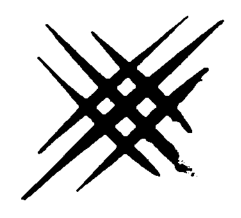
1 ـ بين ما لكلمة (ينقطع) ـ الواردة فى النص ـ من معان ووجوه استعمال اخرى ، فى جمل من عندك .

2 ـ انسج على منوال العبارة الآتية :

الحياة جميلة . وليس جمالها قصرا على قوم دون قوم ، ولا على طبقة دون طبقة .

3 ـ حرر :

اكتب موضوعا فى مزايا السياحة ، وما تعود به من نفعٍ على الأفراد وخيرٍ على البلاد .



40 ارضنا الجميلة*

النـــص :

ان الجزائر بحكم تأثرها ووجودهـــا بين عوالم ثلاثة ، عالم الأبيض المتوسط ، والاسلامي والافريقي ، مركز الفن والحضـــارات ، تعد أرضا للاستقبال والترحاب ، للتبادل واللقاءات والتعارف .

وبحكم وضعها الجغرافي والطبيعي تمثل الجزائر أرضا طيبة ، ذات نواح متنوعة متفاوتة لكل ناحية طابعها وماضيها . والسائح يقدم فى أي فصل من السنة ، يتأكد من وجود غايتـــه : الرياضية الشتوية والصيفية ، والمنشآت المعمارية،والطبيعة تمكنه من إقامة طيبة ومريحة .

وشواطىء الجزائر تمتد الى ما يزيد على ألف كلم صالحة للاقامة ، فيها السباحة طول السنة ، شواطىء طويلة وقصيرة ، برمالها الجيدة النظيفة ، وأحواضها الصغيرة ، وخلجانها الجميلة تُظِلّها أشجار رائعة وشواهق مُلَوَّنة ، وهي أيضا مهبط عشاق الرياضة والتزحلق والصيد . واذا كان لكل ساحل أصالته وروعته ، فان ناحية القبائل الصغرى ومن بجاية الى القل هي ــ بدون نزاع ــ أجمل وأروع النواحي وأكثرها رونقا وشاعرية .

وغير بعيد من السواحل تُشْرِف المـــرتفعات والقمم المعممة بالثلوج أسابيع طويلة فى الشتاء ، تجلب اليها كثيرا من الـــرياضيين . والمرتفعات المقصودة أكثر هي تكجدة (1475 مترا) من سلسلة جبال جرجرة فى القبائل، والشريعة (1500 مترا) فى الأطلس البليدي ، على بعد 70 كلم من العاصمة وعلى بعد ساعات من مختلف العواصم الأوروبية .

(*) عن كتاب «الجزائر ماض وحاضر» اعداد وزارة الاعلام «ادارة الوثائق»

ثم هناك الغابات . مقر الهدوء والسكينة ، تمتد من جبال تلمسان غربا الى مجردة شرقا ، وفيها يتمتع السائح بالمناظر الخلابة ، وتلك القرى والمدن المطلة فى زهو وروعة ساحرين ، تظللها الخمائل وأشجار الفواكه صنيعة الأجيال ، ثم تختفي فى دَلال بنواحي زكار . . ثم وبمفاجأة لطيفة تبدو هذه الطبيعة الجبارة من مشارف قسنطينة ، مهد القرون والأجيال ، وهناك نوع آخر من الطبيعة . . الهادئة الخَجْلَى ــ التي تحتمي بالجبال ــ فى ندرومة غربا ، وقلعة بني راشد ومازونة فى ناحية وهران ، والمدية فى قلب الجزائر ، وميلة فى ناحية قسنطينة .

وفى نفس هذه المناطق التلية ، يوجد عدد وافر من المحطات والحمامات المعدنية . مجهزة ومريحة ، مثل حمام بوحنيفية غرب الجزائر ، وحمام ريغا فى الجزائر ، وحمام المسخوطين شرقا .

واذا نزلنا قليلا نحو الجنوب تطالعنا الصحراء بواحاتها المتنوعة التي توفر للسائح راحة ساحرة. والمزاب بأصالته وفنه المعماري الشيق وصناعاته التقليدية وواحاته الخلابة ، وسُوف . . البلد الغريب المدهش . . بنخيله المحاط بالكُثْبان الرملية . ثم اذا توغلنا جنوبا ينتصب أمامنا الهقار بأسراره وتاريخه العظيم .

وهكذا من الشاطىء والتلال الى قلب الصحراء العظيمة تتعدد الاكتشافات ، وتزداد الرغبة والتطلع . وبالاضافة الى الاعياد المحلية والموسمية التي تنظمها المجالس الشعبية البلدية ، لابراز ثرواتنا الفنية والتقليدية والفلكلورية . وهل نحن فى حاجة للتذكير بأعياد ؟ وهل يكون من الضروري أن نذكر بعيد الكرز الذي يقام فى تلمسان ومليانة، والاربعاء، وعيد الحصاد فى الشرق الجزائري ، وعيد الغنم فى الجلفاء . . . والتي تجمع كلها عددا كبيرا من السياح .

الجزائر أرض الترحاب ، وهي أيضا أرض اللقـاءات ، مهد الماضي التليد الذي ما زال مجهولا لدى الناس وبعض المثقفين الأجانب . الجزائر بمنشآتها المعمارية الجميلة ، وبلـدانها القديمة وعـواصمها الاسلامية ، وأحيائها الأصيلة من قبل الاحتلال . . كل ذلك وغيره يبين بوضوح مراحل تاريخ متواصل يعود الى ثلاثة آلاف سنة خلت .

واذا لم يبق الآن الا القليـل من آثار الحضارات البربريـة وبعض الأراضي المتاخمة للأبيض المتوسط ، فان أرض الجزائر تضع أمام عين الزائر نطاقا معماريا ثريا وآثارا تاريخية عتيقة ورائعة . وهكذا تمثل الصحراء إحدى المراكز التاريخية لفن قديم قدم العـالم . هناك الرسوم المنقوشة والزيتية ــ التي تطلب احصاؤها ما يزيد على سنة ــ نجدها فى التاسيلي [1] الجبار ، تلك الناحية الجبلية المهولة والشاعرية ، بين واحات جنات ورحات ، قريبا من الحدود الليبية . تلك المناطق التي تمثل مراحل تاريخية مزدهرة .

والشمال الجزائري ، بوجوده على الأبيض المتوسط ، شارك مشاركة واسعة فى مختلف الحضارات ، كما تؤكـده الحضارات المنتشرة . قبل الرومانية ــ نتيجة توسع الاحتلال الروماني ــ فاننا مع ذلك نجد بعض الآثار التي لم تفقد روعتها ودقتها . ففي قسنطينة نجد آثار «سرتا» التي تكاد تكون الوحيدة فى العالم ، والتي تذكرنا بعاصمة ماسينيسا ، هذا فى الشرق . وغربي الجزائر فى تافنة ، على بعد كيلو مترات نجد سيقا ــ عاصمة سيفاكس [2] ، التي ما تزال محتفظة بأسرارها . ومتحف وهران هو وحده الذي نجد فيه نماذج من آثاره الفخارية .

وخلال هذه المرحلة نجد غير بعيد عن تيبازة ــ فى الساحل الجزائري ــ

---

1) **التاسيلي** : اسم جبـل عظيم فى بلاد الهقار .

2) **سيفاكس** : من أعظم ملوك البربر كان ملكا على مصيصيليا عاش من سنة 230 ــ 202 ق م .

القبر الشامخ المسمي قبر كليوباترا [3] وقبر مدراس شمال باتنة ، كلاهما ما زال سرا غامضا على كل بحاثة . . بصخورهما الضخمة ، وشكلهما الأسطواني وقبتهما العجيبة .

أما الحضارة الرومانية ذات الطابع العسكري فقد امتدت عبر البلاد كلها ، وتوغلت فى أعماق الصحراء فمن (شرشال) الى تمقاد فى الأوراس ، ومن (تلمسان) غربا الى (تبسة) شرقا نجد الآثار الرومانية العديدة ، خصوصا فى السهول والنواحي الساحلية ، فعلى الشاطىء نجد سلسلة من الموانىء ، التي حُوِّلَ أغلبها الى شواطىء للسباحة مثل تيبازا ، والتي أصبحت مقصدا ومزارا للسياح . كما نجد المنشآت الضخمة ذات الطابع الروماني المحض مثل لمبيز وتمقاد ، ومسارح شرشال ، وتبسة ، وحمامات جميلة ، وكنائس وهياكل ومعابد وساحات الخ . . . ونجد آثارا أخرى لما بعد هذه الحضارة مثل آثار الجدار التي ترجع الى الدول والعهود البربرية فى القرنين السادس والسابع ، ومثل الاضرحة الثلاثة عشر الواقعة جنوب غربي تيارت ، والتي تتمثل وتتميز بالطابع البربري .

ومن هذه المرحلة الى مطلع العصر الحديث ، أصبح المغرب الأوسط ، من القرن الثاني عشر الى القرن الخامس عشر ، وبالتحديد تلمسان ، أصبحت عاصمة كبرى اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ، منافسة بذلك كلا من فاس فى المغرب الأقصى وتونس .

والى هذه المرحلة يرجع فنها ومنشآتها وصناعاتها التقليدية التي ما تزال الى يومنا هذا تحظى بكل عناية وتقدير .

---

3) **قبر كليو باترا** : كان يعرف بقبر الرومية ، سماه الفرنسيون بذلك تشويها لحقائق التاريخ وبعد الاستقلال غيرت وزارة الاعلام والثقافة اسمه الى قبر كليو باترا اسمه التاريخي الحقيقي وهي أخت كليوباترا (الملكة المصرية المعروفة) ، وزوجة يوبا الثاني الملك البربري العظيم الذي وجد له تمثال رائع فى متحف مدينة شرشال

41	بحيرة لامـارتين (1)

النــص :

هكذا نُساقُ دائمًا نحو عَوَالِمَ مجهولةٍ ، ونَضْرِبُ فى لَيْلِ الأبَدِ الى غَيْرِ عَوْدَةٍ ! لَيْتَ شِعْرِي ! ! أَلَا نَسْتَطِيعُ ـ فوقَ مُحِيطِ السِّنِينَ أن نُلْقِيَ المَرْسَاةَ يومًا واحدًا ، فى محيطها اللُّجِي .

أَيَّتُهَا البُحَيْرَةُ : هَأَنَذَا ، وقـد أَوْشَكَ أَنْ يَحُولَ بِنَا الحَوْلُ ، هأنذا أَعْبَثُ بمَوْجِكِ الحَبِيبِ ، الذي وَدَّتْ لَوْ تعُـودُ إِلَيْهِ ، أُنْظُرِي ، هأنذا آتِي اليكِ وحيدًا ، أَجْلِسُ فوقَ هذه الصَّخْرَة ، على الصخرةِ التي رَأَيْتُهَا تَجْلِسُ عَلَيْهَا .

هكذا كنتِ تَهْدِرِينَ تَحْتَ هذه الصُّخورِ الغائرة، وعلى جوانب هذه الصخور كنتِ تَتَكَسَّرِينَ ، وتَتَنَاثَرِينَ رَذَاذًا ، وهكذا كانت الريحُ تَرْمِي بِزَبَدِ مَوْجَاتِك، على أَقْدَامِهَا الحبيبة .

ذاتَ مَسَاء ـ أَلَا تَذْكُرِين ـ كُنَّا نَسْبَحُ فى زَوْرَقِنَا صَامِتِين ، حَيْثُ لم يَكُن يُسْمَعُ مِنْ بَعِيدٍ ، فَوْقَ المَوْج وتَحْتَ السَّمَاوَاتِ ، سِوَى اصْطِفَاقِ المَجَاذِيف تُحَاكِي ـ فى إيقاعها ـ أَلْحَانَ مَوْجَاتِك المُتَنَاغِمَة .

ثم انْطَلَقَتْ أَلْحَانٌ ، لا عَهْدَ للأرض بِمِثْلِهَا ، تَـرِقُّ مِنَ الشَّاطِىءِ السَّاحِر ، فَتَصْمُتُ سَائِرُ الأَصْـدَاء ، ويُصْغِي المَوْجُ الى ذلك الصَّـوْتِ الحَبِيب الى نفسي ، عندما فَاهَ بتلك الكلمات :

قِفْ أَيُّهَا الزَّمَنُ دَوْرَتَكَ ، وأَنْتِ أيتها اللَّحَظَاتُ السَّعيدة ، كُفِّي عَنِ المَسِير ، ودَعِينَا نَسْتَمْتِعُ بِأُوَيْقَـاتِ هذا السُّرورِ العاجِلِ ، الـذي نَنْعَمُ به فى أَسْعَد الأوقات .

---

(1) النقد التطبيقي والموازنات ص 280 (طبعة سنة 1972 ـ الدار البيضاء) • للدكتور عبد العزيز عتيق •

كَلَّا يا زمانُ ، فما أَكْثَرَ البائسين الذين رَفَعوا أَكُفَّ الضَّراعَة ، لِتُسْرِع الخُطَى، فأَسرِعْ يا زمانُ مِنْ أَجْلِهِمْ ، وفى غُضُونِ أيامِك اخْتَرِمْ آجَالَهُم ، وأَفْنِ مَعَهَا ما يُحَطِّمُهُم مِنَ الأَوْصَاب وغُضَّ الطَّرْفَ عنِ السُّعَداء .

لكنّ رَجَائِي أَنْ أَسْتَمْتِعَ لَحَظاتٍ أُخْرَى ، ارتد حسيرا ، لقد أَفْلَتَ الزَّمانُ مِن قَبْضَتِي وَطار .

فخَاطَبْتُ لَيْلَتِي : رُوَيْدَكِ لا تَعْجَلِي ، لكن سُرعَـانَ ما أَقْبَلَ الفَجْرُ ، وبَدَّدَ الظّلام .

هيا نُعَانِق الحُبّ ، وَلْيُحِبْ بَعْضُنَا بعضًا ، ولا نَتَقَاعَسْ وَلْنُسْرِعْ الَى اغْتِرَافِ المُتْعَةِ ، قَبْلَ أَنْ تَفْلِتَ ، ليس للانسان مَرْفَأٌ فَيَرْسُو ، وليس للزمنِ من شَاطِىءٍ إنه يَجْرِي ، ونحن فى جَرْيِهِ نَمْضِي ! ! .

أَيُّهَا الزَّمَنُ الغَيُورُ أَيُمْكِنُ لِسَاعَاتِ الحُبُورِ هذه ـ وهي التي سَقَانَا الحُبُّ ، فِيهَا كُؤُوسَ السّعادةِ ، ونحن فوقَ الأَمْوَاجِ ، أَنْ تَنْأَى عَنَّا مُسْرِعَةً ، فى خُطَاهَا كَمَا تُسْرِعُ إِلَيْنَا أَيَامُ الشَّقاء ؟

عَجَبًا ! ! أَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ تَخَلِّفَ بَعْدَنا أَثرًا ؟

ما هذا ؟ أَمَاضُونَ نحن إِلَى الأَبَدَ فَلَا عَوْدَة ، وهذا الذي جَادَ به الزمنُ ، ثمّ مَحَاهُ ، أَلَنْ يَعُودَ مَرّةً أُخْرَى من جَدِيدٍ ؟

أيتها الأَبَدِيّةُ ، أيها العَدَمُ ، والماضي الغَـابِرُ ، يا هُوّةً سَحِيقَةً مُظْلِمَة ! ماذا تَصْنَعِينَ بالأيام التي غَابَتْ فى جَوْفِك انْطِقِي ! أَتَرُدِّينَ إِلَيْنَا تلك المَسَرّاتِ العظيمةَ التي انْتَزَعِتِهَا مِنْ أَيْدِينَا ؟

أيتها البُحَيْرَةُ . والصخورُ . . والكُهُوفُ ، والغابةُ المُظْلِمَة !
أُنَادِيكِ ، أَنْتِ التي أَغْضَى عَنْهَا الزّمَنُ ، وخَلَعَ عليها الشّبابَ مَرّةً بَعْدَ أُخْرَى .
احْفَظِي تلك الليلةَ ، ولْتَعِيهَا أيتها الطبيعةُ الجميلةُ ، أو على الأقل : احْفَظِي ذكراها .

احْفَظِيهَا فى وَقْتِ سُكُونِكِ ، وفى ثَنَايَا ثَوْرَتِكِ بِهُوجِ الرِّيَاحِ ، أَيَّتُهَا الْبُحَيْرَةُ الجميلةُ ، وفى مَرْأَى جَنَبَاتِك البَاسِمَة ، وفى أشجار الصَّنَوْبَرِ المظلمةِ ، وفى تلك الصّخورِ العَاتِيَةِ التي تُشْرِفُ على أَمْوَاجِك .

احْفَظِيهَا فى مَسْرَى نَسِيمِكِ الذي يَخْطُـرُ هَامِسًا ، احفظيها فِى اصْطِخَابِ شُطْآنِك الذي تُرَدِّدُ صَدَاهُ هَذِهِ الجَنَبَاتُ وَفِى لَمَعَانِ وَجْهِكِ الفِضِّيِّ الذي يَتَلأْلأُ كلّما انْعَكَسَ عليه ضَوْءُ النَّجْمِ بخُيُوطٍ من شُعَاعِهِ اللاّمِعِ .

احفظيها كُلّمَا أَنّتِ الرِّيحَ . واليَرَاعُ الزَّافِرُ والشَّذَى الخَفِيف الذي يَحْمِلُه هَوَاؤكِ العَطِرُ مُرِى كلَّ شَيْءٍ تَرَاهُ العَـيْنُ ، أو تَسْمَعُه الأُذُنُ ، أو يَتَنَفَّسُه الأَنْفُ مُرِيهَا جميعًا أَنْ تقولَ : إِنّهُمَا كَانَا حَبِيبَيْنِ .



42	بحيرة المتنبي

لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكِ الْبُحَيْرَةَ وَالْـغَوْرُ دَفِيءٌ ومَاؤُهَا شَبِمُ

وَالْمَوْجُ مِثْلُ الفُحُولِ مُزْبِدَةً تَهْدِرُ فِيهَا وَمَا بِهَا قَطَمُ

والطَّيْرُ فَوْقَ الحَبَابِ تَحْسَبُهَا فُرْسَانَ بُلْقٍ تَخُونُهَا اللُّجُمُ

كَأَنَّهَا وَالرِّيَاحُ تَضْرِبُهَا جَيْشَا وَغًى هَازِمٌ وَمُنْهَزِمُ

كَأَنَّهَا في نَهَارِهَا قَمَرٌ حَفَّ بِهِ مِنْ جِنَانِهَا ظُلَمُ

نَاعِمَةُ الجِسْمِ لَا عِظَامَ لَهَا لَهَا بَنَاتٌ وَمَا لَهَا رَحِمُ

يُبْقَرُ عَنْهُنَّ بَطْنُهَا أَبَدًا وَمَا تَشَكَّي وَلَا يَسِيلُ دَمُ

تَغَنَّتِ الطَّيْرُ في جَوَانِبِهَا وجَادَتِ الرَّوْضَ حَوْلَهَا الدِّيَمُ

فَهِيَ كَمَاوِيَّةٍ مُطَوَّقَةٍ جُرِّدَ عَنْهَا غِشَاؤُهَا الأَدَمُ

1) يريد **بالبحيرة** : بحيرة طبرية . **والغور** : منخفض بالشام ، بجوار بلد الممدوح . **والشبم** : البارد . يقول : لولاك لم اترك البحيرة وماؤها بارد وجئت بلدك الدافىء الحار .

2) **الموج** : جمع موجة . ومن ثم قال : مثل الفحول ، **وهدر الفحل** : اذا هاج واخرج زبده وسمع له صوت عند الضراب والاشتهاء . ومعنى **تهدر فيها** : تصيح في البحيرة هديرا مثل هدير الفحول وما بها شهوة الضراب .

3) **الحباب** : طرائق الماء عند اختلاف الأمواج . وقوله **فرسان بلق** : أراد فرسان خيل بلق، والبلق التى فيها سواد وبياض . **وتخونها اللجم** : الضمير للفرسان ، اي تنقطع أعنتها ، فتذهب الخيل حيث شاءت .

4) **كانها** : اي الطير . **والوغي** : الحرب . شبه الطيور وهي يتبع بعضها بعضا على وجه الماء تضربها الريح ، **بجيشين** : هازم ومهزوم فالهازم يتبع المهزوم .

5) **حف به** : أحاط به . **والجنان** : جمع جنة وهي البستان ، شبه ماء البحيرة في صفائه ـ وقد أحاطت به البساتين في خضرتها الضاربة الى السواد ـ بقمر احاطت به ظلمات ، وخص النهار لان هذا الوصف لها بالنهار دون الليل .

6) قال العكبري ، لما وصف البحيرة ، الغز فيها فقال : لا عظام لها وهي ناعمة الجسم وبناتها السمك : اي أن البحيرة ماء والسمك بناتها فهي أمهن وما لها رحم .

7) لما جعلها ناعمة الجسم وجعل لها بناتا كنى عن استخراج سمكها وصيدها منها بالبَقْر وهو شق البطن .

8) **جادت** : من الجَوْدِ ـ بفتح الجيم ـ وهو المطر . **والديم** : جمع ديمة ، وهي المطر الدائم في سكون .

9) **الماوية** : المرآة ، وجعلها مطوقة لما حولها من سواد البساتين . **والأدم** : الجلد ، وهو بيان للغشاء . شبه البحيرة ـ مع ما يحدق بها من البساتين ـ بالمرآة وقد جردت مما تُغَلَّفُ من الجِلْد .

اسئلة حول المحور

1 ـ قرات نصين فى الطبيعة ، الاول للزيات (الحياة جميلة) . والثاني للامرتين فى وصف البحيرة . ولكن احدهما يعرض للطبيعة فى ثنايا افكار يبسطها ، وحال ينقدها ، والآخر يقف حيالها وقفة المناجي المتأمل ، والذاكر المتمهل .

ـ بين أيهما أعمق فى تصويره ، وانفذ فى فكره وشعوره .

2 ـ يبدو من النصين مدى تعلق صاحبيهما بالطبيعة ، واحدهما ـ وهو لامرتين من أصحاب النزعة (الرومنتيكية) التي تميل الى الفردية والانطواء والى تحرير العواطف من إسار العقل .

ـ هل تجد مثل هذه النزعة عند الزيات ؟ وضح إجابتك ، مستعينا بأمثلة من النصين .

3 ـ اذا عدت الى قول امرئ القيس فى بيته المعروف :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ ، أَلَا انْجَلِ بِصُبْحٍ ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

وقول لامرتين مخاطبا ليلته فى النص :

رُوَيْـــدكِ لا تَعْجَـــلِي لكن سُرْعَانَ مَا أَقْبَلَ الفَجْرُ وَبَدَّدَ الظَّلَامَ

وجدتَ لكلا الشاعرين موقفا من الزمان : الاول يستعجله ، والآخر يستمهله . ما الباعث النفسي لدى كل منهما ؟

4 ـ وازن بين طريقتي المتنبي ولامرتين فى وصف البحيرة من حيث اثر شخصية كل منهما فى نصه .

((ى))

الشباب والرياضة

الشباب عدة الوطن وطاقة الامة ، فهو القوة المحركة ، والارادة الخلاقة المبدعة ، التي تصنع المعجزات ، وتتخطى الحواجز والحدود . هو العلامة البارزة في حياة الشعوب والأمم ، بل هو الحياة ماثلة في جميع مظاهر الحياة ، وابرز ما يميز الشباب : الحركة والنشاط، والحيوية والاندفاع ، والرياضة بجميع فنونها وانواعها هي من اختصاص الشباب ، وحتى اولئك الذين جاوزوا الستين والسبعين وما زالوا يمارسون الرياضة ، ويساهمون في عملية الخلق والابداع هم ((شباب)) ايضا .

43

الشباب عقيدة وعمل (*)

تمهيـــد :

فى الشباب شيوخ وفى الشيوخ شباب ، فكيف يكون ذلك ، ومتى تتم هذه المعادلة ؟ ليس فى الأمر استحالة او تعقيد ، بالقدر الذي قد يبدو لك لأول وهلة ، ومع ذلك فالموضوع مثير يغري بمعرفته ، والتطلع اليه ، والكشف عن سره ، والكاتب يتكفل لك بذلك فى النص التالي :

النـــص :

من أحسن ما قرأت لأندريه جيد قوله إن الشباب ليس فترة عابرة من العمر ، تقع بين العشرين والأربعين مثلا ثم تزول . وإنما هو عقيدة يجب أن نؤمن بها ونعمل بمقتضاها حتى ولو بلغنا التسعين .

إن الشباب بالحماسة ، واللُّدُونَة (1) الذهنية ، والرغبة فى الاختبارات الجديدة ، والنشاط ، والسعي ، والمغامرة ، والحب .

وكل هذه الصفات يجب أن يعتقد الشيوخ فى قيمتها العالية ، فضلا عن الشباب . وقد كان أندريه جيد (2) شابا حين شَرَعَ يدرس الانجليزية واللاتينية وهو فى الثامنة والسبعين .

ولقد لقيتُ من الشباب مَن مَارَسُوا الشّيخوخة، وكأنها كانت عقيدتهم وذلك بالركود والتجمُّد وتعوّد العادات العتيقة التي يمارسها الهَرِمُون (3) والمهَدَّمون . إذ كانوا يقضون وقتهم قعودا بلا نشاط على كراسي المقاهي أو كانوا يطلقون عيونهم فى الفضاء ذاهلين كأنهم نيام أو كانوا يرفضون الاشتباك فى المناقشات الذهنية لأنها تتعبهم .

(*) **سلامة موسى** : كاتب مصري معاصر ، عني بالأبحاث الاجتماعية والتربوية . من آثاره : **«الأدب للشعب»** ، **« ما هي النهضة ؟ »** ، **«التثقيف الذاتي»** ، **«تربية سلامة موسى»** .

(1) **لَدُنَ** : كان لَيِّنًا (2) **اندريـه جيد** : أديب فرنسي معاصر .
(3) **هَرِمَ** : ضَعُف وبلغ أقْصَى الكِبَر

وإزَاءَ هؤلاء رأيتُ بل عرَفْتُ شيوخا آمنوا بعقيدة الشباب . فهم يُبَكِّرُون فى الصباح ويقرأون ويستمتعون بالتَّجْوَال والسياحة ويشتركون فى المعارك الذهنية العالية ويدرسون بل ويَتَطَوَّرُون .

تُحِسّ حين تقعد الى أحدهم أنه ناهض يستطلع ويستفهم ويستزيد من الاختبارات كي يَسْتَقْطِرَ منها حِكْمَةَ العَيْشِ ولَذّة الذهن والجسم . وهو متفائل يتحدّث بلهجة المنتصر الشجاع الذي لا يخشى المستقبل .

والشيخوخة الناهضة هي منظــر جميل نحب جميعا أن نمتع عيوننا برؤيتها ، ونستمع الى رواية اختباراتها . شيخ فى الثمانين أو التسعين قد احتفظ بنحافته فلم يستكرش[4] ولم يَتَرَهّل ، وقد عُنِيَ بنظافة جسمه ونفسه وعقله ، وهو الى ذلك مثقف يقرأ الصحف ويشتري الكتب ويزور أوربا وافريقيا ويهتم بالتغيرات المتوالية فى عصره . مثل هذا الرجل هو تحفة بشرية عالية لأنه جعل الشباب عقيدته .

وكَمَا نَعْتَقِدُ نَكُونُ ، فاذا اعتقدنا أننا شباب عِشْنا بإحساسنا وأفكارنا ونظرتنا فى جو الشباب بما توحي الينا فكرته ، وبالعادات والاتجاهات التي يبعثها فينا .

حَبَّذَا الشَّبَابَ نؤمن به الى يوم وفاتنا ونعمل بجميع مقتضياته .

ــ إن الحياة صورة نَرْسُمُهَا وليست أرقاما نجمعها :

وإن من أجمل الكلمات الخالدة التي فاه بها هولمز ، أحَدُ القضاة فى المحكمة العليا فى الولايات المتحدة ، قوله : «الحياة صورة نرسُمها وليست أرقاما نجمعها» .

(4) استكرش الرجل : عَظُمَ بطنه .

وقد عاش هولمز أربعا وتسعين سنة عَرَفَ فيها المجد ، إذ بلغ أعلى مناصب الدولة ، لأن القاضي في المحكمة العليا يستطيع أن يُلْغِيَ قانونا يُصَدِرُه البرلمان ، أو أمرا يصدره رئيس الولايات المتحدة نفسه .

وقد عرف السعادة حتى إنه قال عقب وفاة زوجته إنه عاش معها ستا وخمسين سنة من شهور العسل .

ولكنه عرف ما هو أحسن من المجد ومن السعادة وهو الخدمة .

فإنه قضى عمره كله وهو يَخْدِمُ ويؤدي عمل الرجل الصالح ، وهو أن ينتج للعالَم أكثر مما يستهلك .

وقوله ان الحياة صورة نرسمها وليست أرقاما نجمعها هو حكمة قد اسْتَقْطَرَهَا من عمره المديد الذي أوشك على أن يصل الى المائة ، ذلك أن كثيرين من المغفلين البارعين يقضون أعمارهم مسخرين في اقتناء المال بصوره المختلفة ، سواء أكان أرضا زراعية ، أو قصورا ، أو سيارات ، أو مصوغات ، أو نحو ذلك ، وهم ينظرون بالعين الحسابية الى ماضيهم فقد كانوا قبل عشرة أعوام لا يملكون سوى ألف جنيه ، أما الآن فثروتهم تزيد على عشرة آلاف ، وكانوا قبل خمسة أعوام لا يقتنون سوى سيارة . أما الآن فان لهم سيارتين . ونحو ذلك من ضروب الاقتناء الذي يُعَدّ بالأرقام .

ولكن الحياة ليست أرقاما نجمعها ، وإنما هي صورة نرسمها بحيث نعرف قيمتها بما تحوي من ملامحَ جميلةٍ جليلة ، وألوانٍ زاهية نَضِرَة ، وبما احْتَوَتْ من حُبّ يجعل أيامنا جميعا «شهور عســل» وبما أنتجته لنا من تربية وتثقيف تمتلىء منهما عقولنا نورا وبصيرة .

أجل ، يجب أن نقول آخر العمر : ما أجملَ ما كانت حياتي وليس ما أكثر ما حَوَيْتُ من مال وعَقار !

[سلامة موسى]
من كتاب «محاولات»



مع النص

1) ما مقياس (الشباب) عند الكاتب ؟ وما اهم مميزاته ؟
2) يرى الكاتب أن فى الشباب شيوخا وفى الشيوخ شبابا ، كيف ذلك ؟
3) للكاتب راي فى الشيخوخة ، ما هو ؟
4) من الرجل الصالح فى نظر الكاتب ؟
5) تختلف نظرة الناس لمعنى الحياة ، فما وجه هذا الاختلاف ومظاهره فى نظر الكاتب ؟

تقويم النص

ا ـ الأفكار :

1) للكاتب راي فى معنى (الشباب) ما هو ؟ وهل توافقه ؟ وضح رايك
2) تطالعك فى المجتمع نماذج من الشباب تبدو عليهم أمارات الشيخوخة قبل الأوان ، ما الصفات التي تميزهم ، والوسائل التي تعيد اليهم حيوية الشباب فى رايك ؟
3) يرى الكاتب أن هناك شيئا أحسن من المجد ومن السعادة . ما هو ؟ وما رايك فى ذلك ؟

ب ـ الأسلوب :

الكاتب من رواد الفكر العربي الحديث ، يتسم أسلوبه بالطابع العلمي التحليلي الذي يثقف العقل ويوجه نحو أسلوب من التربية ، أكثر مما يتسم بالطابع الادبي الفني الذي ينمّي حاسة الشعور بالجمال .

ـ اختصر من النص جملا تمثل هذه الخَصِيصَة فى ادبه .

استثمار النص

أ ـ سجل في كراسك الخاص :

- الحياة صورة نرسمها وليست ارقاما نجمعها .
- المواطن الصالح هو الذي ينتج اكثر مما يستهلك .
- هناك شيء هو احسن من المجد ومن السعادة وهو الخدمة

ب ـ لاحـظ :

أ ـ **لاحظ** كلمة (شَرَعَ) فى النص ، وما لها من وجوه استعمال متعددة ، وبين المعنى الذي تفيده فى كل جملة :

شَرّعَ للقوم : سَنّ لهم شريعة ـ شَرَع البابَ الى الطريق : انفذه اليه ـ شَرَعَ فى الامر : بدأه .

ج ـ طبـق :

1 ـ بين ما لكلمة (بَلَغَ) الواردة فى النـص من معان ووجوه استعمال أخرى في جمل جديدة من عندك (مستعينا بالقاموس).

2 ـ **انسج على منوال العبارة الآتية :**

-كل هذه الصفات يجب ان يعتقد الشيوخ فى قيمتها العالية ، فضلا عن الشباب .

3 ـ حـرر :

فى الشباب خيال جامح ، وحماسة متدفقة ، واحلام وثابة ، واشواق ملتهبة ، ورؤى جميلة ، ولكن الحياة بحقائقها ووقائعها لا تكتفي من الشباب بهذه العدة ، ولا تقنع منهم بهذا السلاح

ـ اكتب مقالا فى هذا الموضوع ، تحدد فيه رسالة الشباب ، وتبين واجباتهم ، باسطا رأيك فيه بوضوح .

44

الخدمة الوطنية والشباب*

النـــص :

فى أيام العطـلة الصيفية كان من حسن حـظ بعـض الأساتذة أن كلفتهم وزارة الـتربية ووزارة الـدفاع بالقيام بجولة فى مختـلف الثكنات ومراكز التدريب التي يوجد فيها الطلبة المجندون والتي تنتشر من باتنة الى شرشال ، والقاء محاضرات عليهم تتعلق بالتكوين السياسي الى جانب التكوين العسكري الذي يَتَلَقَّوْنَهُ من ضباط الجيش .

ليس غرضي هنا أن أسجل كل انطباعاتي فى هذه الجولة بقدر ما أود أن تكون ملاحظات :

1 ـ كانت هذه الجولة بالنسبة لي شخصيا ـ وأعتقد أنها كذلك بالنسبة لبقية الزملاء ـ أنني اكتشفت عالمًا كنتُ أجْهله هو عالم الحياة الصعبة وحياة الخطر : الحياة الصعبة قال عنها ابن خلدون إنها هي التي تمكن سكان البادية والأرياف من أن يتغلبوا باستمرار على سكان المدن . لأن أولئك تعوّدوا على ممارسة صعوبات الحياة منذ خشونة أظفارهم ، وهؤلاء تعودوا الحياة السهلة منذ (نعومة) عظامهم . وحياة الخطر قال عنها (نيتشه) اذا أردت أن تشعر بالحياة فلتعش فى خطر !

2 ـ اكتشفت ثانيا أن هذه الحياة الصعبـة الخطرة لا تخلو من سعادة . لأنك تتمكن فيها من اكتشـاف نفسك . تكتشف أنك تستطيع أشيـاء كنت تظن أنك لا تستطيعها ! تكتشف أنك تثق بنفسك بينما كنت

(*) من واقع الثقافة الجزائرية ، للدكتور عبد الله شريط .

فى الحياة المدنية تتوهم أنك لا تستطيع أن تعيش الا بالاعتماد على الغير والثقة فى كفاءة الآخرين . تكتشف أن عندك ثروة من الامكانيات والقدرات كانت ميتة لأنك لم تحاول أن تستخدمها أو لم تضطرك الحياة السهلة الى استخدامها .

3 ـ حدثني الضباط أن الجيش لو يتطعم بهذه العناصر المثقفة يصبح فى سنوات قليلة أكثر من حلم يتجسد فى حقيقة ! وقالوا لي إن ما أدهشنا فى الطلاب هو قوتهم العقلية وضعفهم الجسمي ، إننا نتساءل كيف تعيش هذه العقول القوية الرهيبة فى تلك الاجسام الضعيفة المهلهَلة دون أن يتفَطَّنَ أصحابها لهذا الاختلال . لقد كنا فى الأيام الأولى نحملهم من الأرض من شدة الاعياء وعدم قدرتهم على تحمُّل الأتعاب . ووجدنا فيهم من المرضى أضعاف ما نجده فى المجندين الذين يأتوننا من البادية ! ومع ذلك فانهم يمتازون بخفة الحركة وانطلاقة الاعضاء .

4 ـ وقال لي الطلاب لقد زال منا الشحم وزال عنا كثير من الأوهام. قلت لأحدهم لماذا لم تسجلوا هذا التّحَوُّل الكبير فى حياتكم فى مذكرات . فقال إن أجسامنا متعبة وعقولنا تفكر فى الامتحان . فقلت أليس ما تقومون به الآن هو الامتحان الحقيقي ؟ فقالوا : صحيح . ولكننا تعودنا على الامتحان المدرسي أكثر من امتحان الحياة .

وقال لي طبيب بلغاري : إن الطلاب فى كل أنحاء العالم أخوف الناس من حياة الجندية ولكن ما لاحظته عندهم هنا هو الحماس والتحدي .

5 ـ قال لي أحد طلاب الثكنة البحرية : أول عقبة كنت أفكر فيها وأخشى أنني سأقع تحت عبئها هي هذا النعل الغليظ : كيف سأنسى نعومة نعلي اللطيف الذي أمشي به فى شارع ديدوش مراد وأمتطي هذه الدبابة المُنْهِكَة فى رجلي . ولكنني لا أدري كيف أصبح الآن هذا النعل الثقيل

أخَفّ في رجلي من نعلي السابق اللطيف ؟ فقلت : إن وزن النعل ــ لا هذا ولا السابق ــ لم يتغير . ولكن قوة الاحتمال في رجلك هي التي أصبحت أضعاف ما كنت عليه في السابق . وتصَوّرْ أن كل ذرة في جسمك قد تضاعفت قدرة احتمالها بهذه النسبة ، فانك ستجد أنك أصبحت عشرة رجال يعيشون في رجل .

6 ــ في ثكنة[1] «باتنة» قال لي أحد الطلاب بعد المحاضرة : لم أكن أدري أن تكويننا السياسي ضعيف الى هذا الحد . فقلت : إن تكوينكم السياسي ضعيف حقا اذا قيس بتكوين الاجيال التي سبقتكم والتي اضطلعت بمهام الثورة . ولكنكم مع ذلك لستم أنتم المسئولين عن هذا الضعف لأن الاجيال التي سبقتكم كانت تكونها ظروف الكفاح ، أما أنتم اليوم فانكم حُرِمْتُم لذة الكفاح ونعمة المُثُل العليا والاهداف المقدّسة ، وأصبح همّكم أن تعيشوا لمجرد العيش . ولا أدري هل هذا من حسن حظكم أم من سوئه ، ولكن الذي أدريه هو أن مسئولية ضعفكم السياسي تقع على كاهلنا نحن الذين أهملنا توجيهكم . وتركناكم طعمة سائغة لرياح الحياة تقلبكم أنى شاءت ! وحتى لقاؤنا بكم اليوم كان نتيجة الصدفة وحدها ، ولو لم أتلق أمرا في إلقاء هذه المحاضرات فيكم لكنت اليوم أنعم بأحد الشواطىء بدلا من أن تلفحني شمس الأوراس في هذه الجبال . إننا حتى نحن المثقفين لا نسير في طريق البناء الحقيقي الا بالقوة يجب أن نقاد الى الجنة بالسلاسل .

---

[1] الثكنة : مركز الجيش .

45 مارس الرياضة . . تكتشف نفسك

النـــص :

★ ما الذي يجعل أشخاصا معينين ينجحون فى ريـاضات معينة ، ويجعل آخرين ، مشابهين فى تركيبهم وقدراتهم الجسدية ، يفشلون ؟

★ وهل هناك أشخاص رياضيون وأشخاص غير رياضيين بالطبيعة ؟

★ وهل يمكن للانسان «الرياضي» أن ينجح فى كافة الحقول الرياضية ، أم أنه يقتصر على ميدان واحد أو اثنين ؟

هذه الأسئلة تتردد منذ زمن دون أن تجد لها جوابا شافيا نهائيا ، لأنها أَعْقَدُ من أن توفي حقها بأجوبة قاطعة مبسطة . . فبالاضافة الى المؤثرات العقلية ، هناك عدد هائل من العناصر الجسدية التي تلعب دورها فى تحديد القدرات الرياضية للانسان ، مثل قوة النظر ، والقوة العضلية ، وطاقة الانسان على الاحتمال . . الخ ، ولكل رياضة حاجة محددة الى نِسَبٍ معينة للتوافق بين هذه العناصر .

ومعروف أن لاعب كرة القدم مثلا ، قد لا يجيد الملاكمة حتى ولو تدرب عليها لمدة طويلة وأن الملاكم قد لا يستطيع التحكم بضرب التنس مهما بذل من إرادة . . وأن لاعب التنس لن يستطيع بالضرورة ، أن يمارس القفز العالي بنجاح لأنه رياضي .

★ هل يولد الانسان رياضيا ؟

إن الأمر الأول الذي يجب تَوَفُّرُه عند كافة الرياضيين ، بغَضّ النظر عن نوع الرياضة التي يمارسون ، هو التنسيق الجيد بين القدرات الذهنية والبصرية والجسدية، بحيث تعمل كلها أثناء التنفيذ كفريق عمل واحد منظم.

★ والسؤال الأهم يصبح هنا : هل يولد الانسان وهو يتمتع بهذه القدرات، أم أنه يتعلمها وتنمو لديه بالتدريب ؟

النقاش الدائر حول هذه النقطة أصبح نقاشا مزمنا ، وهو ما يجعل أكثرية الخبراء تميل الى عدم إنكار أهمية أي من المصدرين ، والى الاقرار بأن للوراثة أهميتَها في إعطاء الانسان العديد من صفاته الجسدية ، ولكن التعلم والتدريب هما اللذان يبرزان بعض هذه الصفات أو يَكْبِتان بعضها الآخر .

وكثيرا ما لا يستطيع الانسان التمييز بين ما انتقل اليه وراثيا وما اكتسبه بالتعلم إلا بعد فوات أوان الاستفادة من هذه المعرفة . . قد يظن الانسان أن حركات رَمْيِ الكرة والتقاطها ، أو العَدْوِ السّريع ، هي حركات مَوْرُوثَة ، في حين أنه تعلمها في السنين الاولى لحياته ، كما أنه كثيرا ما يكتشف أن أعمالا أخرى يقوم بها ، كتوقيت ضربة كرة التنس مثلا ، هي نتاج خليط لأنواع متعددة من القدرات ، مثل القدرة البصرية والقدرة العضلية ، والقدرة على التنسيق .

اختصارا يمكن القول : إن القدرة الرياضية عند الانسان تعتمد على ثلاث قضايا أساسية هي : المظهر الجسدي ، والقدرات الجسدية وطبيعة الانسان .

المظهر الجسدي لا يكفي .

ويمكن التعرف جزئيا الى المظهر الجسدي للانسان بواسطة النظر ، من حيث كون الانسان طويلا مثلا ، أو بدينا ، أو ثقيل الحركة الخ ، ولكن المظهر الجسدي لا يعتمد كليا على الشكل الخارجي فقط . فهو يتعلق أيضا بأمور داخلية ، مثل نِسْبَة الدهن الى العضلات في الجسم ، وقد يرى المرء أمامه رجلين نحيلين متشابهين تماما في الشكل الخارجي بينما تتباين طاقاتهما كليا .

والواقع أن المظهر الجسدي لا يعطي فكرة كاملة عن قدرة صاحبه ، ولابد من أخذ عناصر أخرى بعين الاعتبــار تتعلق بالقدرة ، مثل السرعة والقدرة على الاحتمال والزمن اللازم لرد الفعل ، والقوة البصرية ، وإمكانية التنسيق . . وكل هذه عناصر يصعب قياسها وتصعب مقارنتها إذْ مَنْ هو «العداء السريع» ؟ والى أية مسافة عليه أن يَعْدُوَ بسرعة ؟ فمثلا ، لاعب كرة القدم لا يحتاج الى العدو بسرعة لمسافة تزيد كثيرا عن ثلاثين مترا ، ولا يهم بعد ذلك ان فقد قدرته على الاستمرار . . فى حين أن عَدَّاءَ المسافات الطويلة يحتاج الى المحافظة على سرعته لمدد زمنية أطول بكثير .

وأهم ما يحتاج اليه لاعب كرة القدم فى عَدْوِه هو سرعة رَدِّ الفعل ، فاذا ما قرر أن يَرْكُضَ يجب على جسمه ــ كَكُلّ ــ الاستجابة فورا ، وغالبا ما يكون الفارق بين الرياضي الجيد والرياضي السيىء هو الفارق الزمني فى استجابة الجسم لرد الفعل ، والوقت الذي يتطلبه اتخاذ القرار . . والرياضي الجيد لا يكاد يشعر أنه يقوم بعملية اتخاذ القرار ، فى حين أن الرياضي السيىء يشعر بأنه يفكر فى الأمر ويناقشه عقليا .

رياضيــون . . ولكن .

واذا كان من الصعب قياس القدرات الجسدية التي تجعل من الانسان رياضيا جيدا ، فان قياس القدرات الذهنية التي تساهم فى ذلك يكاد يكون أمرا مستحيلا .

ولكن الرياضة تساهم ، مع ذلك ، فى فهم الانسان لنفسه اذا حاول تحليل تصرفاته وهو فى الملعب . . والواقع أن كثيرين من الناس يتمتعون بصفات لا تبرز عادة فى حياتهم العادية اليومية ، ولا تظهر إلا وهم فى أرض الملعب ، وهناك آخرون يتمتعون بصفات وقــدرات رياضية ولكنهم لا يمارسون الرياضة . . وهذا النوع الأخير من الناس قد يبرز فعلا فى عالم الرياضة اذا وجد من يدفعه الى الممارسة .

الإنسان فى عالم الرياضة :

وهنا تبرز أهمية ما يسمى بـ «طبيعة الانسان» فى عالم الرياضة . فمن يتمتع بالمظهر والقدرات الجسدية الرياضية كثيرا ما يكون «ميالا» بطبيعته الى ممارسة الرياضة ويحمل فى نفسه الصفات الرياضية أيضا ، أما الضعفاء جسديا فَيَتَخَلَّوْنَ «طبيعيا» عن دخول مجالات الصراع الجسدي ، أي حقول الرياضة ، عن حكمة تنبع من حب البقاء والمحافظة على النفس ، وغالبا ما يتحول هؤلاء ، اذا تمتعوا بـ «طبيعة» رياضيـــة مكبوتة ، الى مشجعين للرياضيين ومعجبين بهم ، أو أنهم يتحولون الى مبدعين فى حقول أخرى تحتاج الى صفات انسانية مشابهة للصفات الرياضية .

وقد أصبح من المتعارَف عليه أن الرياضة البدنية تلعب دورا هاما فى إبراز عدد من الصفات الايجابية فى الانسان نادرا ما تستطيع الممارسات الحياتية الأخرى أن تبرزها ، مثل صفات الشجاعة ، والطموح ، والقدرة على اتخاذ القرار بسرعة ، والقدرة على الانطلاق بسرعة الى التنفيذ فى نفس لحظة اتخاذ القرار . . الخ

وكل هذه الصفات الكامنة عند الانسان الرياضي بطبيعته لابد لها من الصّقْل والتهذيب ، عَبْرَ الممارسة الرياضية ، حتى تصل الى حد استفادة صاحبها القصوى منها ، ولكن تدخل ضمن إطار المساهمة فى العمل الجماعي، بدلا من الابقاء عليها صفات فردية قد تُصْبِح مُوَجّهَة ضد الآخرين ، فتحمل طابَعًا سلبيا بذلك . .

[**اورينت بـرس**] جريدة : الجمهورية 1977/11/28 العراق

سؤال حـول المحور

اذا كان الشباب كما وصفناه فى أول هذا الفصل ، طاقة ، وقوة وعزما ، وارادة ، ترى ما هي نظرة الشباب الجزائري الى الخدمة الوطنية ، ومدى فهمه لأبعادها ؟ وما هو مفهوم الرياضة عنده وعلاقتها بتكوين الشباب نفسيا وخلقيا وعقليا وصحيا ؟ .

محتويات الـكتاب

مقدمة

(أ) الأسرة والتربيـــة

(ب) السياسة والاجتمـــاع

(جـ) الحضـــارة

(د) الثقافة

(هـ) الشغل والاقتصاد

(و) العلوم والاكتشافات

(ز) الوطن العربي والإسلامي

(ح) نوابغ وشخصيات

(ط) الطبيعـة والسياحـة

(ى) الشباب والرياضـة

طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية ـــ 1985

1985 _ 1986

